الموسوعة العالمية

فى

إعجاز القرآن

والسنة النبوية المطهرة

تأليف
أشرف فتحى محمود الجندى
جامعة الأزهر

الطبعة الأولى
١٤٢٩ هـ ــــ ٢٠٠٨ م

دار الروضة
للطبع والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــداء

أهدى هذا الكتاب إلى أبى وأمى

أصحاب الفضل على من بعد الله ﷻ

المؤلف

دار الروضة ـــ للنشر والتوزيع

٢ درب الأتراك خلف جامع الأزهر
٢٥٩١٣٤٢٤ ـ ٢٥٠٦٦٨٨٤ فاكس : ٢٥٩٢٧٣٦٤
محمول : ٠١٢٣٦٠٨٩٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

الحمد لله مجرى السحاب، ومنزل الكتاب، وملهم الصواب، وجعل الظلمات والنور وخلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا، وجعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب، ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون.

أحمد الله ﷻ وأسأله أن يلهمنا الرشاد وأن يوفقنا إلى الحق والسداد وأن يأخذ بأيدينا ونواصينا إلى أقوم طريق وأهدى سبيل.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لَه، يوفق عباده إلى الخير ويثبهم عليه، يهب الجزيل ويصنع الجميل ويحب من عباده الأخيار ويبغض العاصين والأشرار، أقام العدل فى الأرض وأمر بالقسطاس المستقيم فى الناس، علمهم البيان وأنزل عليهم القرآن الكريم وألهمهم الحكمة وفصل الخطاب، وأوجب على علمائهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وشرفهم بفضيلة الوعظ والإرشاد، وحضهم على الدعوة إلى الدين الحنيف بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يكون شعارهم الأدب الجم والعمل الصالح والخلق الحسن والنهج الأقوم والصراط المستقيم الذى رسمه الله لهم فى قرآنه وتعاطاه نبيهم فى منطقه وبيانه والتزم به فى قولَه وفعله واتبع نوره فى كل أوامره ونواهيه وضرب لأصحابه الأمثال وساق إليهم اللطائف والنوادر، وبث فيهم النصائح والمواعظ ولفت أنظارهم إلى الكون وما فيه من عجائب وغرائب وعبر وآيات وحقائق علميه تعجز العقول وتحير الأفكار وتدهش الفلاسفة والحكماء وترغم الكافرين على أن يخروا سجدا فى محراب ملكوت الله.

وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله صلاة وسلاما على من أدبه ربه فأحسن تأديبه وهذبه فأكمل تهذيبه وأرسله إلى الناس بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا فأقام للحق دولة وأوجد للعدل أصوله وجعل للدين هيمنة على النفوس والرقاب فكان فى أصحابه من يخاف ويتقيه ويجل ربه ويخشاه ويكبر سلطانه فى سره وعلانيته ويقدسه فى غضبه ورضاه ويعبده فى السراء والضراء ويؤدى حقه فى الشدة والرخاء ويقيم حده على القريب والبعيد وينفذ أمره على القوى والضعيف، وقد أقاموا للناس حضارة وخلفوا ورائهم مدنية وتركوا لمن بعدهم من الأجيال والأحقاب تراثا مجيدا فرضى الله عنهم وأرضاهم كفاء ما قدموا للإنسانيه من مثل عليا وما غرسوه من مبادئ طيبة أنتجت لنا ثمرا شهيا وأضاءت لنا كل طريق إلى الخيرات والمكرمات ووجهت نفوسنا إلى الباقيات الصالحات والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا.

أما بعد ...

فإنه من دواعي الغبطة والسرور أن لجنة الإعجاز العلمى للقرآن الكريم بمجمع البحوث الإسلامية المشكلة بموجب وقف المستشار الدكتور/ محمد شوقى الفنجرى بالتعاون مع بنك فيصل الإسلامى أعلنت فى جريدة الأخبار يوم ٢٠٠٤/٦/١٨ عن المسابقة العالمية حول الحقائق العلمية المعاصرة فى ضوء القرآن الكريم، كما أعلن السيد المستشار/ جمال الدين محمود – مقرر لجنة وقف المستشار/ محمد شوقى الفنجرى فى مجلة منبر الإسلام السنة ٦٣ العدد ٧ صفحة ١٢٠ شهر رجب ١٤٢٥هـ، أغسطس – سبتمبر ٢٠٠٤م.

قد أعلن عن بدء تلقى الأبحاث الخاصة بالمسابقة العالمية للإعجاز

العلمي فى القرآن الكريم يوم ١ من رجب ١٤٢٥هـ - أغسطس ٢٠٠٤ والتى نظمتها اللجنة تحت عنوان:

" الحقائق العلمية المعاصرة فى ضوء القرآن الكريم "

ويمكن إجمال الحقائق العلمية المعاصرة بأنها من دعوة الدين الإسلامي وهو دين الفطرة بنى عقيدة التوحيد والإيمان بالله على دعوة الإنسان إلى استعمال العقل والنظرة والتأمل فى خلق الله والإبداع فيه ليصل الإنسان بنفسه هو من خلال هذه الحقائق إلى الإيمان بالله خالق الكون بكل ما فيه عن قناعة كاملة واقتناع تام .

فالنظر والتفكير والتأمل هو باب معرفة أسرار مكنونات الأرض وما حملت والبحار وما حوت والفضاء وما يجرى فيه، وأنه هو الذي باستعماله واستخدامه يفرق ما بين الإنسان وسائر الحيوان، وهو المدخل السليم والأساسي إلى الإيمان بالله وهو الركيزة والقاعدة التى يبنى عليها صلاح أمور الدنيا والآخرة وإلى التسليم المطلق بأنه سبحانه منه المنشأ وإليه المعاد، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو على كل شئ قدير.

إن الكون قائم على نظام بديع عجيب فى نظامه ودقته وانسجامه فدعوة القرآن الكريم إلى أن يستعمل الإنسان عقله فى التعرف على تلك الحقائق العلمية بالنظر والتفكير فى هذا الكون هى دعوة غايتها أن يصل الإنسان بنفسه إلى أن هذا الكون بنظامه الدقيق البديع لَه خالق عالم قادر.

وإن من سعادتى وحسن حظى أنى أساهم فى تلك المسابقة المباركة ولكن أين أنا حتى ألقى ضوءا على هذه الحقائق العلمية وإنما أنا رجل يرى لنفسه كل السعادة والفلاح أن أقتبس من نور سيد الأولين والآخرين – سيدنا محمد – صلوات الله وسلامه عليه – حتى لا يتهالك فى دياجير الظلمات، بل يحيا وهو من أمته ويموت وهو من أمته، ويغفر الله لَه ذنوبه بشفاعته.

أهمية الموضوع :-

لقد نبه الحق ﷻ فى كتابه الكريم إلى أن الحقائق العلمية تتوقف معرفتها على إعمال العقل، وتفعيل قدراته، وإتباع منهج التأمل والتجارب[١] المعملية للانطلاق من خلال هذه الحقائق إلى الإيمان بالله خالق الكون بكل ما فيه عن قناعة كاملة واقتناع تام .

ولذلك جاءت آيات القرآن الكريم لتوثق هذا الترابط والتكامل بين العقل والحقائق التى تعلن فيها تقدير الخالق سبحانه لأولى الألباب[٢] والعلماء، من ذلك :

قولَه تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾[٣] وقولَه سبحانه: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾[٤] وقولَه ﷻ: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[٥] ولذلك قال الأصفهاني : أهل العلم هم ذووا العقل المتوقد الذين يؤخذ عنهم[٦] كما شهد الله - ﷻ للعلماء بأنهم أهل الحكمة والإدراك المستقيم للأمور فقال سبحانه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾[٧]، فجعلت الآية شهادة العلماء حجة فى الإقرار بوحدانية الله لإعطائهم مكانه متميزة، لأن اختيارهم مقرون بالعلم .

---

(١) التجارب : جمع تجربة وهى اختبار الأمر مرة بعد مرة، فى جربت الشيء تجريبا اختبرته مرة بعد أخرى، المصباح المنير صفحة ٩٥

(٢) لب كل شئ خالصه، واللب العقل، والجمع ألباب، المصباح المنير فى اللغة لأحمد بن محمد المقرى الفيومى المتوفى سنة ٧٧٠هـ ط: المكتبة العلمية، بيروت، صفحة ٥٤٧

(٣) سورة العنكبوت آية رقم ٤٣

(٤) سورة طه آية رقم ٥٤، النهية، العقل، لأنها تنهى عن القبيح، والجمع نهى، المصباح المنير صفحة ٦٢٩

(٥) سورة المجادلة آية رقم ١١

(٦) المفردات فى غريب القرآن الأصفهاني، أبو القاسم الأصفهانى، البابى الحلبى، القاهرة، ١٣٨١هـ، ١٩٦١م صفحة ٣٤١، ٣٤٣ مادة عقل

(٧) سورة آل عمران آية رقم ١٨ .

وقد اهتم الإسلام بذلك اهتماما بالغا، وليس أدل على ذلك من مادة نظر وما تصرف منها : انظر، تنظر، ينظر، تنظرون، ينظرون، انظروا .. الخ وردت فى القرآن الكريم فى ١٢٩ آية فى سور متفرقة يقول الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[١] وهذه دعوة عامة إلى النظر فى الكون والتعرف على تلك الحقائق ككل.

والنظر فى الكون لا يؤتى ثمرته المرجوة منه ويحقق الهدف والغاية منه إلا إذا اقترن التفكير بالنظر، لأن التفكير هو مفتاح الأنوار، ومبدأ الاستبصار، وهو شبكة العلوم، ومصيدة المعارف . وقد أمر الله بالتفكر والتدبر فى كتابه العزيز فى مواضع كثيرة، وأثر على المتفكرين فقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا ..﴾[٢] عن عطاء قال: انطلقت يوما وعبيد بن عمير إلى عائشة – رضى الله عنها فكلمتنا وبنينا وبينها حجاب، فقالت : يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا ؟ قال: قول رسول الله – ﷺ : "زرغبا تزدد حبا"، قال ابن عمير : فأخبرينا بأعجب شئ رأيته من رسول الله – ﷺ، قال : فبكت وقالت : أمره كان عجبا، آتاني فى ليلتي حتى مس جلده جلدي، ثم قال : "ذرينى أتعبد لربى ﷻ " فقام إلى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلى فبكى حتى بل لحيته، ثم سجد حتى بل الأرض، ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح، فقال : يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال : ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكى وقد أنزل الله تعالى على فى هذه الليلة: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[٣] ، ثم

(٢) سورة يونس اية رقم ١٠١ .
(٣) سورة ال عمران آية رقم ١٩١
(٤) سورة ال عمران آية رقم ١٩٠

قال:- ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها . فقيل للأوزاعى : ما غاية التفكر فيهن؟ قال: يقرؤهن ويعقلهن . ويقول الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(١) وفى هذه الآية إشارة إلى أن البحث عن الحقائق العلمية فى الآيات الكونية من سماء وأرض، وفضاء وبحر، إنما يجب أن يكون لنفع الخلق، مع الأخذ فى الاعتبار أن الغوص فى هذه الأسرار الكونية لاكتشاف الأعجاز الإلهي فيها فى الأسرار الكونية إنما هو مرتبط فى نهايته بتوفيق الله للباحثين، وإذنه لمن شاء من العلماء . وفقا لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾(٢) وأخذا من قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾(٣)

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٦٤
(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٥٥
(٣) سورة فصلت آية رقم ٥٣

ضوابط التعامل مع الحقائق العلمية المعاصرة

فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

تتخلص ضوابط الحقائق العلمية فى النقاط الأساسية التالية :

١- عدم توظيف سوى الحقائق العلمية الثابتة التى حسمها العلم وأصبحت من الأمور القطعية المسلمة التى لا رجعة فيها وذلك فى الاستدلال على سبق القرآن الكريم أو السنة النبوبة المطهرة فى الإشارة إلى تلك الحقائق العلمية

٢- عدم التكلف فى لحة أعناق الآيات للتوافق مع الحقيقة العلمية لأن القران الكريم أعز علينا واكرم من ذلك واصدق .

٣- ضرورة الإلمام باللغة العربية ودلالة مفرداتها، وقواعدها وأساليب التعبير فيها، وكذلك الإلمام بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وبالمأثور من تفسير الرسول ﷺ وبجهود الصحابة والتابعين وكبار المفسرين فى كل آية يتعرض لها الدارس لإثبات جانب من جوانب الإعجاز العلمي فيها أو لإثبات ذلك فى حديث صحيح من أحاديث رسول الله ﷺ.

٤- الإلمام بأخر ما توصل إليه العلم فى العقل الذى تتعرض لَه الآية الكريمة أو الحديث النبوي الشريف الصحيح .

٥- اعتزام التخصص العلمي حتى لا يخوض فى هذه القضية التخصيص كل خائض ولا يخوض متخصص فى فرع من فروع العلم لإثبات الأعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فى جميع التخصصات الخارجة عن مجاله فقد انتهى زمن العلماء الموسوعيين وأصبح مستحيلا على فرد واحد أن يخوض فى قضية

الحقائق والإعجاز من علم الأجنة إلى علوم الفلك

٦- التأكد من صحة الحديث النبوي الشريف ودرجة ذلك قبل التعرض لإثبات جوانب الإعجاز العلمي فيه .

المنهج الذي سرت عليه

ولقد وضعت نصب عيني منهجا للبحث أو جزة فيما يلى :

أولا: جمع الآيات القرآنية التى تعالج الحقيقة العلمية الواحدة.

ثانيا: مراعاة تعدد معاني اللفظ الواحد لغويا .

ثالثا: مراعاة احتمال تعدد المعانى العلمية للآية الواحدة .

رابعا: مراعاة خضوع التفسير لدلالات اللغة العربية المعجمية وقواعدها اللغوية والبلاغية .

خامسا: مراعاة عدم العدول عن الحقيقة إلى المجاز فى فهم الألفاظ كلما أمكن ذلك

سادسا: التثبت من حقائق العلم وعدم إقحامها فى غير موضعها .

سابعا: الاستعانة بكتب التراث والتفاسير السابقة واستبعاد الخرافات منها .

ثامنا: مراعاة عظمة القرآن الكريم معجزا ومحفوظا ومهيمنا على الكتب السابقة ومعيارا مطلقا لرموز الكون .

تاسعا : التعارض والتناقص مستحيل بين القرآن فى آياته وبين الفطرة الكونية فى حقائقها .

عاشرا: قمت بعزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من كتاب الله، وتخريج

الأحاديث الشريفة من الكتب التى عنيت بذلك، وإذا كان الحديث فى غير الصحيحين فأنى أحرص على الحكم عليه فى الغالب، معتمداً فى ذلك على الكتب التى تذكر درجة الحديث

ومن خلال هذا البحث حاولت بقدر الوسع والطاقة – أن ابحث تلك الزوايا المهمة فى الموضوع سائلا الله ﷻ القبول وان ينفعني وكل من عاونني فيه واستفاد من معطياته المتواضعة يوم الدين إنه سميع قريب مجيب الدعاء رب العالمين .

خطة البحث :-

وقد قسمت البحث إلى :

مقدمة : وتكلمت فيها من أهمية الموضوع البحث وسبب أختيارى لَه والمنهج الذي اتبعته .

وقسمت البحث إلى خمسة فصول :-

الفصل الأول (تمهيدى) : وتكلمت فيه عن مقومات الحقائق العلمية فى الفكر الإسلامى وذلك من خلال ثلاثة مباحث :-

المبحث الأول :- الإسلام والنهوض بالعلم .

المبحث الثاني :- الإسلام واحترام العقل .

المبحث الثالث :- تعظيم العلم وإكبار العلماء مبدأ أصيل فى الإسلام .

الفصل الثانى: الإسلام والحقائق العلمية الحديثة -

وقسمت هذا الفصل إلى ثلاث مباحث:

المبحث الأول: التزام المنهج العلمي كأحد مرتكزات التعرف على الحقائق العلمية الحديثة .

المبحث الثاني: الولوج فى الأفاق الكونية أصل مقرر شرعا .

المبحث الثالث: الجزء التطبيقي "الأقمار الصناعية"

الفصل الثالث: نماذج من الحقائق العلمية الكونية فى ضوء القرآن الكريم.

وقسمته إلى مباحث:

المبحث الأول: شكل الأرض بين القرآن والعلم .

وقسمت هذا المبحث إلى مطالب :

المطلب الأول: الأدلة القرآنية الدالة على مظاهر القشرة الأرضية .

المطلب الثاني: آراء المفسرين فى المد والبسط .

المطلب الثالث: شكل الأرض تحديدا .

المطلب الرابع: الآيات التى تثبت كروية الأرض

المطلب الخامس: الحقائق والنتائج العلمية المستنبطة من معاني الآيات القرآنية السابقة .

المبحث الثاني :- نشأة الأرض وتكرينها

وقسمت هذا المبحث إلى مطلبين :-

المطلب الأول :- أراء المفسرين فى ترتيب خلق السماء والأرض

المطلب الثاني :- نظريات العلماء لتفسير وجود الأرض .

المبحث الثالث :- وتدية الجبال وتوازن الأرض

وقسمت هذا المبحث إلى :-

المطلب الأول :- التعريفات المعاصرة للجبال .

المطلب الثاني :- الحقائق العلمية المستنبطة من معاني ألفاظ الآيات القرآنية للجبال .

المطلب الثالث :- الجبال أوتادا

المطلب الرابع : وصف الجبال أو شكلها .

الفصل الرابع :- نماذج من الحقائق العلمية الفلكية المعصرة فى ضوء القرآن الكريم

وقد قسمت هذا الفصل إلى :ـ

المبحث الأول: الإعجاز الفلكي فى القرآن الكريم

وقسمت هذا المبحث إلى:ـ

المطلب الأول: الآيات التى ورد بها عالم الفلك .

المطلب الثاني: تفسير آيات الفلك .

وقسمت هذا المطلب إلى فرعين :-

الفرع الأول :- تفسير الآية التى وردت فى سورة الأنبياء .

الفرع الثاني :- تفسير آيات سورة يس .

المبحث الثاني :- وينقسم إلى مطلبين

المطلب الأول : "وجعلنا سراجا وهاجا"

المطلب الثاني :- والسماء ذات الرجع

المبحث الثالث : حركات الأرض - وتولد الليل والنهار والفصول الأربعة .

المبحث الرابع: الضوء والنور والظلام ونيرات السماء (النجوم - الكواكب) وحال الضياء فيها

المبحث الخامس :- النجوم

المبحث السادس :- السماء وزينة الكواكب

المبحث السابع :- وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر .

وقسمت هذا المبحث إلى:

المطلب الأول : أقوال بعض المفسرين للآية الكريمة .

المطلب الثانى: الملابس نعمة وفقدها عقوبة.

المطلب الثالث: علماء المسلمين يتنبئون بحدوث السرطان.

الفصل الخامس : نماذج من الحقائق العلمية المناخية المعاصرة فى ضوء القرآن الكريم

وقسمت هذا الفصل إلى

المبحث الأول: وجعلنا من الماء كل شئ حى.

المبحث الثاني: الرياح

وقسمت هذا المبحث إلى

المطلب الأول :- أنواع الرياح وثلاث سور قرآنية

المطلب الثاني :- السحاب – والمطر

المطلب الثالث :- أسرار السحاب .

المبحث الثالث : وقسمته إلى:-

المطلب الأول: ظلمات البحار العميقة وحركة الأمواج الداخلية .

المطلب الثانى: موج من فوقه موج.

الفصل السادس: نماذج من الحقائق العلمية المعاصرة فى حال الإنسان

وقسمت هذا الفصل إلى:

المبحث الأول: النطفة الأمشاج وتحديد جنس الجنين.

المبحث الثاني: خلق الجنين في أطوار.

المبحث الثالث: البصمات وشخصية الإنسان.

المبحث الرابع: الرضاع

الخاتمة: وتتضمن ثمرة البحث وأهم نتائجه .

وضمنت فهرس المراجع والمصادر – اهم المراجع التي رجعت إليها أثناء البحث فذكرت في النهاية فهرسا تفصيليا بالموضوعات التي تعرضت لها في البحث .

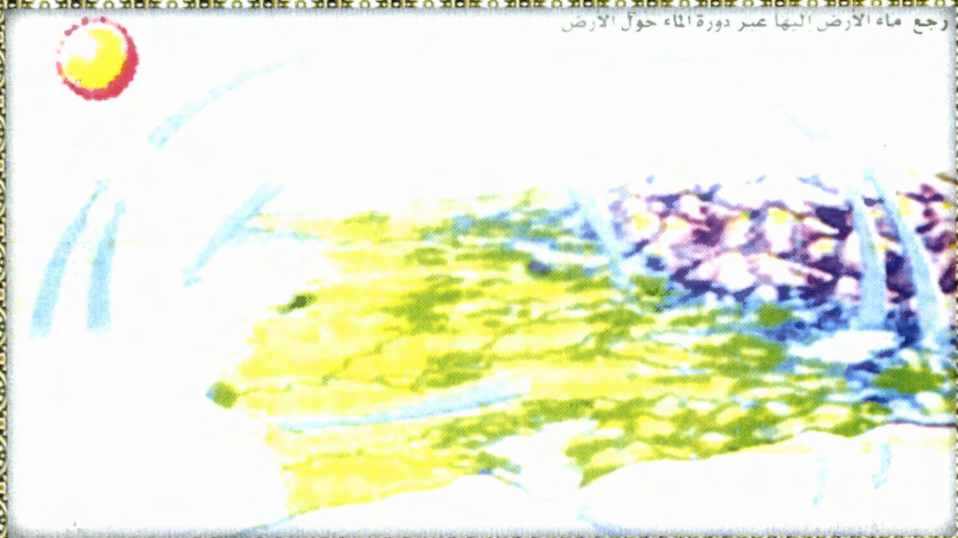
ولا أدعي بهذا أنني قد قفلت الباب بالنسبة لهذا الموضوع، ولكن ما ادعيه بحق هو أنني لم أبخل بجهد أو وقت من أجل هذا العمل الذي استغرق التفكير فيه والبحث لمتطلباته وقتا أطول بكثير مما استغرقته كتابته.

والله تعالى أسأل التوفيق والسداد وسلوك طريق الرشاد وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهة الكريم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

والحمد لله رب العالمين

السماء ذات الرجع





قدرة الخالق فى خلق الجنين





خلق الجنين فى أطوار

الفصل الأول

(تمهيدى)

مقومات الحقائق العلمية فى الفكر الإسلامي

المبحث الأول : الإسلام والنهوض بالعلم

المبحث الثاني: الإسلام واحترام العقل

المبحث الثالث : تعظيم العلم وإكبار العلماء مبدأ أصيل فى الإسلام

٢

المبحث الأول

الإسلام والنهوض بالعلم

المبحث الأول

الإسلام والنهوض[(١)] بالعلم

من مزايا أصول الإسلام – قرآنا، وسنة، وتراثاً[(٢)]، نتج عن الأخذ منهما، أنها في مجموعها تقف من العقل والعلم، موقف التعظيم والإكبار، تعظيم العقل بكل أنواعه، وازعاً[(٣)]، أو مدركاً[(٤)]، أو متأملاً[(٥)]، وتعظيم العلم بكل فروعه دينياً وشرعياً أو كونياً، وإكبار العلماء، تقديرياً لجهودهم باعتبارهم أولى الألباب، الذين بنبوغهم تتقدم الأمم . ذلك أن الفكر الإسلامي على الجملة، يدرك أن صحة الأمم، وعافيتها، ونهوضها بين العالمين، إنما يقاس بمدى احترامها للعلم، وتنميتها للعقل، وتقديرها للعلماء، واحتواء النابهين منهم، لتهيئ لنفسها مقعداً في قطار التقدم، ولذلك جاءت آيات القرآن الكريم وأخبار السنة الشريفة لتؤكد هذا التوجه.

((١) النهوض:الارتفاع والحركة، من نهض فلان عن مكانه، ارتفع عنه ويقال : نهضت نهوضا تحركت، وعليه فيكون النهوض بالعلم، أي الارتفاع به والتحرك السريع فيه. المصباح المنير في اللغة لأحمد بن محمد المقرى الفيومى المتوفى سنة٧٧٠ هـ طبعة المكتبة العلمية _ بيروت صفحه ٦٢٨ .

(٢) يقصد بالتراث الناتج عن الأخذ من القرآن والسنة، ما دون من فكر وعلم عظماء الإسلام الذين نبغوا في العلم بشتى فروعه وفنونه وكانوا بفضل المثابرة وروح الجد وتقوى الله ﷻ، موسوعين، فضلا عن التخصص الدقيق . فتوغلوا في المعارف الكونية وبرعوا في العلوم الطبيعية كالطب، والفلسفة، والرياضيات، والفلك، وعلم النبات والحيوان.منهم الرازى، والشريف الإدريسي، والحراني، وابن أسلم وداود الأنطاكى، والبوزجانى، والبيرونى والخوارزمى، وجابر بن حيان، وابن رشد، وثابت بن قرة وابن الهيثم وغيرهم كثيرممن أسهموا في الحضارة الإسلامية . ملامح من حضارتنا العلمية وأعلامها المسلمين الدكتور كارم غنيم، صفحة ٨٧ وما بعدها، الزهراء للإعلام العربى.

(٣) العقل الوازع : الذى ينبه صاحبه إلى منكر ويحترس منه، ويستحسن الحق ويطلبه ؟، ويستقبح القبيح وينكره . من وزعته عن الأمر منعته عنه، وحسبته . المصباح المنير، صفحة ٦٥٧ .

(٤) العقل المدرك الذى به يدرك الحكم بدليله. أى يلحق الحكم بالدليل، يقال مدارك الشرع مواضع طلب الأحكام. المصباح المنير، ص ١٩٢ .

(٥) العقل المتأمل، ويختص بإعمال ملكة الفكر والتأمل فيما يدركه من أشياء بعد تصورها وفهمها وتقليبها على كل الوجوه للتوصل إلى النتيجة الملائمة. من تأملت الشئ، إذا تدبرته، وذلك بإعادة النظر فيه مرة بعد أخرى حتى يعرف. المصباح المنير، ص٢٣ .

ففى القرآن قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا ﴾[١] . ذلك أنهم أكثر الناس معرفة بأسرار الكون وإعجاز الخالق . وقال : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٢]

أي ما يفقه ويعي أن كل القرآن من عند الله إلا ذووا العقل السليم الخالص.

وفى السنة : الحق الرسول – ﷺ – رتبة العلماء برتبة الأنبياء، فى كشف حكم الله ﷻ، فقال : " العلماء ورثة الأنبياء " أي أنهم خلفاء لهم فى إظهار الشرع وإبلاغه للناس لأن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولكن ورثوا العلم. وأضاف – ﷺ– فى حديث آخر :"من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده"[٣]

ومن هذا المنطلق كان يجب على المسلمين على مر الزمان ان يدركوا أن أصول دينهم تدعوهم إلى النهوض بالعلم والابتكار. لأن القرآن الكريم، قد نبههم بكل وضوح، وجلاء، إلى إمعان النظر والتأمل، والغوص فى البحث والتقصى للاستفادة بعطاءات الله فى الكون. أرضا وسماء وان ذلك أصل مقرر ديناً وشرعاً أخذاً[٤] من قوله تعالى : (**سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**)[٥]"

لكن العجيب والملفت للنظر أن من تنبهوا لآيات الله فى الآفاق فى

(١) سورة فاطر أية رقم ٢٨ .

(٢) سورة آل عمران أية رقم ٧

(٣) الحديثين فى سنن الترمذى لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذى – المتوفى سنه ٢٧٩هـ الطبعة الأولى سنه ١٩٦٦م، طبعة ١٣٨٥ هـ، حمص، الجزء ٥ صفحة ٢٨-٤٩.

(٤) الآفاق جمع أفق، والأفق الناحية من الأرض والسماء. المصباح المنير صفحة ١٦ .

(٥) سورة فصلت، الآية رقم ٥٣.

العصر الحديث، وبذلوا الجهد والمال، وأقاموا القواعد العلمية، للاستفادة من مسخرات الله فى الكون هم الأمم غير المسلمة، بل والمدهش، أنهم استعانوا للوصول إلى هذه الدرجة من التقدم بالنبهاء من علماء المسلمين فآووهم ومكنوهم من البحث والتجارب المعملي، فتفوقوا بهم فى العلم، وركبوا بجهدهم الفضاء، وبلغوا بعلمهم أقطار[١] السمات والأرض، بعد أن أذن الله لهم تقديرا لجهدهم واحتراما لعلمهم، وفقا لما قرره، القرآن الكريم فى قولة تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾[٢] فالخطاب نزل على وجه العموم.

روى القرطبي عن ابن عباس رضى الله عنه فى معنى الآية : قال "إن استطعتم أن تعلموا ما فى السموت والأرض، لن تعلموه إلا بسلطان، آي بينه من الله تعالى[٣] وكأن خير الأمة رضى الله عنه قد سبق عصره، ووجه الدلالة فى الآية لتعبر عن واقع العصر، وتطور الزمن . ففسر سلطان الله ﷻ فى الآية بأنه سبحانه يلقن الحجة العلمية لمن اختارهم من ذوى الألباب ليأخذهم إلى مدارج العلم، للوصول إلى ما تتناهى إليه قدراتهم فى البحث والابتكار، لتحقيق أقصى قدر من التقنية[٤] الحديثة، لخير الإنسانية، سواء فى المجال الصناعى أو المجال الإنسانى . وللأسف يغفل

---

(١) الأقطار جمع قطر_ بالضم- والقطر الجانب والناحية، والمراد بلغوا جوانب السموات والأرض بسلطات الله، المفردات فى غريب القرآن، صفحة ٤٠٧، المصباح المنير، صفحة ٥٠٨ .

(٢) سورة الرحمن، الآية رقم ٢٣.

(٣) تفسير الجامع لأحكام القرآن عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ج٩، صفحه ٦٥٧ دار الغد العربى.

(٤) التقنية، مصطلح يطلق على الاستخدامات لأدوات العصر، من حيث الدقة فى الصنع والسرعة فى التطبيق، والتفوق فى النتائج ن وأصل الكلمة عربيا من الفعل تنى بمعنى جمع، يقال : قنوت الشئ أقنوه، قنوا وقنوة، جمعته، وقيل أقنى تأتى بمعنى، أعطى، ومنه قوله تعالى: "وأنه هو أغنى وأقنى" (سورة النجم:أية رقم ٤٨) . أى أعطى ما فيه الغنى، وأعطى ما فيه القنية. المصباح المنير، صفحة ٥١٨ وعلى كلا المعنيين فهى تدل على المراد، من حيث تجميع وتكوين دقائق الصناعة لابتكار آلة حديثة تعطى نفعا واستخداما متطور للناس.

المسلمون عن هذا العطاء الإلهى فى القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، رغم أن الله ﷻ فرض عليهم التدبر فى آياته الكونية للنهوض بالحقيقة العلمية للانطلاق من خلالها إلى آفاق الكون، أخذ من قولَه تعالى : " كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته " وقولَه سبحانه : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(١) وقولَه ﷻ:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾(٢) أى هل يستخدمون عقولهم ويتفهمون آيات القرآن الكريم أم أن على قلوبهم أقفال(٣) أقفلها الله ﷻ لنكوصهم عن التدبر، وإعمال العقل فهم لا يعقلون.

وفى هذا إشارة إلى أن الترقى فى تدبر آيات الله، وتفهم أبعادها للتوصل إلى أسرار إعجاز الخالق سبحانه فى الكون والإنسان، إنما هو بتوفيق الله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾(٤).

فكان على المسلمين احتراما لهذه الخطابات القرآنية، إعمال النظر والتأمل فى آليات الكون، للترقي إلى مدارك(٥) العلم، وأن يسابقوا الغير للأخذ بأسباب الحقائق العلمية وتجلية أسرار الله فى الكون أمتهم أمة موجهة – بالكسر – لا موجهة.ينقل الغير عنها، بمثل ما تنقل هي عن الغير . لتتفاعل ومعطيات الله ﷻ في قرانه العظيم . هذا الكتاب الذى نزل محفوظا، ليرفع من شأنهم إذا اتخذوا من آياته مصدرا للإلهام ورمزا للتقدم والابتكار(٦) استنباطا من قولَه تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾(٧) وتأسيسا

---

(١) سورة يونس : الآية رقم ١٠١ .
(٢) سورة محمد : الآية رقم ٢٤ .
(٣) الأقفال، جمع قفل – بالضم – وهو أداة الغلق.
(٤) سورة طه : الآية رقم ١١٤ .
(٥) المدارك جمع مدرك وهي مواضع طلب الشئ، من أدركته، إذا طلبته فلحقته. والإدراك بلوغ موضع الحكم، بعد تفكير وتأمل، ويقال : مدارك أى مواضع طلب الأحكام، المصباح المنير، صفحة ١٩٢ .
(٦) الابتكار السبق بشئ لم يسبق فيه. من بكر إلى الشئ أسرع إليه .المصباح المنير، صفحه ٥٨، ٥٩ .
(٧) سورة طه : الاية رقم ١١٤ .

على ما أخبر به سبحانه فى قولَه: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[١].

ولأن الابتكار إنما يتولد عن التأمل وتقليب الأفكار على كل الوجوه للتوصل إلى النتائج المستهدفة مما يعرف (بالتجارب المعملية) فإن التوصل إليها إنما يتوقف على إعمال العقل. والغوص فى العلوم، والمعارف بجميع فروعها الطبيعية والإنسانية، بآليات تناسب العصر، وتواكب التطور العلمي المذهل .

وهو ما اعتنى به الإسلام اعتناءً شديداً لتأخذ أمة الإسلام مكانها اللائق بين الأمم انطلاقا من قولَه تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾[٢] وقولة ﷻ: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٣] فهذه دعوة للانطلاق نحو التأمل والنظر فى المثليات الكونية، والإنسانية لإجراء التجارب والبحوث المعملية والتى تؤدى فى النهاية إلى النهوض بالعلم والوصول إلى التقنيات الحديثة لأعمار الأرض وتحقيق النفع للإنسان فى العلوم الكونية والشرائح الإنسانية على وجه العموم ولذلك قال ﷺ : " الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها"[٤]

(١) سورة الأنبياء : الآية رقم ١٠ .

(٢) سورة العنكبوت أية رقم ٤٣ .

(٣) سورة يونس : الآية رقم ١٠١ .

(٤) سنن ابن ماجة الجزء٢ صفحة ١٣٩٥ للحافظ أبى عبد الله محمد زيد القزوينى – المكتبة العلمية – بيروت .

المبحث الثاني

الإسلام واحترام العقل

المبحث الثاني

الإسلام واحترام العقل[1]

العقل في ضوء القرآن الكريم، هو مناط التفكير، والتأمل، وهو الغريزة التي يتهيأ بها الإنسان إلى فهم الخطاب، وإدراك الأشياء، وبه يبلغ الإنسان حد الالتزام الشرعي، وتحمل المسئولية لقوله – ﷺ – "رفع القلم عن ثلاثة: الصبي حتى يبلغ، والمجنون حتى يعقل، والنائم حتى يستيقظ"[2] ورفع القلم، أي رفع الإثم والمؤاخذة، لانعدام العقل. وقد حدد الإمام الغزالي ضابط العقل في أربعة معان على وجه الاشتراك .

المعنى الأول: هو الوصف الذي به يفارق الإنسان البهائم . أي أنه بالنسبة للإنسان أداة التفكير والتدبر، من عقلت الشئ تدبرته[3]، وهو بهذا الوصف غريزة يدرك بها الإنسان مناهج العلوم النظرية المعصبة بحيث يرتب الفكرة في الذهن يبتدئ من كل الوجوه عن طريق النظر في الأدلة والأسباب ليتوصل بها إلى المطلوب إثباته شرعا، أو وضعا، سواء توقف عند الظن، أو تعداه إلى العلم. وهو ما يعرف بتوظيف الأدلة، والنصوص للدلالة على الحكم .

---

(١) العقل مصدر عقل . وله عدة معان في اللغة، فيقال : للعقل . القوة المهيئة لقبول العلم كما يقال : للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل. وهو بهذا المعنى ممدوح، وأشار إليه الرسول ﷺ – بقوله : " ما كسب أحد شيئا أفضل من عقل يهديه إلى هدى، أو يرده عن ردي، وهو المعنى بقوله تعالى : " وما يعقلها إلا العالمون " (سورة العنكبوت آية رقم ٤٣). ولذلك نفى بعض مواضع ذم الكفار نظار القرآن الكريم إلى أن ذلك لعدم العقل فيهم . كما في قوله تعالى : "ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون " سورة البقرة آية رقم ١٧١) ويطلق العقل على الإمساك والاستمساك، كعقل البعير بالعقال، كما يطلق على الكف من عقل لسانه كفه عن الكلام . المفردات في غريب القرآن، صفحة ٣٤٢، المصباح المنير، صفحة ٤٣٣ .

(٢) سنن ابن ماجة جزء ١، صفحة ٦٥٨ .

(٣) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي المتوفى ٥٠٥هـ الجزء ١ صفحة ١٠٣، طبعة دار الغد العربي.

وهذا المفهوم للعقل نبه إليه القرآن الكريم فى أكثر من آية ليؤكد احترام الإسلام لترتيب الأفكار والتأمل فيها للوصول إلى النتائج الصائبة.

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾[1] أي لم ينظروا فى أنفسهم ويتأملوا فى إتقان خلق السموات والأرض فيعلمون أن ذلك لا يكون إلا بحكمة حكيم .

قال القرطبي : إنما أمروا أن يستعملوا التفكر فى خلق السموات والأرض، وأنفسهم حتى يعلموا أن الله لم يخلق السموات والأرض وغيرهما إلا بالحق، أي بالحكمة والعدل، وفى هذا تنبيه على توحيد الله وتعظيم قدرته[2] وقال ﷻ : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[3] فأشارت الآية إلى أن أقدر الناس على فهم آيات الله الكونية، هم ذووا العقل المتوقد الذي يكشف عطاء الله فى الكون أرضا وسماء.

المعنى الثاني: العقل بمعنى للعلم الضروري كالعلم بجواز الجائزات، واستحالة المستحيلات، فمن الأول أن الاثنين أكثر من الواحد، ومن الثاني أن الشخص الواحد لا يكون فى مكانين فى وقت واحد، وتسمية هذا العلم الضروري بالعقل ظاهر، لأنه موجود لدى كل مميز .

المعنى الثالث: العقل بمعنى معرفة عواقب الأمور، كمن يقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة، ويقهرها بقوة المعرفة للعاقبة . فمن فعل ذلك يسمى عاقلا . لأنة نظر فى العواقب فأحجم، وهو مما

---

(١) سورة الروم : آية رقم ٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد ابن أحمد الأنصاري القرطبى – طبعة دار [illegible] ١٤١٧ هـ ١٩٩٦، الجزء ٧، صفحة ٥٢٦٤ .

(٣) سورة الروم أية رقم ٢٤

يتميز به الإنسان عن الحيوان [١] ويسمى العقل بالعقل الوازع [٢] وقد دعا القرآن الكريم إلى النظر فى عواقب الأمور وجعل ذلك من مهمة العقلاء فقال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[٣] وقال ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٤]

المعنى الرابع: العقل بمعنى العلم التجاربى. أي المعرفة المستفادة من التجارب المعملية بحسب الأحوال والوسائل. فمن أمعن النظر ليوظف الأسباب ويجرى التجارب للوصول إلى النتائج المستهدفة لخدمة العلم وتحقيق النفع للناس فهو عاقل، وكذلك من حنكته التجارب فى دنيا التعامل مع الناس فبات أخبر بطرق التعامل معهم، فهو عادة عاقل. لأنه وأخذ التوقي والحذر .

والواقع أن أغلب أقسام العقل هذه تتفاوت فيها الناس. فالعقل الوازع الذي يقهر الشهوة، لا يخفى تفاوت الناس فيه . فمنهم من يقوى ومنهم من يضعف، بل يدخله تفاوت أحوال الشخص الواحد فيه، إذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات، دون بعض[٥] وأم العقل بمعنى علم التجارب فتفاوت الناس فيه لا ينكر . بل واقع ومشاهد فإن من الباحثين فى علوم التجارب، من يكون فى إدراك المعلومة وتصور الفكرة أسرع. وفى

---

(١) أحياء علوم الدين، الجزء ١ ن صفحة ١٠٤

(٢) الوازع اسم فاعل، من وزع بمعنى منع . وزعته عن الأمر منعته عنه وحبسته، ولذلك جاء في التنزيل : " وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون " (النمل : أية رقم ١٧)، نقيل : "يوزعون "، أي حبس أولهم على آخرهم، المفردات فى غريب القرآن، صفحة ٥٢١، ٥٢٢، المصباح المنير، ٦٥٧ .

(٣) سورة البقرة أية رقم ٤٤

(٤) سورة الأنعام : أية رقم ١٥١

(٥) إحياء علوم الدين : الجزء ١، صفحة ١٠٦ .

المختبرات العلمية أدق وأعمق. ففاق غيره من الباحثين فى نفس المجال، وإنما يرجع التفاوت بين الناس فى هذا الميدان إما للتفاوت فى الغريزة أي التمايز الفطري فى النبوغ وإما للتفاوت فى الممارسة. أى كيفية استخدام آليات البحث للوصول لأفضل النتائج.

ويقاس مدى تحقق الإصابة فى النتائج بمدى الدقة فى اختيار مكونات التجارب البحثية، والتدرج فى الاختبارات المعملية للتأكد من مدى صحة المقدمات لتحقق أفضل النتائج.

وتلك هى سنه الله، الجارية فى جميع خلقة، أنه أقام فيهم التدريج للوصول إلى الغاية المثلى سواء فى الخلق أو فى التشريع.

فمثلا فى الخلق، لم ينشأ الجنين جنينا كامل الخلقة دفعة واحدة، وإنما جعله نطفة، ثم علقه، ثم مضغة، ثم عظاما، ثم كسا العظام لحما، ثم نفخ فيه الروح فكان إنسانا[١] وحتى بعد أن أصبح صبيا بعد الولادة لم يظهر الله الشهوة عند البلوغ دفعة واحدة، وإنما جعلها تظهر شيئا فشيئا على التدرج حتى اكتملت عند البلوغ[٢] أما فى التشريع فالنموذج الظاهر فى التدرج هو تحريم الخمر، فأول الجواب عمها أنه الله ﷻ قرر، أن الخمر وإن كانت تجلب نفعا، بالتجارب فيها، فإنها تجلب إثما وشراً أكبر مما تجلب نفعا. فقال تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾[٣] فتركها بعض الناس وقالوا: لا حاجة لنا فيما فيه إثم كبير، ومضى بعض الناس فى الوقوع فيها، وقالوا : نأخذ

(١) يؤخذ هذا التدريج من قوله تعالى : ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين (١٣) ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين " (سورة المؤمنون: أية رقم ١٣، ١٤)

(٢) إحياء علوم الدين، الجزء ١، صفحة ١٠٦ .

(٣) سورة البقرة : أية رقم ٢١٩

منفعتها، ونترك إثمهما، حتى نزلت الآية وهى قولة تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾(١) فتركها بعض الناس وقالوا: لا حاجة لنا فيما يشغلنا عن الصلاة. وشربها بعض الناس فى غير أوقات الصلاة. حتى نزلت الآية القاطعة فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾(٢) فاقتضى ذلك الاجتناب المطلق الذي لا ينتفع معه بشئ بوجه من الوجوه(٣) فدل هذا على أن التدرج فى الوصول إلى غاية المأمول سنة من سنن الإسلام،وأصل مقرر شرعا. وهو نفس المنهج الذى تتبعه المؤسسات العلمية الحديثة، تنتقل بالفكرة من حال إلى حال وتتدرج بها للوصول إلى الحد الذى أذن الله به فى الحقيقة العلمية، وبما يحقق نفعا للبشرية.

(١) سورة النساء : آية رقم ٤٣
(٢) سورة المائدة آية رقم ٩٠
(٣) تفسير القرطبى، الجزء ٣، صفحة ٢٣٧٧، ٢٣٨٠

خصائص العقل فى الفكر الإسلامى

يتميز الخطاب القرآني فى الآيات العقلية، بأنه ينبه إلى وظائف العقل وخصائصه، وأن هذه الخصائص تتعدد بتعدد مواطن الخطاب الوارد فى شأن العقل وتنوع مناسباته. فنجد من آيات القرآن الكريم ما تخاطب العقل الوازع، بينما تجد أخرى تخاطب العقل المدرك، الذى يفهم الأمور ويتصورها، وثالثة، تخاطب العقل المتأمل والمتدبر، لاستخلاص النتائج، والأحكام ن مما يدل على أن التفكير فى آيات الكون فريضة إسلامية للاستفادة من عطاءات الله تعالى فيه من كل وجه بما يحقق مصالح الإنسان. وهو ما يرمز إلى قيمة العقل فى الإسلام.

يقول الأستاذ العقاد : " وفريضة التفكير فى القرآن الكريم تشمل العقل الإنسانى بكل ما احتواه من هذه الوظائف بجميع خصائصها، ومدلولاتها . فهو يخاطب العقل الوزاع، والعقل المدرك، والعقل الحكيم (المتأمل) والعقل الرشيد . ولا يذكر القرآن الكريم العقل عرضا مقتضبا، بل يذكره ن مقصودا، مفصلا على النحو لا نظير له فى كتاب من كتب الأديان الأخرى [١] . **وللتعرف على أهم خصائص العقل ووظائفه أعرضها فيما يلي:**

أ- **العقل الوزاع:** أى الذى يحول بين صاحبه وبين ما يشتهيه مما هو محظور عليه . فيمنعه من الوقوع فيه، وهو بهذا الوصف مشتق من مادة "عقل " بمعنى مسك ومنع، ومنها عقل البعير، أي إمساكه عن الإفلات.

وهذه الخاصية تتميز بأنها إذا توافرت انطلقت من عباءتها الخصائص الأخرى، لن الإنسان إذا قمع نفسه عن الاشتغال بإفرازات الإفساد، فإنه يضحى خاليا من كل ما يشوش [٢] على صفاء الذهن وتوقد العقل، فينطلق

(١) التفكير فريضة إسلامية، عباس العقاد، صفحة ٥ نهضة للطباعة والنشر.

(٢) شوشت عليه المر تشويشا خلطته عليه، المصباح لمنير، صفحة ٣٢٧ .

إلى التأمل والابتكار، وبذلك يكون العقل الوازع هو المهيئ لانطلاق العقل المدرك والعقل المتأمل. ولذلك اهتم القرآن الكريم بالتنبيه إلى هذه الخاصية المميزة للعقل فذكر بها، محذرا من الوقوع فى الشهوات المغيبة للعقل . ومن ذلك .

قولَه تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(١) وفى التحذير من الإعراض عن العقل، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾(٢) والمعنى لو كنا نسمع سماع من يعى ويفكر، أو نعقل عقل من يميز، وينظر، ما كان مالنا إلى السعير يوم الدين.(٣)

وفى بيان لأسباب التشتيت والفرقة بين الأمم، أشار القرآن الكريم إلى أن ذلك مرجعة إلى تعطل العقل. قال تعالى: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾(٤) أى أن التشتيت والفرقة، إنما يرجعان إلى أن هؤلاء لا عقل لهم يعقلون به أمر الله، ويهتدون به إلى اتباع الحق . وفى الحث على تحكيم العقل وأخذ العبرة من أحداث التاريخ، حذرا من الوقوع فى أخطاء الآخرين. قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(٥) .

ب- العقل المدرك : وهذه خاصية عبر عنها القرآن الكريم بأولى الألباب.
لأن اللب هو العقل، الفاهم، المدرك الذى خلص من الشوائب وبات زكيا(٦) لإدراك الأحكام من أدلتها.

(١) سورة الأنعام : أية رقم ١٥١
(٢) سورة الملك : أية رقم ١٠
(٣) تفسير القرطبى، الجزء ١، صفحة ٦٩٣٩ .
(٤) سورة الحشر : أية رقم ١٤
(٥) سورة يوسف : أية رقم ١٠٩
(٦) الزكى وصف يلحق الإنسان وغيره، مأخوذ من الزكا بمعنى النمو الحاصل عن بركة الله تعالى ومنه الزكاة المفروضة فى المال، والعقل الزكى هنا أي نمت مواهبه وإدراكاته، ببركة الله تعالى فاصبح مزكى ==

ولذلك فكل خطاب فى القرآن الكريم نزل متوجها إلى ذوي الألباب فإنه خطاب إلى العقل المدرك، ومن ذلك ما يأتى:

١- قال تعالى: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ [١] فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٢]

فقد أثنى الله تعالى الآية على أهل الرسوخ فى العلم، لأنهم استعملوا عقولهم فى فهم القرآن وأدركوا بالدلائل اللفظية أن كله – المحكم منه والمتشابه – من عند الله، ثم أعلى شأنهم فأشار فى الآية إلى أنه لا يتفهم أبعاد آيات القرآن الكريم إلا ذووا العقول الواعية الذين يدركون الأحكام من الدلائل، مما يعد تشريفا للعقل المدرك الواعي بالدلائل والأحكام.

٢- وقال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٣]

٣- وقال سبحانه: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٤]

فأشارت آية الزمر إلى أن الذين يتخيرون الحسن من القول ويتفاعلون معه دون القبيح، هم أصحاب العقول الخالصة الواعية، فاستحقوا الهداية من الله، لما يقصدون، وإعانته لهم فيما يطلبون . وأفادت آية البقرة إلى أن الله ﷻ أعطى الحكمة فى معرفة دلائل القرآن، الفقه فى الدين والعمل به، لمن يدركها وأنه لن يدرك ذلك إلا من وهبه الله مفتاح الحكمة وهو العقل

=بالخلقة، ومنه قوله تعالى : " لأهب لك غلاما زكيا " (سورة مريم أية رقم ١٩) المفردات فى غريب القرآن، صفحة ٢١٣، ٢١٤

(١) أصل الرسخ الثابت المتمكن، والراسخ فى العلم، المتحقق به، والمتمكن منه، الذى لا يعرضه شبهة، المفردات فى غريب القرآن، صفحة ١٩٥

(٢) سورة آل عمران : أية رقم ٧ .

(٣) سورة الرمز : أية رقم ١٨ .

(٤) سورة البقرة : أية رقم ٢٦٩

المدرك، لذلك قال تعالى: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[١] .

ومن خلال هذه الآيات القرآنية يتبين لنا أن العقل المدرك، له نصيب من الفهم والوعى، ما يجعل صاحبه من أولى الحكمة ويرتقى بها فوق العقل الوازع حيث يمكنه بها التمييز بين الحسن والأحسن. ولذلك خاطب الله ﷻ العقل هنا باللب، أي الخالص باعتباره معدن الإدراك والفهم فى ذهن الإنسان.

قال الراغب الأصفهاني[٢] : "علق الله تعالى الأحكام التى لا يدركها إلا العقول الذكية، بأولى اللباب، ومنه قولَه تعالى : ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٣]

وقال الرازي : "لأن العقل لَه ظاهر وله لب، ففى أول الأمر يكون عقلا وفى كمال الحال يكون لبا"[٤]

جـ- العقل المتأمل المفكر :

وهذه خاصية أدق من الخاصيتين السابقتين، فهى تتعلق بإعمال ملكة الفكر للنظر، والتدبر والتعمق، بعد إدراك الأشياء وتصورها، وبناء على هذا التأمل تدخل الفكر دائرة والتحليل والبحث المنهجى والتقليب على كل الوجوه، لاستخلاص زُبد الرأيِ فيها، والوصول لأفضل النتائج للإعلان عنها، مما يجعل الإنسان يرتقي بهذه الوظيفة العقلية إلى منزلة الرسوخ فى العلم[٥] وكما تلعب هذه الخاصية للعقل دورا كبيرا فى مجال العلوم النظرية فإن دورها أعظم فى مجال البحثية التى تقوم على التجارب المعملية.

---

(١) سورة البقرة : أية رقم ٢٦٩
(٢) المفردات فى غريب القرآن، صفحة ٤٤٦
(٣) سورة البقرة : أية رقم ٢٦٩
(٤) تفسير الرازى، مفاتيح الغيب (أو التفسير الكبير) للإمام فخر الدين الرازى، طبعة دار الفكر، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م الجزء ٣، صفحة ٦١٨
(٥) التفكير فريضة إسلامية، صفحة ٩.

القرآن الكريم والعقل المتأمل

قد جاء الخطاب القرآني فى شأن العقل المتأمل متنوعا، وفقا للعلوم النظرية، والعلوم البحثية. ففي مجال العلوم النظرية قال تعالى فى العقل المتأمل للوصول إلى الحقيقة ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(١) فمن يتأمل الحياة والعدم، وظلام الليل وضوء النهار، يسلم بأن هذه لا تكون إلا بقدرة قادر وقهر غالب. وقال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ (٢) ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا (٣) سُبْحَٰنَكَ (٤)﴾(٥) وقال ﷻ: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾(٦)، قال القرطبي: المراد نظر اعتبار وتفكر، للتيقن بأن القادر على إيجادها قادر على الإعادة (٧) وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۞ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾(٨) وقد كان إبراهيم عليه السلام كما نقل عنه القرآن الكريم أول من استخدم منهج التأمل والانتقال من حال إلى حال للوصول إلى الحقيقة رافضا منهج التقليد وإلغاء العقل(٩).

---

(١) سورة المؤمنون :أية رقم ٨٠ .

(٢) إشارة إلى عبودية الله باللسان.

(٣) إشارة إلى عبودية الجوارح والأعضاء.

(٤) إشارة إلى عبودية القلب، والفكر والروح، ويعنى هذا أن اللسان إذا كان مستغرقاً فى الذكر، والجوارح والأركان فى الشكر، والجنان فى التفكر كان العبد بجميع أجزائه مستغرقاً فى العبودية، لأن الانسان ليس إلا مجموع هذه الثلاثة.

(٥) سورة آل عمران أية رقم ١٩١ .

(٦) سورة ق : أية رقم ٦ .

(٧) تفسير القرطبي، الجزء ٩، صفحة ٦٤٠٤

(٨) سورة طه : أية رقم ٥٣، ٥٤ .

(٩) فقد رفض ما كان عليه قومه من عبادة الأصنام كما جاء فى قولة تعالى : "وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إنى أراك وقومك فى ضلال مبين " (سورة الأنعام : أية رقم ٧٤).

وسجلت الآيات الكريمة هذا المنهج الفريد فى الاستدلال. فقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ۝ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[١]

فأشارت هذه الآيات الكريمة إلى أن العقل المتأمل يلعب دورا عظيما في الوصول للحقيقة[٢] وهى دعوة لتفعيلة لاكتشاف الحقائق العلمية. أما فى مجال العلوم البحثية سواء كانت كونية أو إنسانية، فقد جاء الخطاب القرآني حثاً عليها وتنشيطاً للعقل المتأمل المبتكر، ففى البحوث الكونية نجد قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[٣]، فالآية تلفت الانتباه إلى أن المجموعة العلوية من شمس وقمر ونجوم، إنما تحمل منافع للبشرية على وجه العموم، ولن تصل البشرية إلى هذه المنافع، إلا بإعمال العقل وفتح آفاق جديدة فى علوم الفضاء والكونيات لخدمة العلم الديني، والعلم الإنساني .

أما خدمة العلم الديني فمن خلال آلية معاصرة ترصد ميلاد الهلال لتوحيد الرؤية فى جميع بلدان العالم الإسلامى للعمل بها فى العبادات والمواسم والأعياد، تفعيلا لوحدة المسلمين

---

(١) سورة الأنعام أية رقم (٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩).

(٢) وقد كافأ الله ﷻ إبراهيم عليه السلام لاستخدامه منهج التأمل والتفكر للوصول للحقيقة بأن كشف له فى ملكوت السموات والأرض ما لم يكشفه لغيره حتى يصل بعلمه لدرجة اليقين . فقال تعالى :" وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين" سورة الأنعام أية رقم ٧٥.

(٣) سورة يونس : أية رقم ٥

وأما خدمة العلم الإنسانى فمن خلال آليات البث الصناعي تسهيلا للتواصل بين الحضارات وتحريكاً للمعلومات بين دول الإسلام والانطلاق إلى العلمية لنشر الفكر الإسلامى الصحيح، عقيدة وشريعة، أخلاقاً وآداباً، منهجاً وسلوكاً تأكيدا لعالمية الإسلام . ولن تستعصي هذه المجموعات الكونية العلوية على ذوي العقول النابهة، وذوى الخبرات المتخصصة الذين عناهم القرآن الكريم بأهل الذكر(١)، وأولى الحكمة(٢).

ذلك أن الفضائيات كلها مسخرة لمصالح الإنسان أينما كان، وفى أي زمان تحقيقا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٣)

قال الإمام الرازى: معلقاً على الآية، هذه الآية بشارة عظيمة للعقلاء. لأنه تعالى قال: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ أي أن الذي يربيكم، ويصلح شأنكم، ويوصل إليكم الخيرات، ويدفع عنكم المكروهات، وهو الذى بلـــغ كمال قدرته، وعلمه وحكمته حيث خلق هذه الأشياء العظيمة، وأودع فيها أصناف المنافع، وأنواع الخيرات "(٤) ونظيرها قولَه تعالى: ﴿ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٥) .

فمن إعجاز الآية أنها ربطت بين الرياح والسحب وانهما متلازمان لإنزال المطر لإحياء الأرض الموات، فقد ثبت علميا أن الرياح هى التى

---

(١) فى قوله تعالى : "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون " (سورة النحل : أية رقم ٤٣).
(٢) كما فى قولة سبحانه :"يؤتى الحكمه من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثير (سورة البقرة أية رقم ٢٦٩)
(٣) سورة الأعراف أية رقم ٥٤ .
(٤) تفسير الرازي، الجزء ٧، صفحة ٩٩ .
(٥) سورة البقرة أية رقم ١٦٤

تثير السحب. حتى تجود بالمطر. وفقا لما أشارت إليه آية الروم فى قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا ﴾(١).

ومن وجه أخر قررت الآية أن من حكمة الله فى سننه الكونية انه خلق الرياح ووجهها وفقا للمصلحة التى أنيطت بها بحيث تعود فى النهاية بالنفع على العباد وهى فى ذلك مسخرة بإدارة إلهيه متفردة أخذا من قوله تعالى: ﴿ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ﴾(٢) وحتى ينشط العلم بكل تقنياته للانتفاع بتصريف الرياح وموجاتها المتغيرة من حال إلى حال بتقدير العزيز الوهاب: توطئة للاستفادة منها من كل وجه وفى كل عصر، سواء فى علوم الاتصال أو تكنولوجيا الفضاء.

ولقد وجه الله تعالى الخطاب فى هذه الآية إلى أولى العقل والنظر. فقال تعالى: ﴿ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾(٣)، مما يشعر بأن العلم بالمجموعات الكونية العلوية إنما يبلغ مدارجه بالعقل المتأمل من خلال البحوث والتجارب المعملية .

تنفيذا لقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾(٤) وقوله ﷻ : ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾(٥) .

والسلطان هو الحجة التي وهبها الله تعالى لأولى الألباب، للنهل من

---

(١) سورة فاطر : آية رقم ٩
(٢) سورة البقرة آية رقم ١٦٤
(٣) سورة البقرة آية رقم ١٦٤
(٤) سورة يونس آية رقم ١٠١
(٥) سورة الرحمن آية رقم ٣٣

عطائه فى الأرض والسموات . ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾[١] .

ومن هذه الآيات يتضح أن الله ﷻ شرف العقل بملكات تمكن الإنسان من اكتشاف الحقائق العلمية بناء على ما ساقه فى القرآن الكريم من منهج الاستدلال القائم على سلامة الفروض والمسلمات. أما فى مجال البحوث الإنسانية، فقد نبه القرآن الكريم فى إشارته إلى علم الأجنة ولفته النظر إلى الخلايا الحية، التى تؤكد أن الجسم الانسانى يقوم على توازن دقيق محكم، مما يستلزم إعمال العقل فى ميدان البحوث الإنسانية التجريبية. للغوص فى دقائق الجسم وأسراره، كشفا لإعجاز الخالق فى الخلق ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾[٢] تجد ذلك فى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةً فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمًا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾[٣] وتلخيصا لهذا التسلسل قال تعالى: ﴿ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴾[٤] فأشارت الآيات إلى أن الجنين يتخلق دفعة واحدة وإنما يمر بأطوار مختلفة، مما يفتح باب البحث العلمى لمعرفة مراحل نموه ورصد نوعه ذكرا أو أنثى وفى المقابل نبه القرآن الكريم إلى هناك حالات ينعدم فيها الإنجاب أو تعوقه مشاكل فى التخصيب ليفتح بابا من أبواب العلم فى علاج العقم وفقا لمشيئته سبحانه، فقال ﷻ: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانًا وَإِنَٰثًاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ﴾[٥] .

وفى آية أخرى لفت الانتباه إلى انتقال الصفات الوراثية عن طريق الجينات التى تكونت من مزيج ماء الرجل والمرأة فقال تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا

(١) سورة النساء آية رقم ١٢٢

(٢) سورة الذاريات آية رقم ٢١

(٣) سورة المؤمنون آية رقم ١٣، ١٤

(٤) سورة نوح آية رقم ١٤ .

(٥) سورة الشورى آية رقم ٤٩، ٥٠

ﭐلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ ﴾[١]، فالأمشاج هى الخليط من نطفة الرجل وبويضة المرأة الذين يساهمان فى تكوين النطفة الملقحة والتي بدورها تحمل الكروموسومات والجينات التى تدخل فى تكوين الجنين وتعطى الإشارة بتمثيل الصفات الوراثية سواء فى الأبوين المباشرين أو الأجداد والجدات[٢].

وأدوات العلم الحديثة تلعب دوراً مهماً فى كشف هذه الصفات عن طريق الجينات والخلايا، التى ترجع فى الأصل إلى النطفة الأمشاج . ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾[٣].

والحاصل : أن اهتمام القرآن الكريم بخطاب العقل إنما يعكس رؤية الإسلام للبحث العلمى ومنهج الاستدلال، وإعمال العقل فيه سواء بالإدراك والتصور، أو بالتأمل والتدبر، وتحرير العقل من كل ما يقيده عن حسن الإدراك وبلوغ حد الابتكار. مما يعطى انطباعا لدى الكافة، أن الإسلام يحترم العقل ويفتح لَه الباب للانطلاق إلى الآفاق سواء فى العلوم النظرية أو العلوم البحثية التجريبية على نحو ما أسلفنا. ذلك لتحقيق مقاصد الشرع فى مصالح الخلق، وللاستفادة بأقصى طاقة من مسخرات الكون، وهذا الاهتمام بالعقل فى الفكر الإسلامي إنما يؤسس على أن العقل هو منبع العلم، ومطلعة وأساسه، فالعلم – كما يقول الغزالى – يجري من العقل مجرى الثمر من الشجرة، والنور من الشمس، من العين . لهذا كان شرف العقل مدركا بالضرورة[٤]، وهو ما حدا بالسنة الشريفة أن تهتم بالعقل وتعلى من قدره فى اكثر من حديث رواها الغزالي في الإسلام نذكر منها .

---

(١) سورة الإنسان : آية رقم ٢

(٢) الإعجاز العلمي فى الإسلام (القرآن الكريم) محمد كامل عبد الصمد، صفحة ٢٠٠، ٢٠١ و الدار المصرية اللبنانية.

(٣) سورة المؤمنون آية رقم ١٤

(٤) إحياء علوم الدين، الجزء ١، صفحة ١٠١ .

١- عن أنس رضي الله عنه قال : "أثنى قوم على رجل عند النبي – ﷺ – حتى بالغوا . فقال ﷺ كيف عقل الرجل ؟ فقال نخبرك عن اجتهاد فى العبادة، وأصناف الخير، وتسألنا عن عقله ؟ فقال ﷺ : "إن الأحمق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر، وإنما يريد العباد غدا فى الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم "(١).

٢- عن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه إلى هدى، ويرده عن ردي، ومن إيمان عبد، ولا استقام دينه حتى يكمل عقله ".

٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : "لكل شئ آلة، وعدة، وإن آلة المؤمن العقل، ولكل شئ مطية، ومطية المرء العقل . ولكل شئ دعامة، ودعامة الدين العقل "(٢)

---

(١) نوادر الأصول فى أحاديث الرسول : الجزء٢، صفحة ٣٥٧ .

(٢) إحياء علوم الدين بتخريج الحافظ العراقي للوقوف على مصدر هذه الأحاديث وسندها الجزء ١، صفحة ١٠٢ ، ١٠٣، طبعة العد العربي.

المبحث الثالث

تعظيم العلم وإكبار العلماء
مبدأ أصيل فى الإسلام

المبحث الثالث

تعظيم العلم[1] وإكبار العلماء مبدأ أصيل فى الإسلام

قبل الدخول فى عرض موقف الإسلام من العلم والعلماء حرى بنا أن نطرح سؤالا فى غاية الأهمية، ربما يتردد كثيرا فى الأوساط العلمية، والأوساط الثقافية. وهو: هل العلم يتعارض مع الدين؟ وبصيغة أكثر صراحة هل يقف الإسلام كدين عائقا أمام الحقائق العلمية؟ وهل يحجر على فكر العلماء فيعوق تقدمهم فى البحث والتقصي للوصول إلى حد الابتكار والإبداع ؟ وهل من الوارد أن يتهم الإسلام كدين بأنه يوصـد الباب فى وجـه العلم، ويغل إبداعاته؟

وإذا كان السؤال هكذا على درجة كبيرة من الأهمية ؟ فإن الإجابة عليه تكون بالضرورة أكثر أهمية . لأنها ترد الأمور إلى نصابها، وتضع الحقائق كاملة بالتقصي والاستقراء،بحيث ترفع هذا اللغط عن موقف الإسلام من العلم، وتزيح الغمامة عن التوافق بين الإسلام كدين خاتم، وبين العلم كضياء يرتقى بالبشرية فى أعلى عليين .

---

(١) العلم مصدر علم . من علم الشئ – بالكسر – يعمله علماء بمعنى عرفه . ويقال رجل علامة . أى عالم جدا، والهاء للمبالغة، كما يقال : علمه الشئ تعليما فتعلمه، وتعالمه الجميع، أي علموه . أما العالم – بفتح اللام – فهو الخلق، والجمع العوالم و العالمون أصناف الخلق ويأتى العلم بمعنى اليقين، يقال علم الشئ أي تيقن، والعلم إن حصل من كسب فهو مسبوق بجهل ومنه قولَه تعالى : "ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق " سورة المائدة آية رقم ٨٣ وعرفوا أي علموا والعلم على ضربين العلم النظري، كالعلم بموجودات العلم و العلمى ما لا يتم إلا بأن يعمل أي العلم التطبيقى كالعلم بالعبادات للعلم بها، وأعلمته، وعلمته فى الأصل واحد . إلا ان الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر فى نفس المتعلم .

وقيل : إن التعليم تنبيه النفس لتصور المعانى، والتعلم تنبه النفس لإدراك هذه المعنى فى روعة ليتصورها ثم جعل لَه قوة و بها نطق ووضع أسماء الأشياء . وهو نوع من العلم الخاص الذي اختص الله به بعض عباده كقوله تعالى: "وعلمناه من لدنا علما" سورة الكهف آية رقم ٦٥ وقولَه : "أتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا " الكهف آية ٦٦ وقولَه : "قال الذي عنده علم من الكتاب " سورة النمل آية رقم ٤٠ المفرادت فى غريب القرآن، صفحة ٣٤٣، ٣٤٤، مختار الصحاح، محمد بن أبى بكر الرازي – طبع دار نهضة مصر للطبع والنشر .

لذلك فإجابتنا على هذا السؤال هي: أن الإسلام كدين ورسالة لا يمكن أن يغل العلم فى أي مرحلة من مراحله أو يعوق تقدمه بل إنه يوجهه إلى ما فيه الخير للبشرية، ويصحح مساره لخدمة مصالح الإنسان أينما كان، وفى أى زمان، بل إن القرآن الكريم، وهو وحي الله المنزل، نهج طريق العلم فى كشف دلائل قدره الله فى الكون والخلق للوصول إلى الحقائق الدالة على الإيمان بوحدانية الله كما فى قولَه تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[1] وقولَه ﷻ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[2] قولَه ﷻ: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾[3].

دلت الآيات على أن مسخرات الله فى الكون، من شمس، وقمر وليل ونهار، إنما تفضل الله بها على عباده، ليعلموا من حركتها، عدد السنين وحساب الأيام، وبداية ونهاية الشهور والفصول فيضبطوا عليها مواسم الزراعة والحصاد، ليبتغوا فيها من فضل الله[4] ولتأخذهم إلى مواضع الحجج، والدلائل، ليعلموا قدرة الله فى الخلق، وتدبيره فى الكون، فيفهموا عن الله أدلته على توحيده مما يرمز إلى توقف أمور الدين والمعاش، على العلم بمسخرات الله تعالى فى الكون فتثير فى النفس الاهتمام بالعلم فيها، وتقصى منافعها لإظهار قدرة الله فيها خدمة للدين، ورعاية لمصالح الإنسان

ومن هذا المنطلق فالدين لا يمكن – عقلاً ونقلاً – أن يغل[5] العلم فى

(١) سورة يونس آية رقم ٥

(٢) سورة فصلت : الآية رقم ٥٣.

(٣) سورة الإسراء: آية رقم ١٢

(٤) تفسير الرازي، الجزء ٨، صفحة ٢٧٩ .

(٥) الغل بالضم – القيد، وهو طوق من حديد يجعل العنق، والجمع أغلال . المصباح المنير، صفحة ٤٥١، ٤٥٢

أي مرحلة من مراحله، وليس لَه من تحفظات على العلم سوى تحفظ واحد لا ينازع فيه عاقل . وهو أن يكون العلم بكل تقنياته الحديثة، وأدواته المعاصِرة علما نافعا يستخدم لصالح البشرية لا للأضرار بها. أو الإفساد فيها استنباطا من قولَه تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾(١) لأن أخطر شئ على البشرية أن تكون من بين النشاط العلمى التفنن فى ابتكار أدوات الدماء والتخريب. فبئساه علم هذا الذي يؤدى إلى خراب الديار وفساد البيئات، وتقطيع الأرحام. ولذلك قــدح فيه الإســلام وذمه، بل إنه جعله من عــداوة الإنسان للبيئة، يجب أن يحارب .

وقد رمز القرآن الكريم إلى ذم العلم الفاسد بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾(٢)

فالولاية كما تكون فى السلطان، تكون فى العلم من تولى الشئ، تقلده: واستعمال العلم فى الإضرار العام من الولاية الفاسدة . قال تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾(٣) .

وخاصة إذا صاحبها الغرور، والإعراض عن النصيحة، فيكون المال سوء المصير .

ونبه إلى ذلك قولَه تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾(٤) ولذلك فالتحفظ الوحيد للإسلام على العلم ألا يستخدم للإفساد فى الأرض أو النسل، أو تقطيع الأرحام.

(١) سورة الأعراف : آية رقم ٥٦
(٢) سورة البقرة : آية رقم ٢٠٥
(٣) سورة محمد : آية رقم ٢٢ / ٢٣
(٤) سورة البقرة : آية رقم ٢٠٦

وفى غير ذلك فالقضية فى العلاقة بين الدين والعلم في الإسلام، هي تعاضد لا تعارض، توافق، لا تصادم، بمعنى أن الدين لا يلغى العلم، ولا العلم ينحي الدين، فكلاهما يلزم الآخر، فالعلم يلزم الدين للتعريف به، وللتنبيه على إعجاز الخالق فى الخلق، والكون. لا أنه يتوقف عليه. وهذا هو المنهج الإسلامى لطرح قضية الإيمان فى القرآن الكريم والسنة .

فالتعرف على الدين عقيدة وشريعة إنما يتم بالعلم به، من خلال جملة المعارف، النازلة فى القرآن والسنة واحتوى الخطاب فيها على العلم للإشارة إلى ضرورته لمعرفة الدين، وفهم أحكامه بدقة .

١- ففى مجال العقيدة وردت خطابات كثيرة فى القرآن الكريم تبرز دور العلم فى خدمة الدين والعقيدة نذكر منها ما يأتى :

- قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[1] فأشارت الآية إلى أن المدخل إلى الإيمان بوجدانية الله تعالى هو العلم بأنه لا إله إلا هو إما بإعلام الله عن نفسه[2] أو بتعليم العلم به عن طريق الاستدلال، كما فى قوله تعالى: ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾[4] وهذا نموذج للعلم التجريبي القائم على البحث والتقصي فى مسخرات الكون لإدراك إعجاز الخالق سبحانه فيها للإذعان له بالوحدانية. قال الماوردى رحمه الله: فى قوله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

---

(٢) سورة محمد آية رقم ١٩

(٢) كما فى قوله تعالى : "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم " سورة آل عمران آيه رقم ١٨

(٣) سورة النمل : اية رقم ٦١

(٤) سورة الأنعام اية رقم ٩٧

الأول : اعلم أن الله أعلمك أن لا إله إلا الله .

الثاني : ما علمته استدلالا بآياته، فاعلمه خبرا يقينا .

الثالث : معناه اذكر أن لا إله إلا الله، فعبر عن الذكر بالعلم لحدوثه عنه[١] .

وبالعلم يستقر فى الوجدان أن ما أنزل إلى الرسول الله ﷺ حق وصدق مما يقتضي الإيمان به عقلا ونقلا . كما فى قوله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٢] ، وكما فى قولة سبحانه ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[٣] ذلك أن العلم الاستدلالي القائم على أعمال العقل فى آيات الكون لا يدركه بتمامه، ولا يعقل أسراره إلا العالم الدقيق المتخصص الذي يفقه مغزى ضرب الأمثال، فى القرآن للهداية للإيمان، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾[٤] ذلك أن العلم لا يخرج عن نقل مصدق أو استدلال محقق .

٢- أما فى مجال الأحكام الشرعية : فقد فصلها القرآن الكريم فى اكثر من موضع وربط فهمها، مرة بالعلم ومرة بالعقل، باعتبار أن عقلها يوصل إلى العلم بها.

تجد ذلك فى الخطابات الآتية :-

١- قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ

(١) تفسير القرطبي، الجزء ٦ و صفحة ٦٢٩٢
(٢) سورة الحديد آية رقم ١٧
(٣) سورة سبأ آية رقم ٦
(٤) سورة العنكبوت آية رقم ٤٣

نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(١)

٢- وقولَه ﷻ: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(٢) فعقل هذه الوصايا، أي فهم مغزاها وحكمة تناولها بالتفصيل والغرض من سياقها مجتمعه فى الآية وهو رعاية ضروريات(٣) الإنسان، للمحافظة عليها والاهتمام بها، ولن يتحقق ذلك إلا بالعلم بأدلتها، وتنوع أحكامها، وفهم مقاصد الشريعة فيها.

أما السنة فمنها ما جاء فى الصحيح عن عمر بن الخطاب وأبي هريرة رضى الله عنهما أن النبي ﷺ كان بارزاً للناس يوما فأتاه جبريل فقال : ما الإيمان قال : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه ورسله، وتؤمن بالبعث، فقال صدقت . ثم قال : فما الإسلام ؟ قال : أن تشهد ألا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، فقال صدقت . ثم قال : فما الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك . قال: صدقت . ثم قال الرسول ﷺ لأصحابه . أتدرون من السائل ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"(٤) فقوله : "أتاكم

(١) سورة الأعراف آية رقم ٣٢

(٢) سورة الأنعام : ١٥١

(٣) ضروريات الإنسان هى ما يطلق عليها، الكليات الخمس، وهى الدين، والنفس، والمال، والنسل، والعقل، وقد تكفلت الشريعة بحمايتها من خلال النص على حرمتها والنص على العقاب على انتهاكها وهى مبسوطة فى كتب الفقة والأصول

(٤) الحيث فى صحيح مع الفتح، الجزء ١، صفحة ٩٦، ٩٧، دار إحياء التراث، صحيح مسلم بشرح النووي للإمام أبي الحسين مسلم بن الرجاح القشيرى النيسابورى، الطبعة الأولى – دار الحديث – القاهرة ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، صفحة ١٥٧

يعلمكم دينكم " دليل على أهمية العلم فى حفظ أمور الدين، وأن السؤال من وحي الله جبريل كان لتنبيه الناس لما يصدر عن النبي ﷺ من إجابة لتستقر فى أذهانهم علوم الشريعة، وكون الرسول ﷺ سمى جبريل معلماً، والسؤال منه علما دل على أن العلم الدقيق، هو ما كان عن سؤال حسن، وجـواب محدد، تنبيهاً لإدراك الشئ وتصوره، وهو المناسـب لفهم أمور الدين ولذلك قال القرطبي: هذا الحديث، يصلح أن يقال لَه أم السـنة، لما تضمنه من جمـل علم السنة .

وقال القاضي عياض : اشتمل هذا الحديث على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة، من عقود الإيمان وأعمال الجوارح ومن إخلاص السرائر، حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه(١) ومما تقدم يتضح أن العلم يخدم الدين فى وجهين :

الوجه الأول: أنه يرد إلى حظيرة الإيمان من خلال كشف أسرار الكون وإعجاز الخالق فى تدبيره، سواء كان علما كونيا أو إنسانيا(٢) .

الوجه الثاني: الإعلام بشرائع الإسلام من خلال ربط الأحكام والتكاليف الشرعية بأدلتها فى القرآن والسنة، مما تتحقق معه رعاية الشرع لمصالح الخلق.

وإذا كان ذلك كذلك . فلا يمكن – من وجهة نظر الإسلام – أن يتنكر الدين للعلم سواء كان علما شرعيا، أو علما طبيعيا تجريبيا .

أما لزوم الدين للعلم فلا يخفى : فإن العلم يفتقر إلى الدين لكبح جماح الإنسان فى الاستخدامات العلمية سواء كانت صناعية أو إنسانية .

---

(١) فتح الباري، شرح صحيح البخارى للشيخ شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلانى المعروف بأبن حجر مع صحيح البخارى طبعة دار المنار ١٤١٩هـ ١٩٩٩م، الجزء ١، صفحة ١٠٣ .

(٢) وفى ذلك جاء التنزيل فى قوله تعالى: "سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" سورة فصلت آية رقم ٥٤

لئلا يتعدى بالعلم على ثوابت الدين أو يدخل مناطق الخطر فى التناسل البشرى كاللعب فى الجينات الإنسانية لاستنساخ البشر، أو وضع النطف المنوية المخصبة فى غير محلها الشرعي، من خلال تأجير الأرحام أو تجميد النطف المنوية غير الشرعية بعد خلطها ومزجها صناعيا لإنتاج إنسان بمواصفات معينه بصرف النظر عن اختلاط النسب، أو جهالته، أو التنازع فيه مما يتسبب فى ضياع النسل، واختلاط الأنساب وإهدار كرامة الإنسانية، وشيوع الفاحشة الباطنة[١] وهنا يكون تدخل الدين ضرورة لكبح جماع العلم وللوقوف ضد التعدي على ثوابت الشرع، ولعدم الإضرار بالنسل والذرية، لأنها من الأمور المحكومة بثوابت لا تقبل الاجتهاد، ولا التنازع . أخدا من قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾[٢] .

فبث النسل رزق من الله تعالى كما اخبر فى كتابه الكريم ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[٣] وفى قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾[٤]، ورزق الله لا يطلب إلا من الحلال الطيب تنفيذا لقوله تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾[٥] ولهذا أجمعت الديان السماوية على أن الطريق الوحيد لبث النسل هو الزواج الشرعي . فإذا ما تجرد العلم من الدين، فإن

---

(١) من الفواحش الباطنة إدخال النطفة فى رحم غير الزوجة الشرعية لإنجاب ولد بالتحاليل، وقد حرم الله جميع الفواحش ظاهرها وباطنها بقوله تعالى : " قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن " (سورة الأعراف آية رقم ٣٣)

(٢) سورة النحل آية رقم ٧٢

(٣) سورة الشورى : ٤٩/٥٠

(٤) سورة الواقعة آية رقم ٥٨/٥٩

(٥) سورة النساء آية رقم ٣

صاحبه لا يتحرج فى أن يتعدى حدود الله، وقد يأخذه الغرور ونشوة الارتقاء فيستدرج من حيث لا يعلم . فيتطاول على المحظورات الشرعية وينتهك المقدسات الدينية وهو يحسب أنه يحسن صنعا . وقد حذر القرآن الكريم من تجاوز حدود الله، وانتهاك المحرمات . فقال تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(١) وقال ﷻ : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾(٢) .

ومحاربة العلم الضار أمر مقرر شرعا فى الإسلام لا بتناء الشريعة الإسلامية على مصالح الأنام ورفع الإضرار عنهم، أحدا من قوله ﷺ " لا ضرر ولا ضرار"(٣) .

وقد أكد ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾(٤) لذلك وجه الرسول ﷺ المسلمين أن يتبنوا العلم النافع ويلحوا فى طلبه، وينبذوا العلم الضار الذي لا ينفع فقال ﷺ : "سلوا الله علما نافعا، وتعوذوا من علم لا ينفع"(٥)

---

(١) سورة البقرة : آية رقم ٢٢٩
(٢) سورة القلم : ٤٤/٤٥
(٣) سنن ابن ماجة، الجزء ٢، صفحة ٧٨٤ س
(٤) سورة الكهف آية رقم ١٠٣/١٠٤
(٥) سنن ابن ماجة، الجزء ٢ صفحة ١٢٦٣

الإسلام يعانق العلم النافع

الاتجاه العام فى الإسلام، أن الدين يحتضن العلم، بل ويشجعه بشرط أن يساهم فى إصلاح البشرية لا إفسادها، فإن أصول الإسلام من خلال استقراء النصوص تبرز دور العلم فى ارتقاء البشرية وتقدمها، وتوفق بينه وبين الدين، ويمكن الاستدلال على ذلك بما يأتى :

١- إخبار القرآن الكريم أن أبا البشر آدم عليه السلام إنما علا بالإنسانية بالعلم فترقى بما وهبه الله من علم غير مسبوق فاستحق الإكبار فأسجد الله لَه الملائكة سجود فضل واعتراف بالسبق، فى العلم، نقرأ ذلك في قولَه تعالي : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝ ﴾ إلى قولَه تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[١] أشارت الآيات إلى أن صفة العلم هى الصفة المميزة لأدم عمن سواه. فلو كان فى الإمكان شئ أشرف من العلم لأظهر الله فضل آدم بذلك الشئ، أما وقد أظهره على الملائكة بعلمه الذي علمه إياه فهو دليل على مكانة العلم عند الله، وقولَه: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ وقولَه : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ دليل على أن الملائكة وآدم لا يعلمون إلا بتعليم الله تعالى إياهم، مما يدل على أن العلم هو عطاء الله لمن شاء من عباده، وهكذا لا يتميز الإنسان إلا بما أتاه الله من علم .

٢- أثبتت الخطابات القرآنية أن الوصول لحقائق الدين إنما يكون بالعلم. نذكر من ذلك قولَه عز وجل: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

(١) سورة البقرة آية رقم ٣١/٣٤

وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾[1] فكونه سبحانه بدأ بنفسه فشهد أن لا إله إلا هو، ثم ثنى بالملائكة فسجل شهادتهم ثم ثلث بأهل العلم فسجل شهادتهم، قارنا اسمهم باسمه واسم الملائكة في إثبات الوحدانية. دل على انهم ما وصلوا إلى ذلك إلا بالعلم، فازدادوا شرفا، وعلوا.

روى القرطبي عن الكلبي أن الرسول ﷺ لما ظهر بالمدينة قدم عليه حبران من أهل الشام، فعرفاه بالصفة والنعت، فقالا: نسألك عن شهادة، فإن أخبرتنا بها آمنا بك وصدقناك، فقال : "سلاني" فقالا: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله ؟ فأنزل الله تعالى على نبيه ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ [2] فأسلم الرجلان وصدقاه وقوله تعالى: ﴿ هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[3] أشارت الآية إلى أن دلائل قدرة الله في الكون وتدبيره في الخلق إنما جاءت تذكره وتنبيها لأولى العلم وذوي الألباب للوصول إلى الحقيقة الإيمانية وهى إنما الله إله واحد، مما يعد تزكية للعلم الاستدلالي .

ثم انتقل الخطاب بعد ذلك إلى اشرف مهمة للعلم، وهى إفهام الخلق منطق الوحى في بيان تنزيل الرب . فقال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾[4] قال القرطبى : فى قوله ﴿ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ أي علم الله القران لنبيه ﷺ حتى أداه لجميع الناس .

أما قوله ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ فقال :ابن عباس وغيره، المراد بالإنسان إما آدم عليه السلام ويكون عمله اسم كل شئ ليميز بين المسميات.

أو هو محمد ﷺ، ويكون المعنى، أي علمه بيان الحلال والحرام،

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٨
(٢) آل عمران آية رقم ١٨
(٣) سورة إبراهيم : آية رقم ٥٢
(٤) سورة الرحمن :آية رقم ١/٤

والهدى من الضلال. وعلى أي المرادين، ففضل العلم فى الإعلام بالأمور الكونية، والأمور الشرعية واقع حى تشهد لَه الآية.

٣- وفقاً للنسق القرآني فإنه سبحانه كما افتتح أول رسالاته للناس فى بدء الخلق بالعلم من خلال تعليمه لأبى البشر آدم عليه السلام فى قولَه: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾(١) افتتح آخر رسالاته للخلق رسالة خاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ بالعلم فقال تعالى فى أول بث الرسالة ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(٢) .

وقد حفظ القرآن الكريم هذا التلاقى فى العلم بين بدء الرسالات وختمها في خطاب الله للمسلمين ليدل على أن الإسلام يعانق العلم ويحتضنه، ويحفظ لَه شأنه وتجديده إلى يوم الدين.

ولأمر ما، شاءت إرادة الله أن يكون العلم فى منهج الإسلام وإنما يكون بالاكتساب والمعرفة أي بالخط والكتابة وفقا لقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾

ولعل فى ذلك دعوة لتكثير العلم وانتشاره وارتقائه فى هذه الأمة حتى يتطور ويستمر تجدده وفقا لوسائل العصر وتقدم الأدوات وكذلك دعوة للتنافس فى اكتسابه ليرقى به من النابهين من يرقى. مما يعود بالنفع على البشرية وهو ما يشير إليه قولَه تعالى ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ليدل على تطور العلم من جيل إلى جيل وأن استشراق المستقبل فى العلم هو منهج الإسلام نظيره قولَه تعالى ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾(٣).

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٣١

(٢) سورة العلق آية رقم ١/٥

(٣) سورة النساء، الآية ١١٣ .

العلم قرين النبوات

مما ميز الله به أنبيائه وبعض الصالحين من عباده، أن اختص كل واحد منهم بعلم فاق عصره فيه مما يدل على أن العلم ذو ركن مكين فى منهج الأنبياء والنبوات مع تنوع هذا العلم وفقا لحاجة العصر ولقد حفظ لنا الذكر فى القرآن الكريم هذه الخاصية المتميزة للعلم ليدل على ارتباطه برسالات السماء من ذلك.

١- علم الله آدم عليه السلام أسماء مسميات وحقائق كل ما خلق الله من شئ وبجميع اللغات، مما نشأ عنه تغير الألسنة فى ولد آدم على وجه الأرض[١]. يؤخذ هذا من قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [٢]، وهو ما يطلق عليه "العلم الإنسانى" قال قتادة: علم آدم الأسماء أي أسماء خلقه ما لم يعلمه الملائكة، وسمى له كل شئ باسمه، وأنحى منفعة كل شئ إلى جنسه فعرف منافعها[٣] .

٢- علم إبراهيم عليه السلام علم المنطلق وتفنيد الحجج والاستدلال وكشف له بذلك ملكوت السموات والأرض وذكر القرآن الكريم هذا العلم فى قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴾ إلى قوله ﴿ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[٤] ويسمى العلم الاستدلالى.

٣- علم يوسف عليه السلام علم تعبير الرؤيا، وعلم التخطيط لمواجهة الأزمات . وقد نبأنا عن العلمين القرآن الكريم .. أما علم تعبير الرؤيا

---

(١) تفسير الرازى، جزء ١ الصفحة ٩١٥، ٩١٦ .

(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٣١ .

(٣) لقرطبي فى التفسير، الجزء ١، صفحة ٣٢٦، طبعة الغد الع ربى.

(٤) سورة الأنعام، الآية ٧٥- ٧٨ .

فأشارت إليه الآيات فى قوله تعالى ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(١) فكان تأويله للرؤيا كما ذكر القرآن الكريم ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾(٢). فكان تعليم يوسف عليه السلام تأويل الرؤيا. وحيا من الله عز وجل لقوله تعالى ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ﴾(٣). أما علم التخطيط لمواجهة الأزمات. فأشارت إليه الآيات فى قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ(٤) سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ﴾(٥). فمن علمه بتعبير الرؤيا أخبر يوسف عليه السلام القوم بأنهم يواجهون أزمة مجاعة عامة. تحتاج إلى تخطيط علمى لمواجهتها. ثم شرع فى عرض خطته كما أنبأ عنها القرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا (٦) فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾(٧) أي أن مواجهة الأزمة تقتضي زراعة سبع سنين كما هى العادة الجارية على أن يأكلون القليل ويستبقوا من الأقوات ما يستعينون به فى السبع سنين الشداد ذات الجدب والقحط. ليأكلوا فيهن مما ادخره إلا يسيرا يضعوه فى الأحراز للظروف الطارئة. ثم زاده الله علما آخر فوق ما جاء فى الرؤيا الملك . فأخبرهم بما لم يسألوا عنه كما فى قوله تعالى ﴿ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ

(١) سورة يوسف، الآية ٣٦ .
(٢) سورة يوسف، الآية ٤١ .
(٣) سورة يوسف، الآية ٣٧
(٤) عبر بها عن السبع سنين الخصبة.
(٥) سورة يوسف، الآية ٤٣.
(٦) الدأب : العادة.
(٧) سورة يوسف، الآية ٤٧ – ٤٨

وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ [١] أي يغاثون بالمطر فتقوم صناعة العصير للعنب والزيوت[٢]، والسمسم، وما أشبه ذلك. ولما زاده العلم تواضعا فرد علمه إلى الله تعالى حين قال: ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ﴾ [٣]. مكن الله له فى الأرض وأعلاه بعلمه فقال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾[٤]. وقوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ﴾[٥].

٤- وعلم سيدنا داود عليه السلام الصناعة فطوع له أهم عنصر من عناصر القوة فى الصناعة وهو الحديد، فأقام عليه صناعة الدروع للحماية من الحرب. تجد ذلك فى قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾[٦]. وقوله تعالى ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ[٧] وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ [٨] وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾[٩].

والدليل على أن هذه الصنعة هبه من الله تعالى ما ذكره القرآن عن علم سيدنا داود وسليمان فى قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[١٠]، وفى هذا إشارة إلى أن القرآن الكريم احتضن علم الصناعة.

---

(١) سورة يوسف، الآية ٤٩.

(٢) تفسير القرطبي، الجزء ١، صفحة ٢٥٢ – ٢٥٥ .

(٣) سورة يوسف، الآية ٣٧.

(٤) سورة يوسف، الآية ٢١.

(٥) سورة يوسف، الآية ٥٦.

(٦) سورة الأنبياء، الآية ٨٠ .

(٧) لسابغات: الدروع الواسعة وتوسيعها أو تطويلها إنما يتم بإلانة الحديد وتطويعه للاستفادة منه.

(٨) أي اجعل الثقب فى الدرع على قدر المسمار فلا توسع الثقب فتقلقل المسامير منها، ولا تغلظ المسامير فيتسع الثقب، فلا تكون محكمة، وفى هذه إشارة لإتقان الصنعة وضبط أدواتها بمهارة مما يعطى بعداً لدور اتقان الصنعة فى تقدم الصناعة.

(٩) سورة سبأ، الآية ١٠ –١١ .

(١٠) سورة الأنبياء، الآية ٧٩.

وقال الرازى " أول من عمل الدروع داود ثم تعلم الناس منه، فتوارث الناس عنه ذلك، فعمت النعمة كل المحاربين من الخلق إلى الدهر، فلزمهم الشكر فقال تعالى: ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾[١] أي على ما يسره الله لكم من هذه الصناعة[٢]، ومع التقدم العلمى تطورت استخدامات الحديد ومشتقاته وصار مصدرا للصناعات المتقدمة، الثقيلة منها والخفيفة حتى أنه لا تخلوا صناعة حديثة أو تقنية متطورة من مشتقات الحديد مما يعنى استمرار نفعه للناس على الدوام . وقد أشار إلى قولَه تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾[٣].

٥- علم سيدنا الخضر عليه السلام الفراسة وحسن تقدير الموقف فأطلعه على ما لم يعلمه موسى عليه السلام. وذكر سبحانه خبره في القرآن الكريم في قولَه تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[٤]، إلى قولَه تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾[٥] ويدخل هذا العلم اللدنى تحت "علم الفراسة"[٦].

٦- علم سيدنا عيسى عليه السلام، علم التوراة والإنجيل وكشف لَه علم الطب فكان يبرئ الأكمة والأبرص. وجاء ذكره فى قولَه تعالى فى

(١) سورة الأنبياء، الآية ٨٠.

(٢) تفسير الرازى، الجزء ١١، الصفحة ١٧٣، الجزء ١٢، الصفحة ٦٤٥ .

(٣) سورة الحديد، الآية ٢٥ .

(٤) وتمثل العلم الكشفى للخضر أنه خرق السفينة التى ركبها وموسى عليه السلام، ثم قتل الغلام ثم أقام جدارا كاد أن ينهدم، رغم أن أهل القرية بخلوا عليه بالضيافة . فاستغز ذلك موسى عليه السلام وانكر على الخضر ما فعل . فكشف له الخضر ما فعل . فكشف له الخضر ما خفى عليه واعلمه الله به دونه وهو ما ذكره الله فى القرآن الكريم ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ ثم قال تعالى ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾[الكهف ٧٩/٨٠، ٨٢] ثم إن الخضر عليه السلام كان أميا فرد علمه إلى إلهام الله له كما قال تعالى ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ ﴾ سورة الكهف الاية رقم ٦٥

(٥) سورة الكهف، الآية ٨٢ .

(٦) أصل الفراسة : التعرف على الشئ بالظن الصائب، من تفرست فيه الخبر أى تعرفته بالظن الصائب، المصباح المنير، صفحة٤٦٧.

معرض النعم ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ﴾[١].

٧- علم محمدا ﷺ الذكر الحكيم الذى فيه نبأ الأولين والآخرين . كما علمه جماع الشرع والتوحيد وبيان الحلال والحرام وكان علمه بها علما غير مسبوق[٢]، قال تعالى ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[٣].

وقال ﷻ ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾[٤].

ثم زاده فضلا فعلمه علما زائدا أسند صوغه إليه ليعلمه الناس، وهو السنة الشريفة كما فى قوله تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[٥] قال قتاده: الحكمة السنة وبيان الشرائع . ثم أمر الأمة بالتعليم منها فقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[٦].

هذا وتتضمن الآيات إشارات إلى أن علم الرسول - ﷺ - وأمته إنما جاء فى ما لم جاء فى ما لم يكن يعلمه، لتدل على أنه كان علما غائبا، ثم فجر الله ينابيعه لهم، من خلال عرض القرآن الكريم، لعلوم العقيدة[٧]

---

(١) سورة المائدة، الآية رقم ١١٠ .

(٢) تفسير الرازى، الجزء ١، صفحة ٦٠٧ - ٦٠٨، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للإمام نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين النيسابورى، الجزء ١، الصفحة ٣٣، دار الصفوة، ١٩٩٥ .

(٣) سورة النساء، الآية رقم ١١٣ .

(٤) سورة الرحمن، الآية رقم ١ - ٤ .

(٥) سورة البقرة : آية رقم ١٢٩

(٦) سورة الحشر : آية رقم ٧

(٧) كما فى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ سورة الأنبياء: آية ٢٥ وقوله تعالى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ الأنبياء : آية رقم ٢٢

والشريعة[١] والكونيات[٢]، وطرق الاستدلال[٣]، وإثارة روح الاكتشاف[٤] ما لابتكار وهو ما يطلق عيه فى المعاصرة بالثورة العلمية .

(١) كما في قوله تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك) (سورة الشورى. آية رقم ١٣) وتوله سبحانه: (قل 'ن صلاتي وسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين) (سورة الأنعام: آية رتم ١٦٢ وغير دلك من آيات الحلال رالحرام، والفرائض وانوصايا، والجهاد والسلم ١٦٢

(٢) كقولة تعالى: (وتصريف الرياح والسحاب المسخرين بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) سوره البقرة: ألآية رقم ١٦٤

(٣) كقولة تعالى: (ألم يروا إلى الطير مسخرات فى جو السماء مايمسكهن إلا الله إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) سورة النحل : آية رقم ٧٩ وقولة سبحانه: ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) سورة العنكبوت : آية رقم ٦.

(٤) يشير إلى ذلك توله تعالى: (ويخلق ما لا تعلمون) سورة النحل: آية رقم ٨، وقوله سبحانه: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) سورة الإسراء : اية رقم ٨٥ .

ثانيا: مكانة العلم فى السنة

بين الرسول ﷺ مكانة العلم، وفضله على تقدم الأمم، وأنه الأداة الفعالة لالتقاء الثقافات، وتواصل الحضارات. ويظهر ذلك من خلال النماذج الآتية :-

١- حث الرسول ﷺ الإنسان على الترقى فى مدارج العلم المختلفة حتى يبلغ به التمام فيما قدر عليه، فقال فيما رواة أبو هريرة فى الصحيحين "**من سلك طريقا يبتغى فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة**"[١] فربط ﷺ بين تطلع المسلم نحو بلوغ الجنة وبين رقية فى العلم، مما يثير فى النفس الإنسانية الطموح نحو الزيادة فيه . أخذا من قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[٢] والزيادة فى العلم تفتح أبواب التقدم فيه تطويره.

٢- وازن الرسول ﷺ بين مجلس العلم وبين مجلس العبادة فانحاز إلى مجلس العلم باعتباره أهم محور فى رسالته ﷺ .

روى عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ " مر بمجلسين فى مسجده، أحد المجلسين يدعون الله، ويرغبون إليه[٣] والآخر يتعلمون الفقه، ويعلمونه، فقال : كلا المجلسين على خير، وأحدهما أفضل من صاحبه، أما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهؤلاء أفضل، وإنما بعثت معلما، ثم جلس فيهم"[٤] . فقوله ﷺ "إنما بعثت معلما" تشريف للعلم والمعلمين والمتعلمين، مما يدل على أن رسالة الإسلام إنما جاءت لتخرج الناس من الجهل إلى العلم وإن علماءها مكلفون بمحو أمية الجاهل .

---

(١) شرح السنة، ج١ ص٢٧٣، ط .المكتب الإسلامى، سنن أبى داود مع عون المعبود، ج ١٠، ص ٧٥، طبعة دار الكتاب العربى .

(٢) سورة طه : آية رقم ١١٤

(٣) أى يتضرعون إليه بالعبادة

(٤) شرح السنة للبغوى، ج١، ص ٢٧٤، ٢٧٥

٣- من منطلق عالمية الإسلام، وأن رسالته للناس كافة أخذا من قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[١] دعا الرسول ﷺ إلى نشر العلم، إرسالا وسبيل واستقبالا من المحلية إلى العالمية وبالعكس، باعتباره أداة لربط الحضارات وسبيل للتعارف إعمالا لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا ﴾[٢] ولذلك فتدعيما للتواصل العلمى بين الحضارات حث الرسول - ﷺ - على نشر العلم والحقائق العلمية ونقل الثقافة الإسلامية فى الوقت الذى لم يمنع استقبالهما من الآخرين، سواء كانت وسيلة النشر أو النقل سماعا أو خطاً تقليدية أو معاصرة بل أنه ﷺ أمر بأخذ العلم من الغير. ففى رواية أبى داود ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: " تسمعون[٣] ويسمع منكم، ويسمع[٤] ممن يسمع منكم[٥].

قال العلامة أبو الطيب أبادى: الحديث ورد فى خبر بمعنى الأمر والمعنى أي لتسمعوا الحديث، وتبلغوه عنى ليسمعه من بعدى منكم، ويسمع الغير من الذي سمع منكم هلم جرا[٦]

وفى هذا إشارة لحركية العلم، وعالميته فى المنهج الإسلامي، لأنه بالنشر يحصل التبليغ مما يعنى إظهار العلم على المستوى المحلى والمستوى العالمي. وكون الرسول ﷺ أمر بالسماع من الغير للاستفادة : دل على جواز أخذ العلم النافع من الغير .

(١) سورة سبأ : آية رقم ٢٨
(٢) سورة الحجرات . آية رقم رقم ١٣
(٣) بالبناء للمجهول، والمعنى بها الجيل الثالث فى تلقى العلم، وهو مكلف بنشره على نطاق واسع لتعم الفائدة، وتتاح الفرصه لتقليب المعلومة على كل الوجوه مما يؤدى إلى تطوير العلم جيلا بعد جيل، وهكذا .
(٤) سنن أبى داود مع المعبود، الجزء١٠، الصفحة ٩٤
(٥) سنن أبى داود مع عون المعبود، الجزء ١٠، الصفحة ٩٤.
(٦) سنن الترمذى، الجزء ٥، الصفحة ٣٠

وفى سنن الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال : أن رسول الله ﷺ حدثنا فقال : "أنه سيأتيكم قوم من الآفاق يتفقهون، "**فاستوصوا بهم خيرا** "[١]

فقوله ﷺ " من الآفاق " دليل على أن أمة الإسلام مكلفة باستقبال الوفود من أقطار الأرض لتنقل إليهم مالم يعلموه عن الفكر الإسلامي. أما قولَه "يتفقهون" فإنه يدل على انتقاء العلم ونقله إليهم بفقه جيد، وأن الفقه فى العلم مطلق، لا يختص بعلم دون علم، وقولَه ﷺ : "صوا فاستوصوا بهم خيرا" إشارة إلى الترحيب بالوفود وسعة الصدر لاستقبالهم مما يدل على أن التواصل الثقافى أمر محمود فى الإسلام مادام فى إطار الارتقاء بالقيم الإنسانية، ويفتح المجال لمحاكاة العلم المطلق خدمة للبشرية .

٤- حث الرسول – ﷺ – أمته أن تسعى فى طلب العلم، وتنقب عنه فى أى اتجاه حتى تحصل عليه بصرف النظر عن المصدر مراعية أن تكون المعلومة هى الأساس فى نقلها عن الغير، بمعنى أن تكون مفيدة مشتملة على الحكمة، وتجلب النفع للأمة .

ففى حديث ابن ماجة، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول ﷺ " الكلمة الحكمة[٢]ضالة[٣] المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها[٤] .

فأشار الحديث إلى أن المراد بكلمة الحكمة، أى قضايا العلم الصادقة المفيدة التى يجب على المؤمن البحث عنها والسعى فى طلبها كأنها ضالته المنشودة فهو أحق بها، لأنه هو المخاطب فى القرآن الكريم بالانتفاع بمسخرات الكون من كل وجه، ومن أى اتجاه . أخذا من قولَه تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى

(١) سنن الترمذى، الجزء ٥ ٣٠
(٢) أى ذات الحكم والمنافع المشتملة عليه
(٣) أى مطلوبة لَه بأشد ما يتصور فى الطلب، سنن ابن ماجة، الجزء ٢، صفحة ١٣٩٥ .
(٤) سنن ابن ماجه، الجزء ٢، الصفحة ١٣٩٥

ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[١] فالمهم أن يضع نصب عينية مدى النفع الذى يعود عليه من المعلومة بأن ينظر إلى القول لا إلى القائل . لأن العلم فى المنهج الإسلامى لا يرتبط بوطن، لا يتعلق بشخص دون آخر . لقوله تعالى : ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾[٢]

---

(١) سورة الأعراف : آية رقم ٣٢

(٢) سورة الإسراء آية رقم ٢٠

فضل العلماء فى ميزان الإسلام

عنق الإسلام العلم، وأنزله نزلا مباركا، فإنه لم يهمل الطاقة التى فجرت ينابيع العلم، وارتقت به لصالح البشرية وهو الإنسان، فقد بوأه الإسلام مكانا متميزا فاشتق لَه وصفا يناسب مكانته فسماه عالما . لبلوغه مرتبة لم يسبقه فيها غيره وحفظ لَه هذه المكانة من خلال آيات القرآن الكريم والسنة الشريفة .

ففى القرآن الكريم أعلن الله عن مرتبة العلماء ليميزهم بعلمهم، فى أكثر من موضع

الموضع الأول : ذكرهم فى المرتبة الأولى فى آيتين :

الآية الأولى : قولَه تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾[١] فقد مدح الله الراسخين فى العلم وجعلهم فى المرتبة الأولى فى الإيمان، لأنهم علموا بالدلائل القطعية، والآيات الكونية أن الله تعالى وحده هو العالم بالمعلومات التى لا نهاية لها، وعلموا أنه لا يتكلم إلا بالحق، فآمنوا بعلمهم هذا، أن القرآن كله من عند الله، وفوضوا تعين المراد بالمشتبهات منه إلى علم الله . فاستحقوا أن يذكرهم الله بالرسوخ فى العلم، لتمكنهم، فيه دون شبهة[٢]، فرفعهم فى المرتبة الأولى لعلمهم الثابت الذى لا يدخله زيغ، وجزمهم بصحة القرآن . وفى هذا إشارة إلى مكانة العلماء المدققين، الذين يبذلون الجهد فى البحث العلمى لبلوغ تمامه.

---

(١) سورة آل عمران : آية رقم ٧

(٢) انظر تفسير الرازى، ج٤، ص٩٦، ٩٧ .

الآية الثانية : قوله تعالى ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾(١) نزل الله ﷻ بهذه الآية العالم بكتب الرسالات وبعلم القرآن الكريم منزلة عالية حيث جعل شهادته حجة فى إثبات نبوة الرسول ﷺ(٢) .

فكان هو صاحب المرتبة الأولى فى حجية شهادته من الخلق بعد شهادة الخالق ﷻ. مما يعد رفعا لمكانة العلماء فى كل العلوم، ما دام علمهم يترتب عليه إثبات الحقائق.

الموضع الثانى : ذكرهم الله فى المرتبة الثانية فى قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾(٣) ففى الآية أشهد الله سبحانه نفسه ثم أشهد خيار خلقه فبدأ بالملائكة ثم ثنى بالعلماء، ليضعهم فى المرتبة الثانية بعد الملائكة فى الشهادة على أجل مشهود عليه، وهو توحيد الله عزز وجل، وهذا فضل العلماء من البشر لا يدانيه فضل، حيث قرن الله شهادته فى هذا الموضوع بشهادته ﷻ، فكفاهم بذلك فخراً.

الموضع الثالث : نص القرآن صراحة على رفع درجات العلماء فقال تعالى: ﴿ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾(٤) ذلك أن العلماء ببحوثهم، يكشفون للخلق أسرار الكون، وإعجاز الخالق، فى الآفاق وفى الأنفس، فيظهرون مقاصد الشرع فى مصالح الخلق، فاستحقوا أن يرفع الله درجاتهم . كما رفع درجات أهل الإيمان الذين تفردوا بالرسوخ

---

(١) سورة الرعد : آية رقم ٧

(٢) الرازى فى التفسير، ج٩، ص٢٧٠ .

(٣) سورة آل عمران : آية رقم ١٨

(٤) سورة المجادلة : آية رقم ١١

فى حقائق الدين حتى وصلوا درجة الوجل عند ذكر الله تعالى، والزيادة فى الإيمان بتلاوة القرآن الكريم فسلموا أمرهم كله لله. فكلا الفريقين، علا بالدين والشريعة فى المعاش والمعاد، فرفعهم الله فوق الناس درجات.

الموضع الرابع : نبه القرآن الكريم إلى أن العلماء هم أقدر الناس على نفع البشرية بعلمهم، وأنهم معقد الأمل للخروج بالناس من ظلمات الجهل ومستنقع التخلف إلى ضياء العلم، وإشراقة المستقبل. قال تعالى : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[١]. وقال جل ذكره: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢]. وقال سبحانه : ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾[٣] فأهل الذكر هم أهل العلم الذين آتاهم الله من فضله فألهمهم العلم بقوة إدراكهم واجتهادهم، فصاروا مرجعاً للعلوم كل حسب ما أوتى من سعة أفق وخبرة فى مجال من مجالات العلم المتنوعة سواء كان علماً دينياً أو دنيوياً نظرياً أو بحثياً.

الموضع الخامس : أخبر الله ﷻ أن العلماء، هم أقدر الناس على معرفة أسرار الكون، لينطلقوا منها بفطرتهم السوية، إلى معرفة الخالق جل وعلا. كما أنهم أقدر الناس على فهم الأشباه والنظائر، والأوامر والنواهى، واستيعاب الأمثلة التى ضربها الله ﷻ للدلالة على كمال قدرته وتدبيره فى الكون.

فمن الأولى قولَه تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ ﴾[٤]. ومن

(١) سورة النحل : آية رقم ٤٣
(٢) سورة الزمر : آية رقم ٩
(٣) سورة العنكبوت : آية رقم ٤٩
(٤) سورة فاطر : آية رقم ٢٨

الثانية قولَه سبحانه : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [(١)] . فأشارت الآية إلى أن العلم الدقيق، إنما يحتاج إلى من يدرك أسراره.

قال الرازى : العلم الحدسى[(٢)] يعلمه العاقل. والعلم الفكرى الدقيق التأنى يعلمه العالم لأن العاقل إذا عرض عليه أمر أدركه كما هو بكهنه لكون المدرك. بالفتح – ظاهراً وكون المدرك – بالكسر – عاقلاً. أما الأمر الدقيق، فيحتاج إلى سبق علم فلابد لَه من عالم، ثم إنه قد يكون دقيقاً فى غاية الدقة، فلا يدركه بتمامه ولا يعقله على الوجه الصحيح إلا العالم[(٣)].

أما فى السنة : كما رفع الرسول – ﷺ – شأن العلم كذلك رفع شأن العلماء نقتطف منها.

١- روى أبو داود عن أبى الدرداء قال : سمعت النبى – ﷺ – "إن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر لَه من فى السموات والأرض، والحيتان فى جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر"[(٤)].

بين الرسول ﷺ فى هذا الحديث فضل العالم، ومقام العلماء، فقد أخبر أن الله أحاطهم برعايته، حتى أن الملائكة تتواضع أمام العالم توقيراً لعلمه بل قد تعينه فتسير لَه بإذن من الله، السكينة وصفاء الذهن حتى يبلغ ما قصد إليه فى طلب العلم، وزاد الله العلماء فضلاً فقيض لهم الملأ فى السموات

---

(١) سورة العنكبوت : آية رقم ٤٣

(٢) الحدسى مصدر حدس، وهو فى الأصل الظن المؤكد، كما تأتى حدس بمعنى أسرع، يقال حدس فى السير : أسرع، والمراد أن العلم الظنى، أو الظاهر السريع يكفيه العاقل .

(٣) الرازى فى التفسير بتصرف يسر، الجزء١٢، صفحة ٣٩٩.

(٤) سنن أبى داود مع عون المعبود، الجزء١٠، صفحة ٧٣، ٧٤.

والأرض والحيتان فى البحر بأن ألهمهم الدعاء لهم والاستغفار، لأنهم بعلمهم جلبوا المنافع والمصالح، وبينوا الحلال والحرام، فأرشدوا إلى ما يحل وما يحرم فى التعامل مع البيئة ومع أنواع الحيوان، فإذا كان العلماء مشغولين بالعلم، فالملأ فى السموات والأرض والبحر، مشغولون بالاستغفار لهم. ثم رفع اله مقامهم فجعلهم ورثة الأنبياء. ولما كانت رتبة النبوة لا رتبة فوقها فإنه لا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة فمن أخذها بحقها فقد فاز بنصيب وافر منها[١]. وروى ابن عبد البر من حديث أبى الدرداء، أن رسول الله ﷺ قال : "يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء"[٢].

ذلك أن الشهداء إذا كانوا قد دافعوا عن الدين ليمكنوا لَه، فإن العلماء بعلمهم أحيوا الدين فى النفوس جيلاً بعد جيل ونشروا العلم لتحقيق مقاصد الشرع فى مصالح الخلق، فسار العلم سلاحاً ضرورياً لدوام الدين إلى يوم الدين.

روى أبو نعيم عن ابن عباس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : "أقرب الناس من درجة النبوة، أهل العلم والجهاد، أما أهل العلم فدلوا الناس، على ما جاءت به الرسل"[٣].

---

(١) عون المعبود، الجزء ١٠، صفحة ٧٣، ٧٤، إحياء علوم الدين، الجزء ١، صفحة ٢٧، شرح السنة، الجزء١ ، صفحة ٢٧٧، ٢٧٨.

(٢) أورده الغزالى فى الأحياء، ونوه الحافظ العراقى بضعف سنده، إحياء علوم الدين، الجزء١، صفحة ٢٨.

(٣) إحياء علوم الدين، الجزء١، صفحة ٢٨.

الفصل الثانى

الإسلام والحقائق العلمية الحديثة

وينقسم هذا الفصل إلى:-

المبحث الأول : التزام المنهج العلمي كأحد مرتكزات التعرف على الحقائق العلمية المعاصرة

المبحث الثاني : الولوج فى الأفاق الكونية أصل مقرر شرعا

المبحث الثالث : الجزء التطبيقي (الأقمار الصناعية)

الفصل الثاني

الإسلام والحقائق العلمية الحديثة

إذا كانت الخلافة فى الأرض، قد شاءها الله لبني آدم، فإن القرآن الكريم قد أخبر عن السبب المباشر فى أحقية الإنسان لخلافة الله فى الأرض، وهو العلم، فبه فضل آدم الملائكة، وبه استحق هو وذريته أن يعمروا الأرض إلى يوم الدين . نأخذ من قولَه تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾(١) وقولَه تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾(٢). ولذلك حين نستدعى مصطلح الثورة العلمية، لنعرضه على اللطائف والإشارات القرآنية فسوف نجد بمشيئة الله أنه لا تخرج عن المعنى الذي أراده الله من خلقه فى القرآن الكريم بأن يفجروا الطاقات الكونية ليعمروا الأرض ويصلحوا فيها جيلا بعد جيل وفقا لوسائل كل عصر ووفقاً لنباهة القائمين على القواعد العلمية والبحثية . على أن يقودهم ذلك إلى زيادة الطاقة الإيمانية أخذاً من قولَه تعالى ﴿ وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾(٣)، وقولَه سبحانه : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾(٤) وقولَه ﷻ: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾(٥)،فأثاروا الأرض أى فجروا طاقاتها، ونهضوا فيها بالفلاحة والزراعة والصناعة، وتلك هي مقومات التعمير للتمكين فى الأرض لديمومة التعايش الإنساني فى كل الأزمان والعصور،مع اعتبار أن ذلك مقيد بتقوى الله ﷻ فى الاستخدامات العلمية.

وعلى هذا – وبعد عرضننا لاحترام الإسلام للعقل، وتعانقه مع العلم – فإننا نؤكد أن الإسلام يحتضن الحقائق العلمية بكل تقنياتها وفى جميع

(١) سورة البقرة : آية رقم ٣١
(٢) سورة البقرة : آية رقم ٣٣
(٣) سورة الروم : آية رقم ٩
(٤) سورة هود : آية رقم ٦١
(٥) سورة البقرة : آية رقم ٢٨٢

مجالاتها، على أن تجلب النفع للبشرية، وتدفع عنهم الضرر، وتكشف إعجاز الله فى الكون والخلق .

وإذا كانت الحقائق العلمية، والتقدم الصناعى، يتطلب احترام المنهج العلمى فى البحث والاستقراء، وفتح الآفاق للعلماء، وتوفير أدوات الطاقة لهم وتأسيس القواعد العلمية الصحيحة فإن الإسلام من خلال أصوله الفكرية، يتبنى هذه المرتكزات ويدعوا إلى التقدم التكنولوجي(١) فى كل المجالات . لأن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يشيران فى نصوصهما إلى الأسس الصحيحة للمنهج العلمى، فى العلوم الكونية والعلوم الإنسانية .

كما ضمنا مفاتيح العلم فى المجالات المختلفة، كعلوم الفضاء، وعلوم الطاقة الأرضية، وعلوم البحار، وعلوم الإنسان، من أجنة، ووراثة وتشريح، وخلايا وجينات، وعلوم الطب، وغير ذلك . وإن ظهر فى الأفق فى السنوات الأخيرة اهتمام بعض الدول العربية والإسلامية بالحقائق العلمية والتكنولوجيا فدخلت فى مجال الأقمار الصناعية كنموذج لعلوم الفضاء(٢)، فإن ذلك يبشر بمستقبل مشرق وعود لمنهج الإسلام فى إعلاء العلم ونبذ التخلف والجهل .

ولذلك فالكلام فى هذا الفصل يقتضي عرض موقف الإسلام من مرتكزات التقدم العلمى، ومن ولوج العلم الآفاق الكونية مع اتخاذ الأقمار الصناعية المصرية كنموذج تطبيقي للانتفاع بمسخرات الله فى الكون وتفعيلها لخدمة المسلمين وأعرض ذلك إن شاء الله.

---

(١) التكنولوجيا مصطلح حديث يعبر عن الدقة فى العلوم التجريبية، وابتكار آليات جديدة للاستخدامات الدقيقة سواء فى مجال الصناعة والاتصالات وفى علوم الطلب والإنسانيات . وأصل الكلمة من مقطعين : أحدهما تكنو، ومعناها صنعة، الثاني : لوجوس ومعناها الكلام، أى الأفكار المرتبة المحددة المعانى، ويعنى هذا أن تسمية هذا العصر بعصر التكنولوجيا إنما يرجع لتطور العلم فيه بحيث أصبحت صناعة مكرة علما قائما بذاته، أو بمعنى آخر، إن التكنولوجيا أو التقنية، منهج حديث فى التفكير العلمى، أطلق عليه "حقيقة علمية" لأنه يعتمد على أن الأجهزة هى التى تلعب الدور الرئيسى فى نقل العلم النظرى إلى التطبيق العملي [illegible] التحكم .

(٢)أطلقت مصر حتى الآن قمرين صناعيين لاستخدامات الاتصال فى مجال الإعلام ونقل المعلومات .

المبحث الأول

التزام المنهج العلمى كأحد مرتكزات التعرف على الحقائق العلمية

المبحث الأول

التزام المنهج العلمى كأحد مرتكزات التعرف على الحقائق العلمية

إذا كان السبق فى البحث العلمى يتطلب منهجا سديدا يقوم على الدقة فى المعلومة وتصور الموضوع، وتنوع المعارف ذات الصلة بمجال البحث، والإمساك بخيوط المادة العلمية حتى تأتى النتائج وفقا للمقدمات، فإن أسس المنهج العلمي فى الفكر الإسلامي لا تخرج عن هذا الإطار . بل لا نبالغ إذا قلنا بأن الفكر الإسلامي هو أول من نبه إلى الالتزام بالمنهج العلمى فى البحث لتأتى النتائج وفق المقدمات والمقاصد، ويمكن رصد أسس المنهج العلمي فى الإسلام فيما يلى:

١- أخذ المادة العلمية، من المصادر الموثوق بها لتحرى الصدق فى المعلومة والبناء على المرجعية الصحيحة . وقد نبه إلى ذلك كل من القرآن والسنة، ففى القرآن قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾[١] فالسداد : هو الصواب فى القول والصدق فى الخبر، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[٢]. ذلك أن الصواب فى الأقوال، والصدق فى المعلومات، يحيط العمل والبحث بالصلاح، لذلك قال تعالى بعد آية الأحزاب: ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴾[٣] .

أما الاعتماد على المعلومة المزيفة، والخبر الكاذب، ففيه إهدار لقيمة العلم وتزييف للنتائج مما يتولد عنه الفساد فى الفكر والمنهج .

وقد وضع الله ﷻ هذا السلوك موضع الذم فى القرآن الكريم فقال

(١) سورة الأحزاب : آية رقم ٧٠
(٢) سورة التوبه : آية رقم ١١٩
(٣) سورة الأحزاب آية رقم ٧١

تعالى : ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(١)، أى أنهم يتلقون كلام الله فيغيرونه بكلام من عند أنفسهم وينسبونه إلى الله . فهذا نوع من تغيير الحقائق وزيف المعلومات والكذب فى النقل لغرض خبيث، فاستحق القائم به التهديد والوعيد، فقال : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾(٢) .

فأشارت الآية إلى اللجوء إلى الزيف للكسب السريع، يكشفه الله ويفضح صاحبه، ومآله الهلاك والبوار، وإذا كان منطوق الاية يجرم الكذب على الغير ونسبة ما لم يقله فمفهومها يجرم بالأولى نسبة المرء لنفسه علم غيره .

أما فى السنة : فقد حث الرسول – ﷺ – على الصدق فى نقل الأخبار وإذاعة المعلومات ونشرها . ففى الصحيح أن الرسول – ﷺ – قال (إن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا)(٣) فى نفس الوقت حذر من الكذب فى العلم، والتزييف، فى المعلومات،فقد روى البخارى عن سلمة قال "سمعت النبى – ﷺ يقول : من يقل على مالم أقل، فليتبوا مقعده من النار"(٤) فجعل الرسول ﷺ الكذب فى مصدر المعلومات سبب للقرار فى النار .

وشبيهه ما رواه على رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ

(١) سورة البقرة : آية رقم ٧٥
(٢) سورة البقرة : آية رقم ٧٩
(٣) رواه البخارى (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧)، رياض الصالحين ص٦٠ طبعة دار البعد العربى
(٤) البخارى مع الفتح، ج١، ص ١٦٣، كتاب العلم

يقول : " لا تكذبوا على فإنه من يكذب على يلج النار"[١] .

فيؤخذ من هذا أن الكذب فى العلم وتزييف الحقيقة، أخطر أنواع الكذب لما ينتج عنه من أضرار، ولذلك شدد فيه كل من القرآن والسنة، حماية للمصادر العلمية وضمانا لحقوق، العلماء، وصونا للابتكار من السطو عليه وفى هذا إشارة لقانون حماية الملكية الفكرية المعاصر .

وفى هذا إشارة كافية، إلى المنهج الإسلامي .

٢- من أسس المنهج العلمى فى الإسلام، أن يهدف البحث العلمى إلى التوصل إلى الحقائق العلمية التى تخدم الدين والدنيا . سواء حصل العلم عن خبر صادق أو استدلال صائب .لأن العلم إما نقل مصدق، أو استدلال محقق . وقد أشار ذلك القرآن الكريم فى أكثر من موضع . منها:

أ- قولَه تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٢] فهذا خبر يحمل علما يقينيا مصدقا بذاته، لأن الذى أعلمنا به هو الله ﷻ بنفسه فقدم العلم قبل الحقيقة ليشير إلى منهج فريد وهو أن باب الوصول للحقائق واليقين هو العلم . ولذلك صنف البخارى رحمه الله هذه الآية فى كتاب العلم تحت عنوان (باب العلم قبل القول والعمل)[٣]

ب- أما منهج الاستدلال، فأشار إليه قولَه تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾[٤] وقولَه سبحانه : ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَـٰلَهَآ أَنْهَـٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ

---

(١) البخارى مع الفتح، ج١، ص ١٦١
(٢) سورة محمد : آية رقم ١٩
(٣) البخارى مع الفتح، ج١، ص ١٣٠، كتاب العلم
(٤) سورة الأعراف : آية رقم ١٨٥

حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[١] وقوله ﷻ : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾[٢]

فهذه جملة معارف كونية تدرك بالنظر والتأمل، مما يقتضى أسرارها لكشف إعجازها العلمى، للوصول فى النهاية إلى حقيقة يقينية، وهى وحدانية الله وطلاقة قدرته.

والتأمل وتقصى الحقائق العلمية، وتقليب النظر فى ملكوت السموات والأرض لإدراك الإعجاز الإلهى فيهما، لا ينهض به إلا العلماء، فكأن القرآن الكريم دفعهم إلى المنهج الاستقرائي[٣] لقيام الحجة والبرهان على أن مدبر الكون هو الله،وأن الانتفاع بمسخرات الله فى الكون لا ينال إلا بالعلم.

وقد أيد الله ﷻ هذا المبدأ بقوله تعالى : ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[٤] فإن من أوتى علما، بالنظر فى الآيات الكونية والاستدلال السديد، يتيقن أن ما أنزل إلى سيدنا محمد ﷺ حق وصدق[٥]، ومن هذه المسلمة ندرك أن المنهج العلمى فى الإسلام يتميز بأنه يضع نصب عينيه الوصول للحقائق .

٣- من أصول المنهج العلمى فى الإسلام التراكم المعرفى، وتنمية المعلومات فى مجال التخصص للإحاطة بمفردات المادة العلمية، وإجراء التجارب عليها مرة بعد أخرى حتى ينتهى إلى النتائج المرجوة .

---

(١) سورة النمل رقم ٦١

(٢) الفروج والثقوب والفتوح، من فرجت بين الشيئين فرجا، فتحت، ويقال : الفرجة فى الحائط أى الخلل، والمراد أن الله ﷻ أحكم بناء السماء فلا يرى فيها ثقوب أو خلل، المصباح المنير، ص ٤٦٥ .، سورة ق ، الآية رقم ٦

(٣) الاستقراء : تتبع أفراد الشيء لمعرفة أحواله، وخواصه المصباح المنير، ص ٥٠٢

(٤) سورة سبأ آية رقم ٦ .

(٥) تفسير الرازى، ج ١٢، ص ٦٤٠ .

ويقصد بالتراكم المعرفى النظر فى علم السابقين للاستفادة من التجربة للتخلى عن أوج القصور، وتزكية أوجه الإيجاب، كما يقصد به قراءة المادة العلمية أكثر من مرة لاستيعاب المعلومة وتصورها فى الذهن، وقد أشار إلى الأولى القرآن الكريم، في قولَه تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا ﴾(١) .

ففى الآية يذكر الله قوما بقوم يذكر اللاحقين بالسابقين فرغم أن السابقين أوتوا عناصر التمكين فى الأرض، وهى القوة الجسمية والقوة المالية، والقوة الإنشائية، والقوة الزراعية، فأثاروا الأرض وعمروها وشيدوا الحصون والموانع، إلا أنهم لم ينتفعوا بعلمهم فيها للوصول إلى نعمة الدين، فكذبوا بآيات الله، فلم تغن عنهم أموالهم، ولا عمائرهم، فأهلكهم الله .قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴾(٢) .

فإذا ذكر اللاحقون علم السابقين، وعرفوا أوجه القصور في منهجهم، فتداركوها، وبنوا علمهم على تقوى من الله ﷻ، نفعهم الله بعلمهم وزادهم فيه، أخذا من قولَه تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾(٣) .

أما قراءة المادة العلمية أكثر من مرة وتكرارها لتستقر فى الأذهان، كوسيلة للتراكم المعرفي . فقد أشار إليها حديث أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ، أنه (كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه)(٤)

وفى هذا إشارة واضحة على أن التراكم المعرفي ضرورة من ضرورات المنهج العلمي لاستيعاب الفكرة فى الذهن، لتصور حقيقتها وكنهها.

---

(١) سورة الروم آية رقم ٩.
(٢) سورة الروم آية رقم ١٠ .
(٣) سورة البقرة آية رقم ٢٨٢ .
(٤) البخارى مع الفتح، جزء١، صفحة ١٥٣ .

ولذلك عنون الإمام البخارى لهذا الحدث بقوله "**باب إعادة الكلام ليفهم عنه** "[١] وهذا دليل ساطع على أن المنهج العلمي فى الإسلام يحبذ إعادة الفكرة وطرحها أكثر من مرة، وتكرار التجربة مرة بعد أخرى ومراجعتها علميا للتأكد من صحتها .

٤- مما يميز المنهج العلمى فى الفكر الإسلامى، قيامه على الاستنباط[٢] سواء عن طريق أعمال الأدلة فى العلوم النظرية، أو إجراء التجارب والتحليل المعملى فى العلوم التجريبية، للتأكد من سلامة النتائج وإصابة الأحكام .

وقد أشار إلى الأولى قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[٣] وقوله ﷻ : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[٤] .

ففي الآيتين توجيه للرسول الله ﷺ أن يستخدم البراهين الحية، والأدلة القائمة لحمل المعاندين على الإقرار بوحدانية الله تعالى والتسليم بتفرده بتدبير أمر الكون، أرضاً وسماءً، شمساً، وقمراً.

ونفس المنهج متبع فى العلوم الشرعية، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٥]

فالأمر بالاجتناب فى الآية يقتضى ترك الفعل تركا جازما وطلب الترك الجازم يدخل الفعل دائرة التحريم، فكانت الخمر وصواحبها حراماً .

---

(١) البخارى مع الفتح ج١ ص١٥٢
(٢) الاستنباط، استخراج الحكم بالاجتهاد . المصباح المنير، ص ٥٩١
(٣) سورة العنكبوت : آية رقم ٦١
(٤) سورة العنكبوت : آية رقم ٦٣
(٥) سورة المائدة : آية رقم ٩٠

أما العلوم التجريبية، فقد أشار القرآن الكريم إلى التجديد فيها، بالتحليل، والبحث، للبلوغ إلى أقصى فائدة . من ذلك قوله تعالى فى عسل النحل: ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ دعوة للبحث فى عسل النحل، وإجراء التجارب هادئة لاكتشاف طرق الاستشفاء به، فكأن القرآن الكريم يدفع علماء الطب والصيدلة لتجديد فى علوم عسل النحل لاكتشاف الجديد . ولذلك جاء عجز الآية لقوم يتفكرون، ولقد أثبتت كافة الأبحاث التجريبية، على عسل النحل أنه من أهم المواد فعالية فى معالجة أكثر من مرض، وإمداد الجسم بالقوة المناعية، ليقوى على صد الميكروبات والجراثيم(٢) .

ومن ذلك أيضا مالفت إليه القرآن، فى مجال الفضاء والبحوث الفلكية لدفع علماء الفلك والفضاء إلى تقصى الحقائق العلمية فى الكون . تجد ذلك فى قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾(٣)، وقوله سبحانه: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا ۚ لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾(٤) وكذلك قوله ﷻ : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾(٥) فهذه المعارف القرآنية تحوى إشارات كونية سيقت لدفع العلماء إلى التعلق بأبحاث الفضاء لإطلاق آليات حديثة (كالأقمار الصناعية والمراكب الفضائية) للاستفادة بما فى الكون لتحقيق أقصى نفع لمصلة الدين والدنيا .

---

(١) سورة النحل : آية رقم ٦٩

(٢) الإعجاز العلمي فى الإسلام، القرآن الكريم، محمد كامل عبد الصمد، ص ٢٤١

(٣) سورة فصلت : آية رقم ٥٣ .

(٤) سورة الرحمن : آية رقم ٣٣ .

(٥) سورة يس : آية رقم ٣٨/٤٠ .

٥- إذا كان معرفة الحقائق العلمية تعنى بالمستقبل وتطوير آليات العلم فإن المنهج العلمي فى الفكر الإسلامي يقوم على غرس روح الابتكار والسبق فى المسيرة العلمية، واستشراف[١] المستقبل للنهوض بالبحث العلمي .

ولعل هذا ما ترمز إليه الآية الكريمة: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[٢] فالآية تثير في النفس الإنسانية، أن خزائن العلم عند الله عظيمة، وأسراره كثيرة، ومهما أوتى الإنسان من علم في أى عصر من الإعصار فهو قليل سمح به العليم ﷻ على قدر الجهد، والإخلاص فى البحث، ولذلك فالآية دعوة للتقدم فى معرفة الحقائق العلمية لتطوير إليه السابقون، لينال كل جيل من العلم، بقدر ما تفضل الله به من خزائن علمه، كما تضع الآية قاعدة مهمة فى مجال الحقائق وهى أن كل علم مهما زاد لابد أن يكون قد سبقه جهل، فالتقدم فى معرفة الحقائق يكشف مجالات علمية لم تكن معلومة قبل كشفها، فكأن من كشفها كان جاهلاً فيها ثم أصبح بها عالماً بعد كشفها، ولولا فضل الله عليه ما هيأ لَه الوقوف عليها . وقد أيد القرآن الكريم هذه القاعدة بقوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[٣] .

ولئلا يغتر أحد بعلمه، كانت مشيئة الله، أن جعل النفس الإنسانية جاهلة بالفطرة حتى تكتسب العلم بالقلم والخط وبما أودع الله فيها من قوى العلم أخذا من قولَه تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٤] . فالمتأمل

(١) الاستشراف رفع البصر للتطلع والنظر يقال استشرقت الشيء رفعت البصر أنظر إليه . المصباح المنير ص ٣١٠، ومعنى استرق المستقبل أى النظرة المستقبلية فى العلم للتطلع إلى التجديد فيه فى البحوث المختلفة والابتكار .

(٢) سورة الإسراء : آية رقم ٨٥ .

(٣) سورة النساء : آية رقم ١١٣ .

(٣) سورة النحل : آية رقم ٧٨ .

فى هذه الآية يدرك جيدا أنها ترمز إلى خدمة البحث العلمي، لأنها ترتب قوى العلم فى الإنسان ليواكب بها التقدم فى معرفة تلك الحقائق.

فبدأ بالقوى الحساسة الناقلة، وهى السمع، مما يدل على أن السماع أول طور فى المعرفة، ثم القوى المدركة وتختص بالنظر والتأمل والمشاهدة، وهى الأبصار: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(١)، ثم القوى العاقلة، التى تعقل الفكرة، وتقلبها من الوجوه(٢) لاستخلاص زبده الرأى فيها، وهى الأفئدة . مما يشير إلى أن من فضل الله على الإنسان، أنه أودع فيه، قوى النقل، والمشاهدة والتعقل، ليدفعه دفعاً إلى تطوير علمه وتجديده فكره لينهض بكل حديث جديد .

٦- من المبادئ الأصلية، فى الفكر الإسلامى إطلاق الحرية للعقل للتدبر والتأمل فى آليات الكون والتفاعل مع كل جديد ومحاكاة الواقع، لتحديث العلوم، ومواكبة العصر . بعيدا عن التقليد البغيض، والتعصب الأعمى .فالمنهج الإسلامى ينبذ الانغلاق وانطواء النفس . ولعل هذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾(٣) .

فهذه دفعة للعقل أن ينطلق، ويعقل الأشباه، والأمثال، ليجدد ملكاته ويحلل الأفكار لاستخلاص أفضل النتائج، حتى يمكن أن يصنف صاحبه صمن العلماء . لأن الانغلاق يشد إلى الجهل والله تعالى يقول ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٤) .

فالعلم حكمة يؤته الله العقلاء الذين أعملوا عقولهم لخير البشرية، ولم يقفوا عند التقليد، أو التصعب . قال تعالى : ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن

(١) سورة يونس آية رقم ١٠١
(٢) تفسير القرطبى، الجزء ٥، صفحة ٣٨٧٧ .
(٣) سورة العنكبوت : آية رقم ٤٣
(٤) سورة الزمر : آية رقم ٩

يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[١] .

ذلك أن أتباع منهج التقليد والتعصب فى العلم يقتل الطموح، ويعوق التقدم وقد ذم القرآن الكريم، التقليد والتعصب من هذا الوجه. لأنهما يحدان من النطلع إلى الجديد فى العلم . ويركنان إلى القديم حتى وإن كان باطلا، وقد جاء ذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[٢] وقوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾[٣] قال القرطبي : قوة ألفاظ هذه آيات تعطى إبطال التقليد الأعمى لأنهم احتجوا لتركهم ما أنزل الله على رسول الله ﷺ، وأمر به فى دينه بأنهم يتبعون ما وجدوا آباءهم عليه اقتداء بهم[٤] رغم أن ما أنزل على رسول الله ﷺ هو الحق الذى يخرجهم من ظلمات الجهل إلى النور، الإيمان، فآفة التقليد ركنتهم إلى الباطل وأعمتهم عن الحق، فلم يصبهم التقدم ولم تدركهم نعمة الإيمان .

قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٥]، ولذلك فالتقليد المرفوض فى الفكر الاسلامى هو التقليد الذى يجر إلى الجـهل ويوقع فى الضلال ولهذا كان ذم الله للكفار فى الآيتين، لإقتدائهم بالباطل، فكـأن المقلد هنا جعل ذمام أمره لمن يقوده حيث شاء، وهو بهذا قد غل عقله وأطفأ توقده فاستحق أن يكون من الجاهلين، لأن التقلـيد فى الباطل ليس طريـقاً للعلم ولا موصلاً له[٦] .

---

(١) سورة البقرة : اية رقم ٢٦٩

(٢) سورة البقرة آية ١٧٠

(٣) سورة المائدة : آية رقم ١٠٤

(٤) تفسير القرطبى، ج١، ص ٦٩٨

(٥) سورة الرعد آية رقم ١٩ .

(٦) المرجع السابق، ص ٦٩٨،٦٩٩ .

أما التقليد فى الحق، والاقتداء بالأسوة الحسنة، فى أمور الدين، فهو أصل مقرر شرعاً لقوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ ﴾(١)، لأنــه اقتداء موصــل إلى الحق والعلم .

٧- من أسس منهج البحث العلمى فى الفكر الإسلامى طرح المسألة لاختبار الإفهام فيها، لإثارة النشاط الذهنى للسبق فى الوصول لأفضل النتائج . وقد أشار إلى هذا النهج قوله تعالى: ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(٢)، فكان هذا بمثابة اختبار للملائكة .

قال المبرد : معنى صادقين عالمين . أى أخبروني، إن كنتم عالمين بأسماء ما عرضته عليكم من المسميات، فكان جوابهم : لا علم لنا بها، لأنه لم يكن لهم سبق علم فيها . فتوقفوا . بينما فاز بالجواب آدم عليه السلام، لسبق علمه بها بإلهام الله تعالى لَه ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾(٣)

واستنبط القرطبى: من الآية مبدءاً علمياً سديداً، وهو أن من سئل عن علم فلم يعلمه أن يقول : الله أعلم، أو يقول: لا أدرى . اقتداء بالملائكة فى هذا الموضع(٤) لأن من أجاب فيما لم يعلم، لا يؤمن صدقه ولا أمانته فى العلم.

وفى السنة : ما رواه البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رســول الله ﷺ: إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم فحدثونى ما هى ..؟ فوقع الناس فى شجر البوادى،

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٢١ .
(٢) سورة البقرة : آية رقم ٣١ .
(٣) سورة البقرة : آية رقم ٣١ .
(٤) تفسير القرطبى، الجزء١، صفحة ٣٢٩ .

قال عبد الله : ووقع فى نفسى أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هى يا رسول الله، قال هى النخلة[١] .

فالشاهد فى الحديث: قولَه (فوقع الناس فى شجر البوادى) وهو إشارة إلى أن من طرحت عليهم المسألة ذهبت أفكارهم فى أشجار البوادى فجعل كل منهم يفسر الشجرة بنوع منها، ما يرمز إلى أن التواصل إلى النتائج الصحيحة إنما يسبقه إثارة أذهان طلاب العلم بامتحانهم فيما يخفى عليهم، مع كشف الجواب لهم إن لم يفهموه، مما يساعد على استقرار المعلومة فى الأذهان .

قال البغوى :(فى الحديث دليل على أنه يجوز للعالم أن يطرح على أصحابه ما يختبر به علمهم)[٢] .

٨- تداول العلم، ومناولته لتوسيع دائرة الاستفادة منه، فإبلاغ الناس بالعلم النافع أصل من أصول المنهج الإسلامى لما يتعلق به من نشر أمور الدين والدنيا . ولأن الإسلام رسالة عالمية فإن منجهه فى بث معارفه للعالمين هو البلاغ، والتلقى. أى الإفادة، والاستفادة، ولن يكون داك إلا بتداول المعلومات عن طريق أدوات العصر العابرة للحدود كالبث الفضائى، وشبكات الاتصال الأخرى كالفاكس والإنترنت وغيرها .

والشواهد القرآنية والأحاديث النبوية : كل منها تشير بوضوح إلى أهمية تداول العلم ونشره بين الناس لتحقيق الخير للبشرية،سواء كان علماً نظرياً أو تجريبياً . من ذلك قولَه تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[٣] فالبلاغ نشر العلم بما أنزل الله للعالمين ونقله من جيل ليبقى

(١) البخارى مع الفتح، جزء١، صفحة ١١٩ .
(٢) شرح السنة، ج١، ص٣٠٨
(٣) سورة المائدة : آية رقم ٦٧

الانتفاع به موصولا ونظيره قولَه تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[١]، ولن يتم تداول العلم إلا بأخذه من مصدره الأول ونقله إلى من بعده، ومن بعده ينقله للغير، وهكذا ...... وإذا كان ذلك هو الطريق فى السابقين، فإن أدوات العصر يمكن أن تلعب هذا الدور للمعاصرين، وقد نبه الله ﷻ إلى هذا المبدأ فقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾[٢] .

قال البغوى : الأمر عام فى حق أهل زمانه ومن جاء بعدهم، ولا وصول إلى من بعدهم إلا بالتبليغ[٣]، أى قولَه تعالى: (فخذوه) خطاب لأهل كل عصر أن يتداولوا العلم بالوسائل المعاصرة، ولذلك لما خطب الرسول ﷺ فى الناس لينقل إليهم رسالة الإسلام . قال : (فليبلغ الشاهد الغائب)[٤]، وهذا الغائب بنقل المادة العملية إليه صار شاهدا فيلزمه إبلاغ الغائب، ممن بعده وهكذا، ولأن الإسلام دين عالمي فلابد أن تكون رسالته منفتحة على الآخرين للوقوف على النافع المفيد لتحقيق أقصى خير للمسلمين فى أمور المعاش، تحقيقا لمقاصد الشــرع فى مصالح الخلق، أشــار إلى ذلك قولَه تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾[٥]

قال القرطبى : هذه الآية أصل فى وجوب طلب العلم[٦]. ولأهمية البلاغ فى أمور العلم حث الرسول ﷺ على تحريك المعلومة للغير بعد تصورها ووعيها فقال: (نضر الله عبدا سمع مقالتى فحفظها،

(١) سورة النحل : آية رقم ٤٤
(٢) سورة الحشر : آية رقم ٧
(٣) شرح السنة، ج١، ص٢٣٥
(٤) شرح السنة جزء١ ص ٢٣٥
(٥) سورة التوبه : آية رقم ١٢٢
(٦) تفسير القرطبى، ح٤،ص٣٢١٩، ٣٢٢٠

ووعاها، وأداها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)[١] .

قال الخطابي : (فيه دليل على كراهية اختصار الحديث (العلم) لمن ليس بالمتناهي فى الفقه، لأنه إذا فعل ذلك قطع طريق الاستنباط، والاستدلال)[٢] .

والمعنى المقصود أن الحديث ينبه إلى أن حبس العلم ووقفه على من سمعه فقط أو قصره على بحث معين فى العلم التجريبى مثلا، يؤدى إلى قطع الاجتهاد، ووأد العلم، مما يؤدى إلى التخلف عن مواكبة العصر، والوقوف عند القديم : وعدم وصول العلم إلى آخر القرون من الأمة . وهو ما دعا رسول الله ﷺ أن يقول: (فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه) . لأن المتلقى من السامع ربما يكون أوسع إدراكا وتصورا للمادة العلمية، وأقوى ملكة فى التأمل والتحليل، فيكون أنفع فى البحث العلمى، وهو ما يستدعى وجوب نشر العلم وتداوله، دون الإخلال بحق الملكية الفكرية .

فالنشر والتداول إنما يكون للنتائج، ليبنى عليها الآخرون بحوثهم واستنباطاتهم، ليبقى التواصل العلمى جيلا بعد جيل . وتشجيعها لهذا، كان دعاء الرسول ﷺ، بالنضارة لمن يناول العلم وينقله للآخرين . وإذا كانت النضارة حسن الوجه والبهجة فالمراد بها هنا حسن الجاه والقدر فى الخلق[٣] فى نفس الوقت حذر ﷺ من سوء عاقبة من حبس العلم وأمسك عن الإخبار به وإظهاره .

---

(١) سنن أبى داود مع المعالم، ج٤،ص١٧٢، كتاب العلم

(٢) معالم السنن،شرح سنن أبى داود لأبى سليمان حمد بن محمد الخطابى، المتوفى سنة ٣٨٨هـ، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، جزء٤، صفحة ١٧٣

(٣) شرح السنة للبغوى، جزء١، صفحة٢٣٦

ففى رواية أبى داود عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ (من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة)[١] .

قال الخطابى: والمعنى : (أن الملجم لسانه عن قول الحق، والإخبار عن العلم والإظهار لَه يعاقب فى الآخرة بلجام من نار[٢] .

٩- من ملامح المنهج العلمى فى الإسلام لتشجيع التقدم فى العلم بكل توجهاته، ومجالاته، الاعتراف بالفوارق الذهنية، وتقدير النابهين وتشجيعهم ورصد المكافآت لإعانتهم على السير فى البحوث العلمية لتحقيق أقصى خير للبشرية .

وقد أشار إلى ذلك قولَه تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٣]. وقولَه سبحانه: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[٤]

المعنى : أعطوا العلم، لتعلقهم بأداوته، وتطلعهم إلى البلوغ فيه مبلغا عظيما . فإن من تعلق بشيء ناله . أخذا من تأتى لَه العلم أى تسهل لَه، وتيسر[٥] مما يدل على تفاوت منازل العلوم، وتفاوت أربابها . ومنه قولَه ﷻ : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[٦]

قال الأصفهانى : فعليم، يصح أن يكون إشارة إلى الإنسان الذى فوق آخر فى العلم[٧] . وهو ما يرمز إليه قولَه تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ

---

(١) سنن أبى داود مع المعالم، جزء٤، صفحة١٧١
(٢) معلم السن، حزء١، صفحة١٧١
(٣) سورة الزمر : آية رقم ٩
(٤) سورة المجادلة : آية رقم ١١
(٥) المصباح المنير صفحة ٤٠
(٦) سورة يوسف : آية رقم ٧٦
(٧) المصباح المنير، صفحة ٤

عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾[١] قال الإمام الغزالى رحمه الله: (هذه الآية تنبيه على اقتدر على عرش بلقيس – قبل تمام طرفة العين – بقوة العلم[٢] ولا غرابة فى ذلك، لأن هذه الطفرة العلمية لمن عنده علم الكتاب إنما كانت بإلهام الله تعالى، فاستعمل فيها قانون (كن فيكون) وفى هذا أقوى إشارة إلى أن المنهج العلمى فى الإسلام يتميز بأنه ذو طابع إيمانى يقوم على جلب المنفعة، ودرء المفسدة ليقيم أمر الدين والدنيا معا . لأن مبناه على الحكمة، والهدى، للسعادة فى الدنيا والآخرة . مصداقا لقوله تعالى: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[٣] .

وقول الرسول ﷺ : (الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها)[٤]

---

(١) المفردات فى غريب القرآن، صفحة ٣٤٤

(٢) إحياء علوم الدين، جزء١،صفحة٢٧

(٣) سورة البقرة : آية رقم ٢٦٩

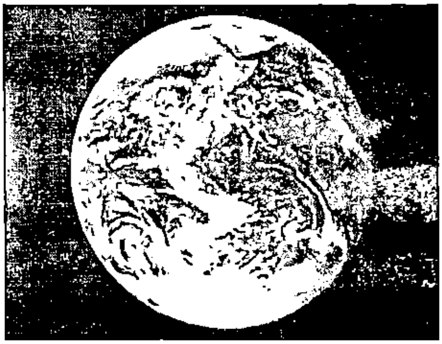
(٤) سنن ابن ماجة، جزء٢، صفحة ١٣٩٥

المبحث الثانى

الولوج فى الآفاق الكونية أصل مقرر شرعا

المبحث الثانى

الولوج[١] فى الآفاق الكونية أصل مقرر شرعا



إذا كانت الحقائق العلمية والتقدم التكنولوجي، يرتبطان بإعمال العقل؛ والزيادة فى العلم وسداد المنهج العلمى، فإن الإسلام يذكى العقل بالتأمل والتفكر[٢] وينمى العلم بفرض طلبة[٣]، والحث على الاستزادة منه[٤]، فى الوقت الذى وضع فيه للعلماء أسس المنهج السديد، للترقى لمدارج الكمال فى العلم وفقا لسلطان الله تعالى .

وإذا كان الله ﷻ، قد خلق الكون أرضاً وسماءً، ودبر أمره بإتقان، وصرف آياته بإحكام، وجعله محطا لمنافع العباد، وفقا لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[٥]

ثم خلق الإنسان وذرأ فيه قوى الإدراك والعلم، كالسمع والبصر والفؤاد، أخذا من قوله تعالى ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا

---

(١) الولوج الدخول، من ولج ولوجاً أى دخل، ومنه قوله تعالى: (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) (سورة لقمان:٢) مختار الصحاح، صفحة ٧٣٥

(٢) كقوله تعالى : (أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيىء الأعراف : ١٨٥

(٣) لقول الحبيب المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه: طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة.

(٤) لقوله تعالى : (وقل رب زدنى علما) سورة طه : الآية رقم ١١٤.

(٥) سورة البقرة : الآية رقم ١٦٤ .

مَّا تَشْكُرُونَ ﴾(١).

ثم أخضع له هذا الكون وسيده عليه لقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٢).

تأسيسا على إذنه سبحانه له بحق الانتفاع بالكون فى مجموعة، تدعيما لحق الخلافة وضمانا لاستقرار المعيشة وهو ما أعلن عنه قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ ﴾(٤) مما يتحتم معه أن تكون هناك صلة بين الكون المسخر بإرادة الله، وبين الإنسان المنتفع به بإذن من الله . ليؤدى كل منهما مهمته وفق ما خلق له . لتستقيم أمور المعاش والمعاد، وشاءت إرادة الله، أن تكون هذه العلاقة بين الإنسان، والكون علاقة تأمل وعلم(٥) لذلك ربط سبحانه بين الانتفاع بمسخرات الكون فى القرآن الكريم وبين العلم فى قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(٦).

إلا أن سيادة الإنسان ليست على الكون فقط وإنما سيده الله ﷻ على جوارحه أيضاً، فإن شاء أن يدفعها إلى الخير ويمسكها عن الشر فإنما هى إرادته، وإن دفعها لأن تجترح السيئات فإنما ذلك باختباره . قال تعالى :

---

(١) سورة السجدة : الآية رقم ٩.
(٢) سورة النحل : آية رقم ١٢
(٣) سورة البقرة : آية رقم ٢٩
(٤) سورة الحجر : آية رقم ٢٢
(٥) أخذ من قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾(سورة الروم: الاية رقم ٨) .
(٦) سورة يونس : آية رقم ٨

﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[١] وقال سبحانه: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٢] ومن منطق سيادة الإنسان على نفسه، لفت الله ﷻ نظره إلى التأمل فى كينونته ليدرك إعجاز الخالق فى شرائحه[٣] وخلاياه فيخضعها إلى البحث والتحليل، ليصون سلامتها، ويركب لَه الدواء المناسب لصد الأمراض عنها .

قال تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[٤]

ولأمر ما جمع الله ﷻ بين خلق السموات والأرض، وبين خلق الإنسان فى آية واحدة، ليشير إلى ترابط العالم الكوني، والعالم الإنساني، وأن كلا منهما لاغنى لَه عن الآخر .

فقال تعالى : ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٥]، مما يدل على أن الإعجاز الإلهي فى الخلق شمل الكون الأراضى، والكون الفضائى، والكون الإنساني .

وهو ما نشأ عنه تعدد المعارف الكونية، والإنسانية، فى القرآن الكريم، لتشمل كل الموجودات مما يؤكد أن العلم فى الإسلام يتناول كل موجود. وقولَه سبحانه : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يقتضى أن بعض الناس يعلمون، وهم الذين اختصم الله بالعلم .

قال الأستاذ العقاد: (العلم الذي أمر به القرآن الكريم هو جملة المعارف التى يدركها الإنسان بالنظر فى ملكوت السموات والأرض وما

---

(١) سورة الإسراء : آية رقم ٣٦

(٢) سورة النور : آية رقم ٢٤

(٣) الشرائح جمع شريحة وهى قطعة اللحم . وأصل الشرح، كشف الغامض وتفسيره، مختار الصحاح، ص٣٣، ومنه أخذ علم التشريح فى الإنسان لأنه يكشف عن غامض فى انتهاء حياة الإنسان أو المخفى فى خلايا الجسم من الفيروسات لوصف العلاج.

(٤) سورة الذريات : آية رقم ٢١

(٥) سورة غافر : الآية رقم ٥٧ .

خلق من شيء ويشمل الخلق هنا كل موجود فى هذا الكون سواء كان ذا حياة أو غير حياة[١] .

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾[٢] وبناء على هذا فقد ثبت بالنصوص القطعية أن الله ﷻ فتح الآفاق الكونية، والآفاق الإنسانية، ليبلغ العلماء فيها مبلغا يعود فى النهاية بالنفع على الإنسان.

لكن هل نصوص القرآن والسنة، تتوقف عند لفت انتباه العلماء إلى الآفاق، بحيث يقتصر دورهم على مجرد العلم التقليدى .أم أن نصوصهما تحتمل توجيه العلماء إلى الجديد فى العلم الكوني، والعلم الإنساني للدخول فى ثورة علمية وتكنولوجية، لإحداث طفرة قوية فى علم الصناعة، وعلم الفضاء والعلم الإنساني.

أقــــول بكل ثقة: إن نصوص القرآن والسنة، تحمل إشارات ورموز تحض على النهضة العلمية، والتقنية الحديثة، إما صراحة[٣]، أو ضمنا[٤] بناء على أن الخطاب عن العلم الاستقرائي فى القرآن الكريم والسنة، يرتبط بالآفاق الكونية والإنسانية .

ولما كان الكون قائما بحاله إلى يوم الدين، لأن يمسك السموات والأرض أن تزولا[٥]، إلى يوم تتبدل الأرض غير الأرض والسموات[٦] ولما كان بث النسل مستمرا. إلى يوم، أن يرث الله الأرض ومن عليها[٧]

---

(١) التفكير فريضة إسلامية، ص٥٧

(٢) سورة الأعراف : آية رقم ١٨٥

(٣) كقوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ سورة طه : الآية رقم ١١٤ .

(٤) كقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ سورة الإسراء الاية ٨٥ .

(٥) قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾ سورة فاطر ٤١ .

(٦) لقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ سورة إبراهيم :٤٨

(٧) لقوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ سورة النساء :١

أقول : لما كان ذلك كذلك. فإن الآفاق الكونية، والإنسانية ستظل مفتوحة للولوج فيها .طلبا للنفع الدائم، ولن يؤتى هذا النفع ثمرته المرجوة إلا من خلال التقدم فى العلم،والاستزادة منه، وفقا لآليات كل عصر . وقد أكد هذا قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ [(١)] .

ففي الآية إشارة إلى أن كنوز العلم، وأسراره، لا تتناهى عند الله ﷻ فليطلبها أهل كل زمان بما هيأ الله لهم فيه من مقومات العلم. ومنها الدقة فى الصنعة للوصول للتقنية الحديثة، اتباعا لمنهج الإتقان الذى قام عليه بناء الكون ﴿ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍ ﴾[(٢)].

وجاءت السنة، لتعلن أن التعلق بالعلم للزيادة، فرض على كل مسلم ومسلمة . ففى حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)[(٣)]. وقال (لا ينال المرء عالماً ما طلب العلم) مع العلم بأنه يجب أن نأخذ فى الاعتبار أن القرآن الكريم كتاب الله للعالمين، إنما نزل للإعجاز والهداية فلا يظن أن الغرض من الاستدلال بآياته على العلم، أننا نخضعها للبحث والتجارب لنتأكد من صدقها أو عدمه

بالقطع لا، وحاشا لله فإن آيات القرآن الكريم وحى إلهى لا يخضع لميزان البشر وإنما نأخذ منها الضوء الأخضر للتعرف على الحقائق العلمية، على أن يكون ذلك وفق ضوابط المنهج العلمى فى القرآن الكريم، بأن يقوم على الصدق والنفع، لا على الكذب والفساد. على التعمير والبناء، لا على التخريب والدمار. على خدمة الدين، لا على نقضه .

ومن هذا المنطق فإننا نقرر أن نصوص القرآن والسنة، تشتمل على

---

(١) سور ة طه : آية رقم ١١٤

(٢) سورة النمل : الآية رقم ٨٨ .

(٣) فيض التدير للمنياوى مع الجامع الصغير للسيوطى – لبنان – بيروت – دار المعرفة، جزء ٤، صفحة ٣٤١ ، ٣٤٢

إيحاءات وإشارات علمية تعطى دفعة قوية فى مجال البحث العلمى وتطوير العلوم للنهوض بركب العصر، لاشتمالها على منهج التأمل وتتبع الحجج للترقى فى مدارج العلم وفقًا للمعطيات الآتية:

١- التأمل وتتبع المعارف العلمية :

تشير الآيات الكريمة إلى أن الباحث عن الحقيقة العلمية لابد أن يعتمد على الأمل، وتتبع المعارف العلمية والانتقال من مرحلة إلى مرحلة معتمدا على سلامة الفروض والمقدمات الصحيحة . أشار ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾(١) فإن اتبع الباحث هذا المنهج وتقصى الحقائق فيه كشف الله له من العلم ما لم يكشفه لغيره . لأنه أعمل العقل، وفتح آفاقا جديدة للعلم بعيدا عن التقليد الأعمى والتعصب للماضي. تجد ذلك أيضا فى عرض القرآن الكريم لمنهج التأمل وإدراك الحقيقة عن نبى الله إبراهيم عليه السلام .

أقرأ معى إن شئت قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٢)

وهكذا بالتأمل وتقصى الحقائق الكونية أدرك سيدنا إبراهيم عليه السلام اليقين وهو وحدانية الله تعالى، وكانت غايته عليه السلام من هذه المسلمات أن تكون

---

(١) سورة الغاشية : آية رقم ١٧- ٢٠

(٢) سورة الأنعام : ٧٦ - ٧٩ .



حجته فى رفض الباطل الذى كان عليه آباؤه وقومه قائمة على الاستدلال للوصول إلى الحقيقة . كما فى قوله تعالى: ﴿ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ وقوله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1]، وهنا كافأه الله ﷻ بأن كشف له ما لم يكشفه لغيره فقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾[2]

وفى هذا إشارة إلى أن الله ﷻ يعطى سلطان العلم فى ملكوت السموات والأرض للجادلين الباحثين عن الحقيقة لخدمة الدين والدنيا .

٣- إعلاء القرآن الكريم لشأن القلم والكتابة باعتبارهما أداتي التعلم وتثبيت العلم وتدوينه.

فمن المعلوم أن مراحل البحوث العلمية والتجارب المعملية، إنما تقوم على تدوين المعلومات وخطها، سواء كان بالوسائل التقليدية، أو بآليات العصر لصيانتها من التلف أو الضياع . وحفظها فى الذاكرة لاستدعائها وقت الحاجة، ووضعها فى موضعها المناسب، بحيث تكون جاهزة وقت رصد النتائج .

ولما كان القلم والكتابة يلعبان الدور الرئيسى فى تدوين العلم ونشره

(١) سورة الأنعام : آية رقم ٧٤

(٢) سورة الأنعام : آية رقم ٧٥

فى الناس فقد جاء حديث القرآن عنهما حديث تعظيم وارتقاء فى معرض القسم وبث رسالة الإسلام للعالمين . مما يدل على اهتمام القرآن الكريم بأدوات العلم على أى وجه كانت .

فقال تعالى : ﴿ نٓ ۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾(١)

قال جماعة : النون . لوح من نور، وقال آخرون : ن . الدواة .

لحديث مالك بن أنس عن أبى هريرة قال : "سمعت رسول الله ﷺ يقول أول ما خلق الله. القلم، ثم خلق النون وهى الدواة . ذلك قوله تعــالى: ﴿ نٓ ۚ وَٱلۡقَلَمِ ﴾(٢)، وفى لفظ الترمذى عن عبادة بن صامت قال: " سمعت رسول الله ﷺ يقول إن أول ما خلق الله القلم فقال له : أكتب فجرى بما هــو كائن إلى الأبد(٣) .

فهذا إشارة إلى وظيفة القلم من أجل الوظائف، وهى خط العلوم التى تقوم عليها وبها، حياة الناس إلى يوم الدين.

أما قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾ أى ما يكتبه الناس ويتفاهمون به فى العمل والحفظ، من سطرت الكتاب سطرا أى كتبته(٤)

وفى موضع آخر قال ســبحانه: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾(٥) .

فقوله تعالى: ﴿ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ بعد قوله ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴾ يوحى بأن القلم مطية لنقل الإنسان مما لم يعلم إلى ما يعلم، مما يشير إلى أنه أداة لتطور العلم من جيل إلى جيل .

---

(١) سورة القلم : آية رقم ١
(٢) تفسير القرطبى، جزء١٠، صفحة٦٩٥١
(٣) سنن الترمذى، جزء ٥، صفحة ٤٢٤ .
(٤) المصباح المنير، صفحة ٢٧٦
(٥) سورة العلق : آية رقم (٣-٥)

[illegible] قتادة : القلم نعمة من الله تعالى عظيمة، لولا ذلك لم يقم دين، ولم يصلح عيش، فدل على كمال كرمه سبحانه، بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم[١] .

فكان من كرمه سبحانه، أن أعان الإنسان على التعلم والفهم، وهو ما أشار إليه قولَه تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾ مما يعطى للعلماء الثقة فى أن الله ﷻ من وراء علمهم محيط، يكشف لهم مفاتيح النفاذ، إلى أقطار السموات والأرض .

ومن الملاحظ أن التعليم بالقلم، والخط فى الآيات جاء مطلقاً غير مقيد بنوع خاص من أنواع العلوم، حتى لا يظن ظان أن المراد بالعلم المكتسب من القلم والخط، هو العلم الشرعي فقط، ويركن إلى ذلك، تاركاً ميادين العلم الأخرى لغير المسلمين .

فجاء العلم بالقلم والكتابة مطلقاً، ليفتح الباب لكل العلوم التى أسبغ الله معرفتها على الإنسان . سواء كانت علوما نظرية أو علوماً تجريبية، أو علوما استقرائية . مما يدفع بالعلماء المسلمين، أن ينهضوا بأبحاثهم للدخول فى عصر الفضاء والتكنولوجيا والشرائح الإنسانية .

٣- تسخير آليات الكون لنفع الإنسان :

من الحقائق القرآنية، ديمومة تسخير[٢] آليات الكون وفتح آفاقها للإنسان للانتفاع بها فى المجالات التى ذللها الله لخدمة الدين والدنيا . بيد أن التقدم فى علومها مرهون بنباهة العلماء، وتفعيل آليات التقدم العلمى

---

(١) تفسير القرطبى، جزء١، صفحة ٧٤٥٩

(٢) التسخير سياقة الشىء إلى الغرض المختص قهراً من سخر الله الإبل أو الشمس، أى ذللها سهلها لما سخرت لَه. وهكذا فى كل التسخير فإن الله سخر الكواكب، أى قيضها للفعل الذى فيه منفعة للأنسان . أما السخرى: فهو الذى يتسخر بإرادته بالتفاعل مع الغير . ومنه قولَه تعالى : ﴿ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗا ﴾(سورة الزخرف :٣٢) المفردات فى غريب القرآن، ص ٢٢٧، والمصباح المنير،ص٢٦٩

بالبحث والتجارب المعملية وبناء القواعد العلمية الحديثة، إعمالا للقاعدة النبوية : " لا يزال المرء عالما ما طلب العلم"(١) .

وقد احتوى القرآن الكريم على نماذج من الآيات الكونية التى فتحت أبواب العلم للإنسان لإخضاع مفردات الكون للبحوث والتجارب للاستفادة من منافعها بقدر ما أذن الله، وما أعطى من سلطان، سواء كان النفع لخدمة الدين، أو الخدمة الدنيا، من ذلك.

١- قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(٢)

وقال سبحانه : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾(٣)

وقال ﷻ: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٤). وقال جل ذكره: ﴿ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٥)

تدل الآيات على أن الأجرام السماوية قد ذللها الله لخدمة الإنسان للانتفاع بها وعبر سبحانه عن ذلك بقولـــه : " لكم " أى لتنتفعوا بها جميعاً لأنها خلقت من أجلكم، وسخرت للإنعام عليكم، دون حصر لوجوه المنفعة للدلالة على سعة فضل الله فى فتح الآفاق لتطور العلم جيلا بعد جيل .

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) سورة يونس آية رقم ٥
(٣) سورة إبراهيم : آية رقم ٣٣
(٤) سورة النحل : آية رقم ١٢
(٥) سورة البقرة : آية رقم ١٦٤ .

والتعبير بالتسخير لَه مغزى لدى كل لب . فإن من أيقن أن التسخير لهذه الكواكب المقهورة بما تحمل من آثار كونية أبدى النفع لخضوعها لتدبير الحكيم الخبير، وتقدير العزيز العليم، أدرك أن الله سبحانه، سواها على هذه الحال إلى يوم القيامة، وأحكم صنعها بإتقان لتكون على وفق مصالح هذا العالم . أخذاً من قولَه تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[١] وقولَه ﷻ : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٢].

أى عالم بجميع المعلومات، والتكوينات، وكيف ومتى تكون لازمة لمصالح العباد، فى كل زمان، ومكان، ويعلمه هذا وتقديره سبحانه، يفتح برحمته أبواب العلم للنبهاء من عباده، وذوى العقول المدركة المتأملة . للولوج فى أقطار السموات والأرض للنهوض بالطفرات[٣] العلمية المتسارعة .أخذاً من قولَه تعالى: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٤] فالآية تعطى إيحاء بالابتكار، والتقدم فى علوم العصر، لأن الحكمة إصابة الحق بالعلم، والعقل، ولا يعنى هذا سوى الإتقان فى البحث والإصابة فى النتائج من قولك : أحكمت الشيء، أتقنته، فاستحكم، أى صار متقنا[٥] والإتقان فى العلم هو أحد مقومات التقدم العلمى وتطوير الصناعة لمواكبة العصر .

قال الأصفهانى : الحكمة من الله هي معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات[٦]

---

(١) سورة الأنعام: آية رقم ٩٦ .

(٢) سورة البقرة : آية رقم ٢٩

(٣) أصل الطفر الوثوب فى ارتفاع، المصباح المنير، ص٣٧٤، والمراد هنا ملاحقة التطورات العلمية للتنافس والمسارعة للسبق فيها .

(٤) سورة البقرة : آية رقم ٢٦٩

(٥) المصباح المنير، ص١٤٥

(٦) المفردات فى غريب القرآن، ص ١٢٨

قال الإمام الرازى فى مجمل هذه الآيات: (أن انتفاع الخلق بضوء الشمس وبنور القمر عظيم، فالشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل، وبحركة الشمس تنفصل السنة إلا الفصول الأربعة، وبحركة القمر تتوالى الشهور وتتمايز، وبسبب الحركة اليومية يحصل الليل والنهار، فالنهار يكون زمنا للكسب والمعيشة، والليل للسكون والراحة مما يدل على كثره رحمة الله بالخلق وعظيم عنايته بهم[١] .

وتذييل الآيات بقوله تعالى: ﴿ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ وقوله ﴿ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ فمغزاه واضح، أنه ربط بين بلوغ الآفاق فى المسخرات الكونية، وحيزها بحيث يجرى كل كوكب فى مستقر خاص به تنويها لآثارها ليتعلق الناس بمنافعها لخاصية كل كوكب وعطاء الله فيه مما يحقق تطوير العلم فى المجالات المختلفة قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩ ﴾[٢].

مما يدل على أن نبوغ أهل الذكر فى العلم وترقيهم فيه إنما هو بما أودعه الله ﷻ من ملكات ذهنية تجعلهم قادرين على الخلق والابتكار وكشف لهم من العلم ما لم يكشفه لغيرهم لينفذوا به إلى أقطار الأرض والسموات .

٤- التمكين للإنسان فى الأرض :

من الحقائق القرآنية للتقدم العمى، أن الله مكن للإنسان فى الأرض إلى يوم القيامة، لضمان العيش والاستقرار فيها ولن يبلغ الإنسان مأربه فى

(١) نفس المرجع السابق

(٢) سورة يس : آية رقم ٣٨- ٣٩ .

أسباب التمكين فى الأرض إلا بتفجير الطاقات الذهنية وإخضاع مكنونات الله فى الأرض للبحوث المعملية فى علوم الأحياء والكيمياء وطبقات الأرض .

ولذلك جاء مصطلح التمكين فى الأرض فى القرآن الكريم شاملا لكل جوانب النفع دينا ودنيا، لربط المعاش بالمعاد . من ذلك :

أ- قولَه تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ[1] فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ﴾[2]

والتمكين هنا أن الله جعل الأرض موطناً للإنسان وهيأ لَه من أسباب القدرة ما يمكنه من التسيد عليها للانتفاع بخيراتها، لعله يتذكر ويشكر . وأعانه على ذلك بأنه ذرأ فيه قوى التمكين فقال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾[3] .

وقال: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً ﴾[4].مما يشير إلى أن التمكين فى الأرض يقوم على قوى العلم . للدلالة على أن كليهما لا غناء لَه عن الآخر .

ب- قولَه سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[5] .

أى جعل الأرض لينة سهلة، للضرب فيها، وطرق مسلكها، لبلوغ أقصى نفع منها، عن طريق العلوم الأرضية، كعلم طبقات الأرض، وعلم الحفريات لاستخراج المعادن، وعلم جغرافيا الأرض أخذا من قولَه تعالى:

---

(١) أصل المكان، الموضع الحادى للشىء . والمراد هنا الموطن الذى هياه الله لقرار الإنسان، وعبر بالتمكين، ليعطى معنى القوة والسيطرة للإنسان على مسخرات الله تعالى، باعتباره سيدا عليها يقال: مكنته لَه فتمكن ومنه تعالى : (فى قرار مكين) المؤمن.

(٢) سورة الأعراف آية رقم ١٠.

(٣) سورة السجدة آية رقم ٩ .

(٤) سورة الأحقاف : آية ٢٦ .

(٥) سورة الملك : آية رقم ١٥ .

﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾(١)

٥- عدم تناهى العلم:

كذلك من أقوى الحقائق القرآنية للدلالة على الدخول فى النهضة العلمية والتقدم التكنولوجي احتضان القرآن نظرية عدم تناهى العلم . وأن الحاصل منه بجانب المخفى قليل . مما يشحذ الهمم لدى العلماء أن ينهضوا لكشف المخفى من العلم . فيبلغوا به الآفاق، ويمتطوا به ركب الحضارة، وهو ما أتاحه لهم منهج القرآن الكريم فى العلم .

والأصل فى نظرية عدم تناهى العلم . قولَه تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٢) وقولَه سبحانه: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾(٣) وقولَه ﷻ: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾(٤) ففى هذا إشارة إلى أن مصدر جميع العلوم هو الله ﷻ فما شاء اختصه لنفسه، أرجع أمره إليه لا يطلع عليه أحدًا كقولــه تعالى فى صدر الآية ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾(٥) أى علمها عند ربى . وبهذه الإجابة حسمت الآية مسألة العلم بالروح بأن الله ﷻ اختصه لنفسه.

أما شاء الله منحه لعباده من العلم فهو موضع الطلب للاستزادة، ويسمى اللامتناهى وهو فى خزائنه يؤتيه من يشاء بقدر ما يشاء، ورمز إلى ذلك سبحانه بقوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾(٦)، وعلى ذلك . فمهما أوتى الإنسان من علم فهو قليل، أو من القليل، بالنسبة لمخزون اللامتناهى، وهو

---

(١) سورة الذريات : آية رقم ٢٠ .
(٢) سورة الإسراء :آية رقم ٨٥
(٣) سورة طه : آية رقم ١١٤
(٤) سورة النساء : آية رقم ١١٣
(٥) سورة الإسراء : ٨٥
(٦) سورة طه : آية رقم ١١٤

ما نبهت إليه الآية الكريمة: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[١]، لأنه إذا كان باب الزيادة فى العلم مفتوحا للنهل منه بالبحث والطلب، فإنه يعنى أن المكنون من العلم عند الله كثير لا يتناهى، مما يدل على أن العلوم الحاصلة عند الناس قليلة جدا بالنسبة إلى علم الله، بالنسبة لحقائق الأشياء .

وإذا تأملت المغزى من وراء عدم المتناهى فى العلم المشار إليه ضمنا فى قولَه تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ فسوف تجده ضرورة للتوافق بين الحقائق القرآنية . وأداة لتفعيل النسق القرآنى فى الربط بين العلم ومسخرات الكون المفتوح . ذلك أن المعقولات الكونية فى العالم العلوى[٢] والمعقولات الكونية فى العالم السفلي[٣] وجميعها بحركاتها، جهاتها، ومشاهدها المتكررة لانهاية لها البتة لإمساك الله لها بحالها الذى استقامت عليه

إلى يوم الدين . أخذا من قولَه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾[٤]

ولما كانت هذه المعقولات العلوية والسفلية موضع النفع والخيرات ومناط التأمل والإدراك، معتبر ذوى العقول والألباب، وأن أكثر مصالح هذا العالم مربوطة بهما احتاجت إلى ما يكشف أسرارها ومن يبحث فى آثارها ومنافعها، ليس إلا للعلم والعلماء، فكان بالضرورة ألا يتناهى العلم، كما لا يتناهى الكون[٥] لتدوم الاستفادة بمنافع هذه المعقولات الكونية جيلا بعد جيل إلى يوم القيامة .

---

(١) سورة الإسراء : آية رقم ٨٥

(٢) المعقولات أى محل التدبر وإعمال العقل فى آياتها، وهى فى العالم العلوى، الشمس والقمر والنجوم والرياح، والسحاب، وهكذا

(٣) الكونيات السفلية هى الأرض بطبقاتها، وجبالها، ومعادنها، والبحار، والأنهار، والمحيطات .

(٤) سورة فاطر : آية رقم ٤١

(٥) الكون الوجود والحصول، مأخوذ من كون الله الشيء، فكان أى أوجد . الصباح المنير ص٥٤٥

فكان الحاصل من المعارف، والعلوم فى كل عصر، هو القدر المتناهى، أما المخفى منه أى التى لم تصل إليها العلماء ولم يتعرفوا على أسرارها فهى بالنسبة للأولى غير متناهية .

والمتناهى بجانب غير المتناهى قليل فى كثير . وهذا الكثير الذى لا يتناهى هو ما يرغب الله فى المزيد منه بقوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[١] مما يدل على أن العلم لانهاية لقدره ولا لعدده ولا مدته .

وبقدر ما يجتهد العلماء يأتيهم سلطان الله فى العلم، فيعلمهم مالم يعلموا، أخذا من قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾[٢] ويبقى الكثير من العلم المكنون[٣] موضع الاستزادة لمن يأتى بعدهم جيلا بعد جيل. مما يدل على أن باب العلم مفتوح غير متناه ويقبل التجديد والتطوير وفق أدوات العصر، لأن عطاء الله فى العلم يأتى وفق حاجة الإنسان فى كل عصر والانتقال بأدواته من حال إلى حال، استشرافا للمستقبل ودفعا لكل جيل من العلماء أن يعيشوا العصر بكل أدواته، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[٤] فصدرت الآية بحرف السين فى قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ﴾ للدلالة على الكشف العلمى فى المستقبل مما يدل على أن عطاء العلم غير متناه، ما دامت الحياة، وما وجدت السموات والأرض . وهذا يعنى الإذن بالدخول فى عصر التكنولوجيا والحقائق العلمية فى شتى المجالات، سواء بالابتكار أو نقل الخبرة .

---

(١) سورة طه : آية رقم ١١٤

(٢) سورة النساء : آية رقم ١١٣

(٣) المكنون، أى المستور، من كننت الشيء، جعلته فى كن، أى سترته، وأخفيته، والكن ما يحفظ فيه الشيء. ومن ذلك قوله تعالى: (كأنهن بيض مكنون سورة الصافات: آية رقم ٤٩ والكنان: الغطاء الذى يكن فيه الشيء، والجمع أكنه، ومنه قوله تعالى : (وجعلنا على قلوبهم أكنه أن يفقهوه) سورة الإسراء : آية رقم ٤٦ المفردات فى غريب القرآن، ص ٤٤٢، المصباح المنير، ص٥٤٢

(٤) سورة فصلت : آية رقم ٥٣

٦- تعدد المعارف والعلوم:

من أبرز الحقائق القرآنية جملة المعارف والعلوم التى حوتها النصوص القرآنية وأشارت فى مضمونها إلى تنوع العلوم وتميزها[١] تنبها لمراعاة التخصص الدقيق، وهو أحدث منهج فى العلوم المعاصرة سواء كانت علوما طبيعية تجريبية أو علوما إنسانيا . وقد أشار القرآن الكريم فى أكثر من آية، إلى تعدد المعارف وتنوع العلوم ومنها العلوم الكونية والتجريبية التى كشفت عنها النهضة العلمية الحديثة .

ومن هذه الآيات:

١- قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[٢]

٢- وقال سبحانه: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[٣]

٣- وقال ﷻ: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾[٤]

ففى معنى الآيات قال القرطبي: (ثم علا سبحانه إلى سبحانه إلى السموات السبع فسواهن وحبكهن، وأجرى فى بعضهن شمسه وقمره ونجومه، وقدر فى كل واحدة منهن ما قدر من خلقه)[٥]

---

(١) تميز الشيء، لنفصل عن غيره، من مميزات الأشياء إذا فرقتها بعد المعرفة بها . المصباح المنير ص٥٨٧

(٢) سورة البقرة : آية رقم ١٦٤

(٣) سورة فاطر :آية رقم ١٣

(٤) سورة يس : آية رقم ٣٩

(٥) تفسير القرطبى، جزء١، صفحة ٢٩٩، طبعة دار الغد العربى

وقد أشار ﷻ إلى أثارها ليتعلق الناس بمنافعها سماءً وأرضاً وبحراً، لن يتأتى لهم ذلك إلا بالولوج فى أقطار السموات والأرض، بسلطان العلم تحقيقا لقول الله تعالى: ﴿ فَٱنفُذُواْ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٍ ﴾[(١)] للاستفادة بمسخرات أرضاً وسماءً، خدمة للدين والدنيا . ذلك أن الله ﷻ كشف لنا بتقديره فى الآيات الكونية أنه دبر أمرها وفصلها، وصرف اتجاهاتها وحدد مهامها وقهرها لتدور فى أفلاكها وفقا لما ينفع الناس كما فى قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾[(٢)]، فى مشاهد متكررة لا تتخلف، ولا يمتنع منها جرم عما حدد له من مهام . وهو ما يدفع بالعلماء أن ينهضوا بأبحاثهم للدخول فى عصر الفضاء والتكنولوجيا تأسيساً على إذن الله تعالى لهم بالنفاذ العلمى فى الكون كل فى مجال تخصصه سواء فى علوم الفضاء أو علوم الأرض . أو علوم الفلك . قابلة للحركة، وكل واحدة من حركاتها مختصة بكيفية معينة فى البطء والسرعة لتكون صالحة لأوجه الانتفاع بآثارها.

ودل على ذلك قوله تعالى: ﴿ دَآئِبَيۡنِ ﴾[(٣)] أى أنهما يعملان على عادة مضطرده فى سيرهما، وإثارتهما فى تعاقب الليل والنهار، وكل يجرى فى منزله بتقدير العزيز القهار ولولاهما لاختلت مصالح العالم بالكلية[(٤)].

ولذلك فوجودهما من الضروريات لتعلق منافع الناس بآثارهما وابتناء مصالح الدين على حركة كل منهما فى مداره الخاص به. فلولا الشمس حصلت الفصول الأربعة، وما حددت مواقيت الصلاة ولولا القمر، ما ضبطت الآجال، وما قدرت عدة الشهور، وما ضبطت العبادات، والأعياد. **فدل على أن الله تعالى ساقهما لمنافع الإنسان .**

---

(١) سورة الرحمن : آية رقم ٣٣

(٢) سورة إبراهيم : آية رقم ٣٣

(٣) الدأب . إدامة السير أو هى العادة المستمرة دائما مع حالى . المفردات فى غريب القرآن ص١٧٤

(٤) الرازى جزء ٩، صفحة ٣٤٩

المبحث الثالث

الجزء التطبيقى (الأقمار الصناعية)

المبحث الثالث

الجزء التطبيقى (الأقمار الصناعية)

إذا كان الله ﷻ قد ذكر فى أكثر من آية أحوال السموات والأرض وتعاقب الليل والنهار، كيفية حركة الشمس والقمر، وطريقة تفتيت السحاب لإنزال المطر لإحياء الأرض الموات، وكررها فى أكثر من سورة فإنما ليشد الانتباه إلى منافعها وآثارها إغراءً للعلماء للولوج فى أقطار السموات والأرض للاستزادة من عطاء الله فيها، ببلوغ قدر من التقدم العلمى، والأخذ بالتقنية الحديثة للانتفاع بآثارها .

ولذلك قال الرازى : (فلو لم يكن البحث عنها، والتأمل فى أحوالها جائزا لما ملأ الله كتابه منها[1] مما يلقى عبء النفاذ إليها ونقل منافعها لمصالح الدين والدنيا،على العلماء لأن منافعها مستمرة ودائمة لكينونة التسخير إلى يوم الدين، والعلماء هم أقدر الناس على كشف أسرار الكون بما أتاهم الله من نشاط فى العقل والبحث .

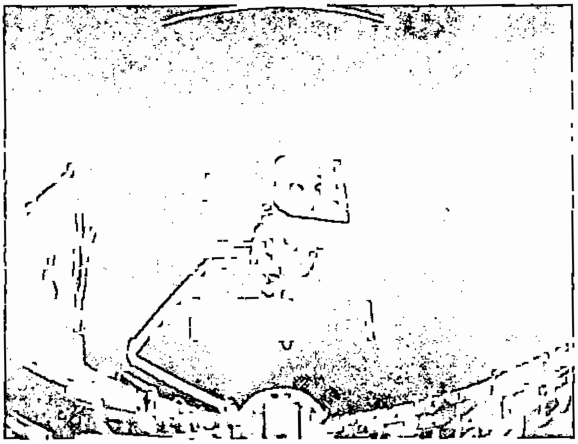
ومن خلال الإشارات العلمية فى الآيات الكونية التى فضلها القرآن الكريم يمكن للعلماء أن يدركوا أكثر من علم فى مجال الفضاء الكونى يتصل نفعها بحياة الناس مباشرة لقيامها بخدمة علوم الدين والدنيا معا .

وأتناول فى هذا المبحث نموذجا من آليات العصر المرتبطة بالكون العلوى يجرى تنفيذها فى بعض الدول الإسلامية والعربية لمصلحة الدين والدنيا .

وأخص بذلك علم الأقمار الصناعية : وهى تكنولوجيا حديثة فى عالم الفضاء والمعلومات، تمثل قاعدة للانطلاق نحو الآفاق . وتختلف

---

(١) تفسير الرازى، جزء٧، صفحة ٥٤



استخدامات الأقمار الصناعية باختلاف الغرض من إنشائها. فقد تكون عامة، وقد تكون متخصصة ففى مجال الأقمار الصناعية العامة.

قد نجحت مصر فى إطلاق قمرين صناعيين فدخلت بهما مجال الاتصال وتكنولوجيا نقل المعلومات)[1] لمحاكاة الثقافات الأخرى، وإعطاء الفرصة لإستحداث قنوات فضائية، متعددة الأغراض، للدفاع عن الهوية العربية والذاتية الإسلامية .

والقمر الصناعى الإعلامي يقوم على أساس تكنولوجيا الأنصال الفورى لبث المعلومات والمواد الإعلامية، على شاشة التليفزيون وشاشة الإنترنت مما يسهل الاتصال والتلاقى بين الثقافات والحضارات، وإظهار ما لم يكن معلوما .

ولعل ما يرمز من آيات القرآن إلى إرسال المعلومة غير المدركة من مكان بعيه قولَه تعالى: ﴿ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾[2] والمعنى أن الكافرين يقولون عن الآخرة مالا يعلمون وهم فى مكان بعيد فى الدنيا أو

---

(١) أطلقت مصر القمرين، نايل سات ١٠١، ونايل سات ١٠٢، وبهما دخلت مصر عصر الفضاء، وأصبحت العضو رقم ٦٠ فى نادى الفضاء الدولى، ومهمة القمرين كما ذكر السيد وزير الإعلام المصرى تتمثل فى بث الخدمات الإعلامية وتأمين وسائل الاتصال بشبكة وطنية والسيطرة على الحيز الفضائى المصرى حتى يمكن المحافظة على الهوية المصرية والذاتية العربية والإسلامية ـ جريدة الأهرام المصرية ٢٠٠٠/٨/١٩ صفحة ١٢، ٢٠٠٠/٩/١٣ صفحة ٣ .

(٢) سورة سبأ : آية رقم ٥٣

يقولون ما لا يدركون ببصرهم وبصيرتهم(١)

القذف هو الرمى، وقيل هو السرعة من تقاذف الفرس فى عدوه أى أسرع .

والغيب . مصدر يطلق على ما يستتر عن العين . وعلى ماخفى من المعلومات قبل العلم بها(٢) ومن هذا المعنى يمكن تصور فكرة القمر الصناعى فإن بث المعلومة من القمر الصناعى هو نقلها من مكان بعيد فى أقصى سرعة لتصل فى نفس اللحظة لمن كانت عنه غائبة ومن قبل المسافة بين القمر الصناعى والأجهزة الأرضية المتلقية يدل على أن مهمة القمر تحريك الغيب من الصور، والمعلومات من مكان بعيد ليكون حاضراً للمستفيد . فكزنه ينقل يما يغيب عن المشاهد عن بعد .

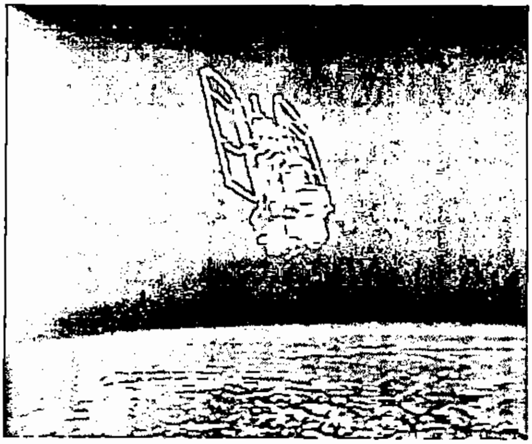
ولعل ما يشير إلى ارتياد السماء بالعلم الحديث ودخول ثورة التكنولوجيا فى علوم الفلك والاتصال قولة تعالى ﴿ يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَـٰنٍ ﴾(٣) فلنفاذ فى الآية على رأى ابن عباس، هو النفاذ العلمى المدفوع بالتأمل العقلى، لمعرفة وعلم ما فى السموات والأرض من منافع وآثار، ولن يكون ذلك إلا بإذن من الله، لأنه يملك السموات والأرض وما بينهما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾(٤)

قال ابن عباس ﷺ : (إن استطعتم أن تعلموا ما فى السموات والأرض

(١) تفسير القرطبى جزء٨، صفحة ٥٥٨٨ تفسير الرازى ١٣صفحة ٢٠
(٢) المفردات فى غريب القرآن ص ٣٦٦
(٣) سورة الرحمن : آية رقم ٣٣
(٤) سورة المائدة : آية رقم ١٧

فاعلموه ولن تعلموه إلا بسلطان، أى بينة من الله تعالى)[١]

والله ﷻ لا يمنع سلطانه عمن أخلص فى علمه فيأخذه إلى مدارج العلم للوصول إلى ما تناهى إليه قدرته فى البحث والابتكار .



أما فى مجال الأقمار الصناعية المتخصصة فيتطلع العالم الإسلامى إلى القمر الصناع الإسلامى مقترح دار الإفتاء المصرية، ليكون قمرا صناعيا متخصصا لخدمة الدين، عن طريق ضبط مطالع الشهور، لتوحيد المسلمين فى العبادات، وتحديد المواقيت والأعياد بدقة وفقا للخطاب الشرعى الوضعى بجعل الشيء سببا فى الشيء[٢] كقوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾[٣] وقوله سبحانه: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾[٤] .

---

(١) القرطبى جزء ٩ صفحة ٦٥٧

(٢) الحكم الوضعي هو ما اقتضى وضع شئ سبباً لشيء، أو شرطا له أو مانعاً . فمثال وضع الشيء سبب قوله تعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل) (سورة الإسراء : ٧٨) ومثال وضع الشيء شرطا كقولة تعالى: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) (سورة آ ل عمران: آية رقم ٩٧) فاستطاعة السبيل شرط يجاب الحجة . ومثال المانع : ليس للقاتل ميراث، الحكم الوضعى فى :المستصفى: ٩٣/١: من علم الأصول للإمام أبى حامد محمد بن الغزالى، توفى ٥٠٥هـ، طبعة المطبعة الأميرية ببولاق، الطبعة ١، ١٣٢٢هـ، الغيث المانع فى شرح جمع الجوامع: ٩٣/١ – لمحمد بن أحمد المحلى المصرى، المتوفى ٨٦٤ هـ، طبع مع جمع الجوامع . وروضة الناظر ص٣٠ : وجنة الناظر :د/عبد العزيز السعيد، طبعة جامعة الإمام محمد بن مسعود – السعودية وسلم الوصول : ص٣٣ : شرح منهاج الوصول – للشيخ محمد بحيت المطيعى – طبعة السلفية . وشرح الكوكب المنير : ٤٣٤/١ المسمى بمختصر التحرير فى أصول الحنفية – الفتوحى – تقى الدين بن البقاء شهاب الدين أبى العباس أحمد بن عبد العزيز بن على بن ابراهيم العباس أحمد بن عبد العزيز بن على بن إبراهيم – طبعة السنة المحمدية – تحقيق محمد حامد الفقى سنة ١٣٧٢هـ.

(٣) سورة الإسراء : آية رقم ٧٨ .

(٤) سورة البقرة : آية رقم ١٨٥ .

وقولَه ﷻ : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾(١)

ومهمة القمر الصناعى الإسلامي، كما أوضحها فضيلة الأستاذ الدكتور / نصر فريد واصل مفتى الديار المصرية سابقا، ومقترح المشروع هى :

مساعدة الدول الإسلامية على الوصول إلى لرؤية الشرعية الحقيقية بالعين المجردة عن طريق المنظار المحمول على القمر الصناعى، حال طيرانه فى سماء الدول الإسلامية من خلال بث صورة الهلال الحقيقية وقت مولده فى كل دولة تشترك فى الأخذ بفكرة المشروع عن طريق شاشة تليفزيونية، أو فاكس أو كليهما معا فتتحقق بذلك الرؤية الشرعية بين جميع الدول الإسلامية فى الليلة الواحدة وإن اختلفت فى فروق التوقيت(٢) فيلزم الصوم جميع المسلمين بناء على هذه الرؤية الجماعية لتحقق السبب عند الجميع وهو شهود الهلال . أخذا من قولَه تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾(٣) وبذلك تدخل الآليات المعاصرة مجال الإحكام الشرعية فتعين على آداء العبادة فى زمن واجحد لجميع المسلمين مما يعمل على توحيد الأمة .

وإذا كان القمر الصناعى الإسلامى يطلع فى المقام الأول بكشف صورة الهلال مولده ونقلها فى نفس اللحظة إلى الأجهزة المتلقية لتحقيق الرؤية الشرعية لجميع الدول الإسلامية فى زمن واحد، فإنه إنما يعتمد على العلم بحركة الشمس ومنازل القمر فيما يسمى بعلم الفلك المرتبط بالمجموعة الشمسية والقمرية .

---

(١) سورة البقرة . آية رقم ١٨٩

(٢) من كلمة فضيلة المفتى أمام الدورة الثامنة للجنة التقويم الهجرى الموحد – جدة – المملكة العربية السعودية، من ٧-٩/١١/١٩٩٨

(٣) سورة البقرة . آية رقم ١٨٥

وقد أشارت لهذا العلم الآيات الكريمة فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾(١) .

فدلت الآيات على أن كوكب من الكواكب الفلكية إنما مدار خاص به لايمكن أن يؤدى مهمته لتكون إلا من خلاله، لأن الله ﷻ سواهن وأحكمهن على وفق مصالح العباد، لتكون سببا للحصول على هذه المصالح، ومنها إدراك الهلال بالآلة، فيما يسمى بالرؤية العلمية القطعية .

وحتى يطمئن العلماء أن الله تعالى سيمكنهم من البلوغ فى هذا العلم وفقا لآليات كل عصر، أشار سبحانه إلى ذلك بقوله : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾(٢)

---

(١) سورة يونس : آية رقم ٥

(٢) سورة فصلت : آية رقم ٥٣

الفصل الثالث

نماذج من الحقائق العلمية الكونية

في

ضوء القرآن الكريم

المبحث الأول : شكل الأرض بين القرآن والعلم

المطلب الأول : الأدلة القرآنية الدالة على مظاهر القشرة الأرضية .

المطلب الثانى : أراء المفسرون فى المد والبسط .

المطلب الثالث : شكل الأرض تحديداً

المطلب الرابع : الآيات التى تثبت كروية الأرض .

المطلب الخامس: الحقائق والنتائج العلمية المستنبطة من معانى الآيات القرآنية السابقة .

المبحث الثاني : نشأة الأرض وتكوينها .

المطلب الأول : أراء المفسرون فى ترتيب خلق السماء والأرض .

المطلب الثانى : نظريات العلماء لتفسير وجود الأرض .

المبحث الثالث : وتدية الجبال وتوازن الأرض:

المطلب الأول : التعريفات المعاصرة للجبال .

المطلب الثانى : الحقائق العلمية المستنبطة من معانى الآيات القرآنية للجبال.

المطلب الثالث : الجبال أوتادا

المطلب الرابع: وصف الجبال أو شكلها .

المبحث الأول :

شكل الأرض بين القرآن والعلم

المطلب الأول : الأدلة القرآنية الدالة على مظاهر القشرة الأرضية .

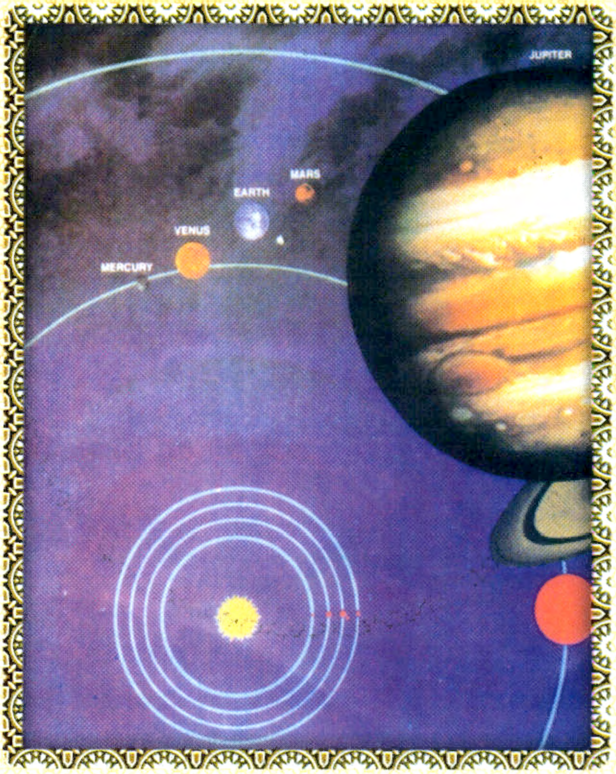
المطلب الثانى : أراء المفسرين فى المد والبسط .

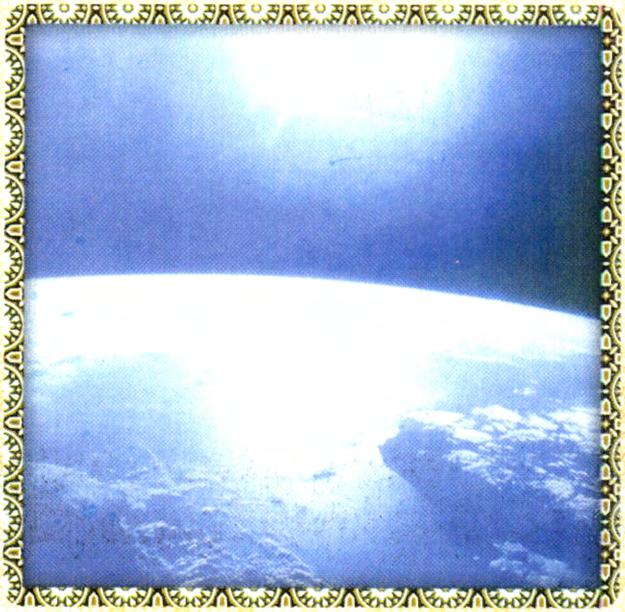
المطلب الثالث : ما هو شكل الأرض تحديداً ؟

المطلب الرابع : الآيات التى تثبت كروية الأرض .

المطلب الخامس: الحقائق والنتائج العلمية المستنبطة من معانى الآيات القرآنية السابقة .

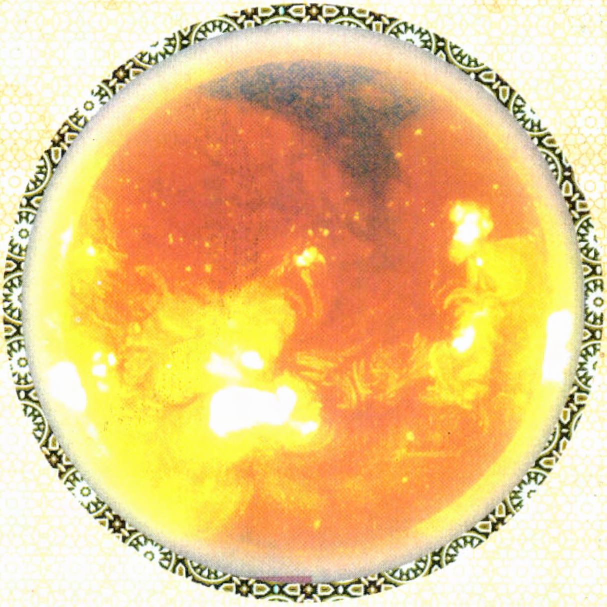
قدرة الخالق فى صنع الكون





والأرض مددناها وجعلنا فيها رواسى

إعجاز الخالق فى خلق الشمس





وجعلنا سراجا وهاجا

المبحث الأول
شكل الأرض

قال الله ﷻ : ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾(١) .

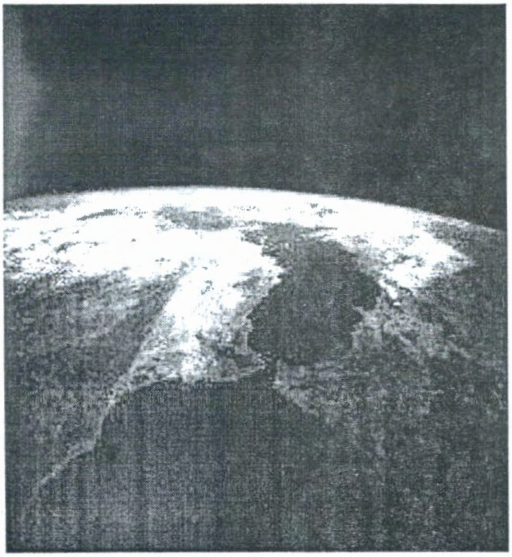
وقال تعالى : ﴿ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ﴾(٢) .

وقال سبحانه : ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾(٣) .

وقال تعالى أيضا : ﴿ بِرَبِّ ٱلْمَشَـٰرِقِ وَٱلْمَغَـٰرِبِ ﴾(٤) .

وقال ﷻ جلاله : ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾(٥) .

وقال تعالى أيضا : ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ﴾(٦)



قال ابن منظور فى لسان العرب : فى مادة كور : والتكوير معناه لف شئ على آخر في اتجاه مستدير .

لقد قرر القرآن الكريم أن الأرض كروية فى أكثر من موضع وأعطانا اكثر من دليل . وقد نقل الإمام القرطبي – رحمة الله تعالى – عن الضحاك في

(١) سورة الأعراف آية رقم ٥٤
(٢) سورة يس آية رقم ٤٠
(٣) سورة الشعراء آية رقم ٢٨
(٤) سورة المعارج أية رقم ٤٠
(٥) سورة النور آية رقم ٤٤
(٦) سورة الزمر آية رقم ٥

معنى التكوير: أي يلقي هذا وهذا على هذا، قال وهذا على معنى التكوير فى اللغة وهو طرح الشيء بعضه على بعض . وقال الفخر الرازى – رحمه الله تعالى – فى تفسيره: "ثبت بالدلائل أن الأرض كرة، فكيف يمكن المكابرة فيه ؟! "، كما قال ابن حزم – رحمة الله تعالى: "أن أحدا من أئمة المسلمين المستحقين لاسم الإمامة بالعلم رضي الله تعالى عنهم لم ينكروا تكوير الأرض ولا يحفظ لأحد منهم فى دفعة كلمة " وقد قرر ذلك أيضا الإمام الألوسي وابن القيم وابن تيميه رحمهم الله .

المطلب الأول

الأدلة القرآنية الدالة على مظاهر القشرة الأرضية .

- الدليل الأول: في سورة الرعد: حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ﴾(١) .
- الدليل الثاني : في سورة الحجر ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾(٢)
- الدليل الثالث : في سورة ق : ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾(٣)
- الدليل الرابع: في سورة نوح: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾(٤)
- الدليل الخامس: في سورة الملك: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾(٥)
- الدليل السادس: في سورة البقرة: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾(٦)
- الدليل السابع: في سورة الذاريات: ﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴾(٧)
- الدليل الثامن: في سورة طه: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ

(١) سورة الرعد : آية رقم (٣) .
(٢) سورة الحجر : آية رقم (١٩) .
(٣) سورة ق : آية رقم (٧) .
(٤) سورة نوح آية رقم (١٩، ٢٠)
(٥) سورة الملك : آية رقم (١٥) .
(٦) سورة البقرة آية رقم (٢٢)
(٧) سورة الذاريات، آية رقم (٤٨)

فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾[١]

- **الدليل التاسع:** فى سورة الغاشية: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾[٢]

- **الدليل العاشر:** فى سورة النبأ: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ۝ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾[٣]

- **الدليل الحادى عشر:** فى سورة الأنبياء: ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[٤]

- **الدليل الثانى عشر:** فى سورة لقمان: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾[٥]

- **الدليل الثالث عشر:** فى سورة النحل: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٦].

- **الدليل الرابع عشر:** فى سورة الرعد: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾[٧]

وكل هذه الآيات وغيرها تتحدث عن مظاهر قشرة الأرض ومعالمها من جبال مرتفعة وهضاب وأودية وأنهار وأخاديد عميقة .

---

(١) سورة طه، آية رقم (٥٣)
(٢) سورة الغاشية : آية رقم (١٧ – ٢٠)
(٣) سورة النبأ : آية رقم (٦، ٧).
(٤) سورة الأنبياء، آية رقم (٣١) .
(٥) سورة لقمان، آية رقم (١٠) .
(٦) سورة النحل، آية رقم (١٥) .
(٧) سورة الرعد، آية رقم (٤١) .

المطلب الثاني

آراء المفسرون في المد والبسط

قال جمهور المفسرين : المد بمعنى البسط .

وقال الزمخشرى : البسط توسيع سطح الشئ ونشره وجعله مستوياً .

وقال الراغب : نشره وتوسيعه وقيل : الأصل في المد أنه زيادة فى الطــول فقــط دون العــرض كما فى الآية الكريمــة ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾(١) وأما البسط فزيادة فى الطول والعرض، أو فى الأبعاد الثلاثة (الحجم) كما فى الآية ﴿ كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ ﴾(٢)

والرواسى جمع راسى وهى الجبال . قال الشيخ محمد عبده فى تفسيره : الجبال لتثبيت الأرض ومعها من الاهتزاز والاضطراب .

والسبل جمع سبيل، وهو الطريق السالك. (فجاج) جمع فج وهو كل فتح بين شيئين فهو فج أى مسلك بعيد غامض .

والفرش الذلول : الفرش بسط الثياب والذلول الشئ الموطأ السهل، والمعنى جعل الأرض مستوية تصلح للزرع والغرس .

المهد والمهاد : الفرش المهيأ للطفل (وتميد) من الميدان وهو الميل والانحراف (أوتادا) جمع وتد وهى العصى التى تدق فى الأرض وتشد إليها الخيام (أطراف) .

قال الراغب: ومعناه جوانب الشئ ونهايته وفى العرف أطراف الشئ هى أبعد أجزائه من وسطه .

---

(١) سورة الفرقان، آية رقم (٤٥) .

(٢) سورة الرعد، آية رقم (١٤) .

وفى إنقاص الأرض: قال بعضهم بموت العلماء والصلحاء والأصح أن يكون له وجهان محتملان.

أولاهما: إزالة أجزاء من مرتفعات سطحها اليابس ونقلها .

ثانيهما : هبوط بعض الشواطئ تحت سطح الأرض وتغطيتها بالماء زمناً .

المطلب الثالث

شكل الأرض تحديداً

يقول الشيخ الشعراوى : نحن نرى الأرض مبسوطة[١] أمامنا لا يظهر بها أى انحناء فى سطحها ولكن الله تعالى لم يقل أى أرض مبسوطة.. بل قال الأرض على إطلاقها، ومعنى ذلك أنك إذا وصلت إلى أى مكان يسمى أرضاً فإنك تراها محدودة أى منبسطة .. ولا يمكن أن يحدث ذلك إلا إذا كانت الأرض كروية فهذا الشكل الهندسى الوحيد الذى يمكن أن تكون فيه الأرض محدودة فى كل بقاع العالم .. وتكون الآية ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴾[٢] دليل على كروية الأرض وهذا هو الإعجاز القرآنى، حيث يأتى باللفظ الواحد ليناسب ظاهرة الأشياء ويدل على حقيقتها الكونية[٣] .

والقرآن بنى على الإيجاز الجامع وسننه وتقوم على ذكر المبادئ والأسس دون تفاصيل على البحث والنظر فى المخلوقات .

ويكون المعنى الإجمالى أفلم ينظروا إلى الأرض كيف بسطها وكورها[٤] ولأن الأرض المبسوطة أمامنا هى شكل كورة فهى كرة مسطحة مكورة . مدت مداً عظيماً بعد تمام خلقها وأخبرنا العلم بإحداث تقلصات شديدة فى سطحها فى الماضى مرة أو مرات ونشأت عن ذلك الجبال .

فماذا يقول العلم فى ذلك ؟

لقد توصل العلم أخيراً إلى حقيقة شكل الأرض .. ولم يكن التوصل

(١) معجزة القرآن (كتاب اليوم) لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى، ص ٨٩، ٩٠ .

(٢) سورة ق، آية رقم (٧) .

(٣) الأدلة المادية على وجود الله لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى، ص ٤٣ .

(٤) التفسير الواضح للدكتور حجازى، جـ ٢٦ / ٢٧ .

إلى كروية الأرض أمراً ميسوراً، حيث ساد الاعتقاد بأنها مبسوطة وأطلق عليها اسم البسيطة واعتقد البعض بكرويتها وأنكر سطحيتها، وآخرون آمنوا بسطحيتها وأنكروا كرويتها .

وتوقع الإغريق وعلماء المسلمين كروية الأرض بسبب بعض الظواهر الطبيعية الغير مباشرة مثل ظهور أعالى الأشياء قبل أسافلها فى كل من اليابس والماء. ورؤية قمم الجبال الشاهقة من بعيد قبل سفوحها .. وغياب السفينة المسافرة عن راصدها قبل غياب شراعها .

وكلما ارتفع الإنسان عن سطح الأرض اتسعت دائرة الأفق وملاحظة شكل القوس الدائرى لظل الأرض على سطح القمر أثناء خسوفه(١).

ومن قبل أجرى العالم (إيرانوسينس) المتوفى ١٩٤ ق.م تقريباً قياسات لقطر حجم الأرض من الإسكندرية حتى أسوان وبعمليات رياضية أمكن حساب محيط الأرض ووجـــده (٢٥ ألف) ميل وآمن بكروية الأرض .

ورغم ذلك تشكك البعض فى هذه الحقيقة حتى أكدتها رحلة ماجلان سنة ١٥١٩م

والعلامة (نيوتن) عام ١٦٨٧م توقع بذكائه أن الأرض كروية منبعجة عند خط الاستواء.

ثم جاء عصر الفضاء وقام الطيار الروسى جاجارين بتصويرها وهو فى سفينة الفضاء فوستوك عام ١٩٦١ ووجدها كرة تسبح فى الفضاء .

وتم المسح الشامل بالأقمار الصناعية لكوكب الأرض فاطمأنت القلوب لكرويتها ووجد أن قطرها ١٢٧٥٧ كم عند خط الاستواء بزيادة ٤٣

---

(١) التفسير العلمى للآيات الكونية : حنفى أحمد ن.ص ٤١٤ .

كم عن القطر عن القطبين مما يجعلها فى شكل بيضى تقريباً .

فما أعظمك يا أصدق القائلين ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾[١] ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾[٢] ودحا وطحا يجملانَ بسط الأرض وتوسيعها كما جاء فى تفسير ابن كثير .

وفى المعجم الوسيط (دحا الشئ) بمعنى وسعه (وطحا الشئ) بمعنى دحاه وبسطه ووسعه وهذا يتفق مع ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴾[٣] وفى سورة الرعد ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾[٤] .

ومن ثم فإن المعنى المقصود بـــ (طحاها) يفيد التوسع والمد وبذلك أجمع المفسرون على تفسير لفظ (دحا) بمعنى مد وبسط وأهملوا المعنى الآخر.

أ- **دحا** : بمعنى جعلها كالدحية وهى البيضة عموماً .. وبيضة النعام أو مكانه على جهة الخصوص ولا زالت معظم البلاد العربية لا تعرف البيضة إلا باسم الدحية[٥] وهذا أصدق وصف علمى لشكل الأرض بعد أن قرر العلماء أن قطبى الأرض مختلفان فى الصلابة وأن أحدهما أكثر سيولة من الآخر وبدوران الأرض حول نفسها يكون الصلب أكثر استدارة من الآخر .

ومن تصوير الأقمار الصناعية للأرض ١٩٥٨م وجد أنها أشبه بحبة الكمثرى وأن أقرب الأشكال إليها هو شكل البيضة وهو ما جاء به القرآن منذ أكثر من ١٤ قرناً (ودحا الشئ) يعبر عن الضغط على الشئ بقوة مما

---

(١) سورة النازعات : آية رقم (٣٠).
(٢) سورة الشمس، آية رقم (٦) .
(٣) سورة ق، آية رقم (٧).
(٤) سورة الرعد، آية رقم (٣)
(٥) الله والعلم الحديث لعبد الرازق نوفل، ص ١٤٩ .

يفرده ويغير من شكله مثل قطعة الجبن التى يتم ترقيقها وتنفصل عن بعضها البعض كلما زاد الضغط عليها وتنكمش وتتواصل إذا خف الضغط عنها وهو نفس ما حدث للأرض بعد أن خلقها ﷻ فى قطعة واحدة دحاها وطحاها ومددها وسطحها وبسطها لتأخذ الشكل المناسب لاستقرار آدم وذريته .

ب- ودحا : بمعنى (طحا) والطحو أصله الذهاب بالشيء، أى قذفه من مقره ثم مده وبسطه وتشكيله فيقال : طحا الكرة، أى رمى بها .. مما يدل على قذف الأرض من سديم الشمس منذ ٤,٦ مليار سنة ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾[١] .

جـ-ودحا: بمعنى أزاح كما ورد فى اللغة . دحا المطر الحصى عن الأرض والإزاحة حركة بسرعة معينة، مما يدل على دوران الأرض وليس سكونها كما يعتقد البعد[٢] .

وبذلك تكون جميع المعانى اللغوية للفعل (دحا) بمعنى مد وبسط ورمى وأزاح وجعلها كالبيضة مع شكل الأرض وحركتها .. واستمرار المد كأنها بساط دليل هندسى على كروية الأرض لأنها لو كانت منبسطة لا غير لانتهى المد عند أطرافها .

وبهذا تكون كلمة (مددناها) تعطى معنى مزدوجاً للانبساط والتكوير، وهذا ما يتفق مع لفظ (دحا) مما يدل على شيئين هما البسط مع الاتساع .. والتكوير فى التكوين .. وهذا من عجائب إعجاز القرآن الكريم.

---

(١) سورة الأنبياء، آية رقم (٣٠) .
(٢) الإسلام يتحدى، ص ٢٠٦ .

المطلب الرابع

الآيات التى تثبت كروية الأرض

الآيات التى تثبت كروية الأرض كثيرة :

فى سورة الأعراف: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝٩٧ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾[١] .

والمعنى : أن أمر الله إذا أتى سيكون فى جزء من الأرض ليلاً وفى جزء آخر ضحى، فالليل والنهار موجودان إذن فى كل لحظة ولا يتأتى ذلك إلا إذا كانت الأرض كروية الشكل .

قال تعالى: ﴿ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ﴾[٢]، فالتعبير بحرف (أو) دليل على تزامن ظاهرتى الليل والنهار على الكرة الأرضية معاً فالجزء المواجه للشمس فيه نهار وغير المواجه للشمس فيه ليل فى اللحظة ذاتها .

وقال تعالى : ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾[٣]، فلو كانت الكرة الأرضية منبسطة لوجب أن يكون على سطحها شروق واحد وغروب واحد، فضوء الشمس ينتقل عبر خطوط الطول الوهمية للأرض وعددها ٣٦٠ خطاً بمعدل ٤ دقائق لكل خط محدثاً مشارق ومغارب على هذه الخطوط طوال (١٤٤٠/٦٠- ٢٤ ساعة) ومعنى ذلك تعاقب المشارق والمغارب فى الثانية الواحدة، بما يعنى انتقال لفظ الجلالة (الله أكبر) فى الأذان حول الكرة الأرضية وطوافه حولها بلا انقطاع طوال الأربع وعشرين ساعة وإلى يوم الساعة وهذا ما جاء .

---

(١) سورة الأعراف، آية رقم (٩٧، ٩٨) .
(٢) يونس، آية رقم (٢٤) .
(٣) سورة الرحمن، آية رقم (١٧) .

قال تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴾[١]

قال تعالى : ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ ﴾[٢] . والفعل (يكور) يلف فى استدارة .. وكور العمامة على رأسه، أى لفها، أى يلف الأرض الكروية على محورها فيتبادل الليل مع النهار متزامنين .

قال تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ﴾[٣] وهذا رد على من قال أن الليل يسبق النهار، فهما موجودان على سطح الكرة الأرضية معاً ولا يتأتى ذلك إلا بكرويتها فيكون نصف الكرة مضيئاً .. والنصف الآخر مظلماً[٤].

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ ﴾[٥] لها معنيان :

الأول : أنهما خلقا معاً فلم يسبق أحدهما الآخر وهذا تأكيد لكروية الأرض .

الثانى : أن الأرض تدور حول نفسها.. وبذلك يتعاقب الليل والنهار .

قال تعالى: ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ ﴾[٦]، القطع المتجاورات لا يتوافر تجاورها إلا إذا كان سطح الأرض كروياً، لأنه لو كان مستوياً لتجاورت كل القطع ماعدا القطع الموجودة في أطراف السطح ولا يكون لها جوار، وبهذا فلابد من انحناء السطح حتى يحدث تجاور لجميع القطع دون استثناء، وهذا يؤكد كروية الأرض بتجاور جميع ألواحها وأخطأ من فهم من الآية أنها تعنى تجاور الحقول والبساتين.

---

(١) سورة المعارج، آية رقم (٤٠، ٤١) .
(٢) سورة الزمر، آية رقم (٥)
(٣) سورة يس، آية رقم (٤٠).
(٤) الأدلة المادية للشعرواى، ص ٤٤ .
(٥) الفرقان، آية رقم (٦٣) .
(٦) سورة الرعد، آية رقم (٤)

وهنا لابد لنا من تسليط الضوء على أمر مهم، وهو قول الله تعالى فى الآيات التالية : ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾[(١)] وقولة تعالى ﴿ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾[(٢)] ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا ﴾[(٣)] و ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾[٤] و ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾[(٥)] و ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴾[(٦)] و ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾[(٧)] و ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴾[(٨)] التى قد يعترض أحد مـ' أن المعاني المستفادة من هذه الآيات لا تدل على معنى الكروية وأن هناك تعارض فى آيات القرآن.

إن هذه المعاني لا تناقض دعوى أن الأرض كروية، بل أهنا تشير بوضوح جلي إلى ثبوتها، فقد نص أئمة التفسير على أنه لا منافاة بين الآيات الآنفة الذكر وما هو ثابت في قضية كروية الأرض .

قال الإمام فخر الدين الرازى (٦٠٦ هـ) – رحمة الله تعالى – مجيبا على الاعتراض بنحو قولَه تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾[(٩)]، الأرض جسم عظيم، والكرة إذا كانت فى غاية الكبر كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح[(١٠)] وقال فى تفسير قولَه تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا ﴾[(١١)] المراد من كون الأرض مهدا أنه تعالى جعلها بحيث يتصرف العباد وغيرهم عليها بالقعود والقيام والنوم والزراعة وجميع وجوه

(١) سورة الشمس :آية رقم ٦
(٢) سورة الغاشية آية رقم ٢٠
(٣) سورة طه آية رقم ٥٣
(٤) سورة النازعات آية رقم ٣٠
(٥) سورة البقرة آية رقم ٢٢
(٦) سورة الحجر آية رقم ١٩
(٧) سورة نوح آية رقم ١٩
(٨) سورة النبأ آية رقم ٦
(٩) سورة الرعد آية رقم ٣ .
(١٠) التفسير الكبير ١٩/٣، ١٧٠.
(١١) سورة طه : آية رقم ٥٣

المنافع[١].

وقال العلامـــة القاضي ناصـــر الديـــن عبد الله بن عمـــر الشـــهير بالبيضـــاوى (٦٨٥ هـ) – رحمة الله تعالى – فى تفسير قولَه تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾ : أي مهيأة لأن يقعدوا وينامو‌ا عليها، كالفراش المبسوط . وذلك لا يستدعى كونها مسطحة، لأن كروية شكلها مع عظم حجمها لا يأبي الافتراش عليها[٢].

وقال الإمام الأصولي أحمد بن جزي الكلبي (٧٤١هـ) – رحمة الله تعالى – مبينا عدم المنافاة بين المد والتكوير : "وقد يترتب لفظ البسط والمد مع التكوير، لأن كل قطعة من الأرض ممدودة على حدتها وإنما التكوير لجملة الأرض[٣].

وقال العلامة محمد بن محمد المولى أبو السعود العمادي (٩٨٢ هـ) – رحمة الله تعالى موضحا أن الفراش لا ينافي التكوير : " وليس من ضرورة ذلك – أي : وصف الأرض بالفراش – كونها مسطحا حقيقيا، فإن كرية شكلها مع عظم جرمها مسطحة لافتراشها[٤].

وقال العلامة شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسى (١٢٧٠ هـ) رحمة الله تعالى فى تفسير قولَه تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾[٥] ولا ينافي كرويتها كونها فراشا، لأن الكرة إذا عظمت كان كل قطعة منها كالسطح في افتراشه كما لا يخفى[٦].

(١) التفسير الكبير ٦٨/٢٢.
(٢) أنوار التنزيل ١٦/١.
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ١٣٠/٢.
(٤) إرشاد العقل السليم ٦١/١.
(٥) سورة البقرة : آية رقم ٢٢ .
(٦) روح المعانى ١٨٧/١ ومثله ٦٧/٢٥ .

وقال فى تفسير قولَه تعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴾ المراد بسطها وتوسعتها ليحصل بها الانتفاع لمن حلها ولا يلزم ذلك نفي كرويتها، لما أن الكرة العظيمة لعظمتها ترى كالسطح المستوى[١].

وقال في تفسير قولَه تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾[٢]، وليس فيه دلالة على أن الأرض مبسوطة غير كريه، لأن الكرة العظيمة يرى كل من عليها ما يليه مسطحا[٣].

وقال –أيضا– فى تفسيره قولَه تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴾ [٤]، لا دلالة فى الآية على ما ينافي كريتها كما هو المشهور من عدة مذاهب .

ويقول الشيخ محمد متولي الشعراوى رحمة الله فى شرحه إن الإنسان يرى الأرض مبسوطة أمامه سواء أكان فى القطب الشمالي أم في القطب الجنوبي أم فى المنطقة الاستوائية، وهذا لا يمكن أن يحدث هذه الصورة غلاف إذا كانت الأرض كروية، فلو أن الأرض كانت غير ذلك مربعة أو مثلثة أو أي شكل هندسي آخر، كان لابد للإنسان أن يشاهد حواف الأرض عند أطرافها .

والذي نستخلصه من هذا كله آن الله قد جعل لنا الأرض ممهدة مبسوطة ليقوم العباد بأعمالهم وأمور دنياهم، وهذا من رحمة الله بعباده فلم يجعلها كلها وديانا أو كلها جبالا وعرة وإنما ذللها لهم وجعلها مهدا وفراشا وجعل فيها مساحات ممدودة نعمة منه ﷺ، وأم الأرض بجملتها فهي شبه كروية الشكل يكور عليها الليل والنهار ويتقلبان في وقت واحد.

---

(١) روح المعانى ١٤/٢٨، ١٧/٥٣، ٢٦/١٧٦.
(٢) سورة نوح آية رقم ١٩
(٣) روح المعانى ٢٩/٧-٧.
(٤) سورة النبأ آية رقم ٦

لقد سبق القرآن الكريم العلم الحديث فى تحديد شكل الأرض، هذا القرآن الذي نزل على قوم لم يعرفوا شيئا عن الفلك ولا الهندسة، بل كانوا بدور حل، فصدق الله العظيم القائل: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾(١) .

وجه الإعجاز في الآيات القرآنية الكريمة هو دلالة الألفاظ: (ولا الليل سابق النهار)، (المشارق والمغارب)، (يقلب)،(يكور)، (دحاها)، لشكل الأرض الشبه الكروي المفلطح، وهو ما كشفت عنه المشاهدة العينية لكروية الأرض من الفضاء الخارجي.

(١) سورة النمل آية رقم ٩٣

المطلب الخامس

الحقائق والنتائج العلمية المستنبطة

من معانى الآيات القرآنية السابقة

١- استمرار انكماش سطح الأرض حتى الآن، امتداداً لأثر التبريد يقدره العلماء إلى ٣٠٠كم ويمكن الكشف عن هذا بأجهزة الاستشعار عن بُعد وبالأقمار التى تستخدم حالياً لقياس الطبقات الحادثة في قشرة الأرض كمحاولة للتنبؤ بالزلزال.

٢- الطغيان المستمر لمياه البحار والمحيطات على شواطئ اليابسة التى تعتبر حدوداً مرنة غير ثابتة قابلة للتغير نتيجة تراكم الرواسب والطفح البركانى فى قيعان البحار والمحيطات التى تفيده: الآية ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾[1] مما يؤدى لارتفاع القشرة الأرضية لهذه القيعان فيطغى البحر على اليابسة، علاوة على احتمال انصهار بعض المناطق الجليدية نتيجة لارتفاع الحرارة بسبب التلوث.

٣- تأثير عوامل التعرية بإنقاص الأرض من أطرافها إلى أعلاها، فالجبال الشاهقة الشامخة ليست خالدة، حيث إن صخورها تتحطم وتتآكل بمرور الزمن بسبب المياه الجارية على سطوحها وتأثير الرياح الشديدة والزلازل القوية وعوامل التعرية، كما أن الغلاف الجوى المحيط بالكرة الأرضية يمثل أطرافاً لها تنطلق منه جزيئات الغازات إذا ما جاوزت قوة الجاذبية الأرضية بفعل عوامل النحت، وانهيار الأجراف، مما أدى إلى تفرطح الأرض عن قطبيها ولا يتعارض القول بكروية الأرض مع

(١) سورة الطور، آية رقم (٦).

الآية ﴿ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾[١] أى بسطت فهى مبسطة كما نراها لأن الانحناء نحن لا نشعر به، ولا مع ماجاء فى الخبر عن عبد الله بن سلام عن خلق الأرض. وهكذا جاء القرآن بلفظ بسيط لا يصدم الذين عاصروا نزوله . على قدر عقولهم، ثم فسر بعد ذلك للأجيال كل جبل حسب مبلغه من العلم عطاءً مستمراً لا يقف عند أى عصر وصدق الله ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[٢]

---

(١) سورة الغاشية، آية رقم (٢٠)

(٢) سورة فصلت،آية رقم (٥٣).

المبحث الثانى

نشأة الأرض وتكوينها .

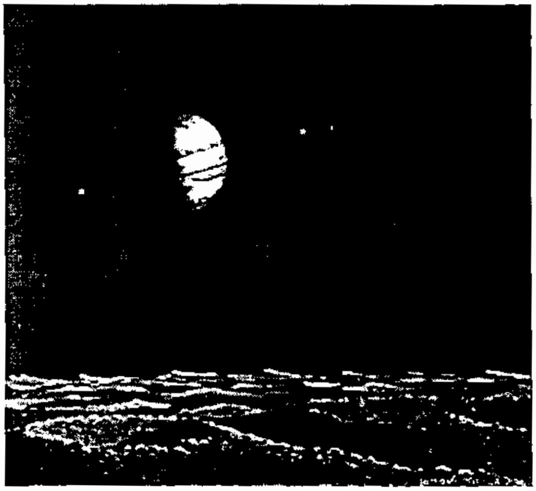
المطلب الأول : أراء المفسرون فى ترتيب خلق السماء والأرض .

المطلب الثانى : نظريات العلماء لتفسير وجود الأرض .

المبحث الثاني

نشأة الأرض وتكوينها .

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾[١] يقول المفسرون: أو لم يعلم المشركون والكفار عن طريق أهل الكتاب وكتبهم ﴿ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ أى كانتا شيئاً واحداً ملتحماً ففتقناهما وفصلنا بينهما، (الرتق) معناه السد والالتحام (والفتق) معناه الشق والفصل.



قال الرازى بهذا، وزاد احتمالاً ثانياً أن كلا من السماوات والأرض كانتا شيئاً واحداً ملتحماً ومنفصلاً عن الآخر، ثم فتق الله تعالى السماء إلى سبع سماوات والأرض إلى سبع أرضين .. وهناك تأويلات أخرى لظاهر الآية .

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾[٢].

واستوى بمعنى قصد تنبيه ليس معنى الفعل (قصد) وإنما استواء

(١) سورة الأنبياء، آية رقم (٣٠).
(٢) سورة الفرقان، آية رقم (٥٩) .

يليق بذاته تعالى لأن الفعل (استوى) تعدى بـــ على أما إذا تعدى الفعل بـــ إلى يكون بمعنى قصد " ثم استوى إلى السماء " كما فى الآية هنا .

قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾(١) أى تعب أو نصب .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ﴾(٢) . ويقول المفسرون : (خلق) بمعنى قدر والجمهور فسرها بمعنى أوجد الأرض – (ويومين) من أيام الدنيا، وقيل فى زمنين أو واقعتين أو نوبتين .

كمل قال أبو السعود: (ورواسي) جمع راسية وهى الثوابت والمقصود منها الجبال، (وبارك) كثير خيرها وبركتها ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾(٣) بما فيهما يومى الخلق .

وقرب الشيخ الشعراوى الفكرة للأذهان بشخص يقول قطعت المسافة من القاهرة إلى الإسكندرية بالقطار فى حوالى ٢,٥ ساعة، وما بين القاهرة وطنطا فى ساعة فيكون الزمن من القاهرة لطنطا فالإسكندرية جميعا هو كما هو ٢,٥ ساعة(٤).

وقد اعتبر المتشرقون ما جاء بالآية تعارضا وخطأ – حاشا لله –

---

(١) سورة ق، آية رقم (٣٨) .
(٢) سورة فصلت، آية رقم (٩ – ١٢) .
(٣) سورة فصلت، آية رقم (١) .
(٤) معجزة القرآن للشعراوى، صفحة ٧٠.

حيث المجموع ثمانية أيام، بينما قرر القرآن أن خلق السموات والأرض فى ستة أيام فى آيات كثيرة أخرى.

ولكن الفهم الصحيح للآيات : أم مجمل تاريخ نشأة الكون تم فى ستة أيام على ستة حقب أو على ست مراحل أو أدوار وكل هذا لا يتعارض مع آيات القرآن الكريم، حيث خلق الله الأرض فى يومين من هذه الأيام ثم أتم خلقها وجعل فيها رواسى وقدر أقوات الكائنات الحية وكل من يسأله ويطلب منه الرزق فى يومين آخرين بمجموع أربعة أيام أو مراحل ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾(١) أي لا تماسك لها بمعنى قد إليها دون غيرها لتسويتها بتناسب وإحكام، وتعلقت إرادته تعلقا فعليا بإيجاد السماوات وأجرامها، كما تصلبت قشـــرة الأرض ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ (٢) ومعهن سبع أرضين كما فى قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾(٣) .

(قضاهن) من الآية السابقة، أي أبدعهن وأتم خلقهن (وأوحى) هنا كناية عن الخلق والتسخير.

وقد بين القرآن : الترتيب الصحيح للخلق ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾(٤)

ويقول المفسرون فى ذلك ﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا ﴾ أى جعل سمكها ثخيناً ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ﴾ أى جعله مظلماً . ﴿ وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴾ قيل : أى إيجاد

---

(١) سورة فصلت : الآية رقم (١١).
(٢) سورة فصلت : الآية (١٢).
(٣) سورة الطلاق : الآية (١٢).
(٤) سورة النازعات، آية رقم (٢٧ – ٣٣) .

الليل والنهار، ﴿ وَالضُّحَىٰ ﴾ هو ضوء الشمس عند امتداد النهار فى وقت الضحى .

ونخرج من الآيات السابقة بالمفاهيم القرآنية الآتية :

- خلق الله جرم الأرض من الشمس أو السديم الدخانى الأول فى زمنين مجهولين (يومين) كما أطلق عليهما القرآن .
- فى اليوم الأول منهما وهو الحقبة التى أوحى الله فيها لانفصال[١] جزء من الشمس أو السديم الأول (حديث الفتق) والذى صار فيما بعد أرضنا .
- وفى اليوم الثانى وهو الحقبة التى تم فيها تبريد هذا الجزء المنفصل فصارت له قشرة صلبة ثم خلق الله الجبال والهضاب والمنخفضات وصاحب ذلك زلازل مروعة وبراكين وخروج بخار ماء لما بردت ثم تكثفه وتحوله إلى ماء غزير فى الأحواض المحيطة الكبرى حتى تصلح لاستقبال الحياة ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ ﴾[٢] .
- ذلك أن السماوات والأرض قد انقادت للأمر الإلهى بيسر وسهولة مما جعل التصرف الظاهر فيها وكأنه حاصل من ذاتها لا بتوجيه من خارجها لطبع فيها فالطوع هو انقياد والكره عكسه، وكل هذا مجرد تصور لعملية الخلق واستنباط عقلى محض من الآيات والحقيقة ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾[٣].

---

(١) إعجاز القرآن فى علم طبقات الأرض د./ محمد محمود إبراهيم .
(٢) سورة فصلت، آية رقم (١١، ١٢) .
(٣) سورة الكهف، آية (٥١) .

- وقد أخطأ المفسرون الذين اعتبروا أيام الخلق ستة أيام كأيام الأسبوع ما جاء فى العهد القديم .

وقد قسمت هذا البحث إلى مطالب:

المطلب الأول

أراء المفسرون فى ترتيب خلق السماء والأرض .

ويذهب المفسرون فى ترتيب خلق السماء والأرض إلى ثلاثة مذاهب :

المذهب الأول: يقول أن الأرض خلقت قبل السماء وأن معنى ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾[(١)] ليس المقصود منه البعدية الزمنية بل البعدية الذكرية .

المذهب الثانى : وهو الشائع بين الجمهور، ويرى أن جرم الأرض خلق أولاً ثم خلقت السماء ثم أكمل الله خلق الأرض بالدحو .

والمذهب الثالث : ومنهم الإمام الرازى، ويرى أن خلق السماء مقدم على خلق الأرض.

---

(١) سورة النازعات: الآية رقم (٣) .

المطلب الثانى

نظريات العلماء لتفسير وجود الأرض .

وقد وضع العلماء لتفسير وجود الأرض عدة نظريات نذكر منها :

نظرية التصادم لإيفون الفرنسى عام ١٧٦١م : حيث افترض أن أصل المجموعة الشمسية يرجع فى تكوينه إلى تصادم عنيف قديم حدث بين الشمس وجرم كبير من أجرام السماء .. ربما نيزك كبير نتج عن .. أن هذا التصادم، تطايرت أجزاء من جسم الشمس انطلق بعضها فى الفضاء والآخر وقع فى نطاق جاذبية الشمس وأخذ يدور حولها على أبعاد مختلفة .. فكونت هذه الأجزاء بمضى الوقت (الكواكب) بعد أن انخفضت درجات حرارة أسطحها الخارجية .. لكنه للأسف ثبت أن أغلب النيازك لا قيمة لها من حيث الوزن والتكوين، كما أنها تحترق عادة عند دخولها جو الأرض .

وقد سادت (نظرية السديم) للعالم لابلاس عام ١٧٩٦م: تفترض أن الأرض والشمس والسماء وأجرامها إنما كانت سديماً هائلاً " أى سحابة هائلة من الغازات " انفصلت منه الكواكب نتيجة انفجار تحت تأثير القوة المركزية الناتجة عن الدورات وقد استقر العلماء على أن السديم عبارة عن غاز عالق بين مواد صلبة[١] حتى أوضح (ماكسويل) أن حركة دوران الكواكب تبلغ فى مجموعها ٤٩ ضعف حركة دوران الشمس نفسها، بينما مجموع مادتها لا يتعدى جزءاً من ٧٠٠ جزء من كتلة الشمس فكيف يمكن للحلقات الغازية التى انفصلت من الشمس أن تصبح على هذا القدر من حركة الدوران.

---

(١) الإعجاز العلمى، د. عبد العليم خضر، ص ٧٧ .

أما نظرية المد (للعالم جيمس جينس) : فتفترض اقتراب نجم كبير من الشمس تدفقت فى اتجاهه مواد الشمس الغازية .. وانفصالها عن الشمس وانطلاقها فى اتجاه النجم الذى كان قد تباعد فاستقرت على أبعاد من الشمس هى مداراتها الحالية أخذت تبرد تدريجياً مكونة الكواكب المختلفة، ومن بينها الأرض وتسمى (نظرية النجم الزائر) غير أنه اتضح أن افتراض وجود نجم على مقربة من الشمس يعتبر من المصادفات التى لا مبرر لها علمياً، كما اتضح الاختلاف التام بين مكونات مادة الكواكب ذات العناصر الخفيفة والثقيلة مع مادة الشمس التى يغلب عليها الهيدروجين والهيليوم .

وفى الفترة الأخيرة نادى (الفردهيل) بنظرية حديثة : تفترض أن الأرض وبقية كواكب المجموعة الشمسية نشأت نتيجة تكاثف غازات ملتهبة لكثير من العناصر التى كانت داخل نجم عملاق براق يتبع الشمس ثم انفجر مكوناً المجموعة الشمسية .

وهذا معناه أن المجموعة الشمسية ليست جزءاً من الشمس ولكنها جزء من نجم آخر انفجر، ويدلل على ذلك بأن انفجار النجوم ظاهرة ملموسة حيث ينفجر نجم عملاق كل ٢٠ – ٣٠ سنة .

ويتبع هذا الانفجار تكون سحب جبارة من الغازات الملتهبة تسبح فى الفضاء بسرعة تبلغ ملايين الأميال فى الساعة .

وقد تم طبخ جميع الذرات بما فيها ذرات الأرض والسماوات كلها من الدخان الكونى وهذه هى مرحلة إعداد المواد الخام كمرحلة أولى .

ثم بدأ تشكيل السماوات والأرض السبع كأجرام سماوية من الدخان والظلام الدامس على هيئة نجوم وكواكب وأقمار فى مرحلة سديمية جديدة بدأ فيها توليد الطاقة فى الأفران النووية للنجوم وخروج الضوء منها وسط

ظلام الفضاء بحيث أصبحت هذه المصابيح زينة للسماء فى هذه المرحلة الثانية .. ثم بدأ تصلب (دحو) القشرة الأرضية بعد طحوها أى (قذفها) كسديم مشتعل من فوهة الدخان فى السماء كمرحلة ثالثة .

وأخيراً، بدأت الأرض بعد ذلك فى حالة منصهرة لينة كالعجينة ساعد على تشكيلها على هيئتها الكروية القريبة من شكل الدحة (البيضة) وبمجرد بدء تجمد أى: (تصلب قشرتها) بدأ بذلك العمر الفسيولوجى للأرض .

وهكذا فهذه النظريات فى تطور مستمر حسب ما يصل إليه العلم من معلومات عن خواص الأجسام المختلفة وصدق الله العظيم: ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾(١)

وقال تعالى فى سورة الأعلى : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۞ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۞ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۞ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴾(٢).

والغثاء هو اليابس الصلب والأحوى هو اللون الأخضر المائل إلى السواد . وقد فصلت هذه الآيات حقبة من التاريخ الجيولوجى قبل خلق الإنسان وقد أوضح العلم دقة ما جاء به القرآن فقد دلت الأبحاث العلمية على أنه لما انفصلت هذه الكتلة الملتهبة من الشمس جعلت تدور فى الفضاء أجيالاً متعددة وتبعاً لذلك أخذت تنخفض حرارتها تدريجياً وبعد أن كانت كتلة من الغاز الملتهب أصبحت كرة من النار السائلة تغلى وتضطرم ثم برد الغلاف الخارجى ليتجمد نوعاً، أما البخار الملتهب الدائم المتصاعد من الأرض، فإنه بملامسته للفضاء المحيط بالأرض وهو بارد نوعاً والفضاء البعيد وهو بارد أكثر تحول إلى سحب كثيفة ثم إلى سيولة مدمرة فخلصت

---

(١) سورة الكهف، آية رقم (٥١) .
(٢) سورة الأعلى، آية رقم (١ – ٥) .

الأرض التى استدارت نوعاً ما من السحب الكثيفة التى كانت تغلفها[١].

ويقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝ وَٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ۝ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ﴾[٢]

قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٍ ﴾[٣]

لم يعرف إلا أخيراً أن الأرض مهما اختلفت أنواعها فلها مسام يتخللها الهواء وأن نزول الماء على الأرض يدفع الهواء أمامه ويحل محله .

وقد عرف أنه عند امتلاء مسام الأرض بالماء تتحرك جزيئات الطين بقوة دفع الماء فى المسام، فكأن الأرض إذا ما نزل عليها الماء تحركت وزادت فى الحجم فتهتز الأرض لذلك والاهتزاز هو الحركة . وتربو أى يزيد حجمها بعد أن نزل الماء عليها فنبت الزرع[٤]، حيث تتيح لجذور النباتات من اختراق التربة والتعمق فيها وامتصاص الماء .

ويؤكد ذلك الآيتان: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴾[٥] ﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴾[٦] وفى الآية الكريمة : ﴿ وَفِى ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ ﴾[٧].

فسرها العلم الحديث بأن العالم كان قطعة واحدة تفتت عن بعضها البعض وتغير شكلها على مر الزمان لتكون القارات المعروفة حالياً .

---

(١) القرآن الحديث لنوفل، ص ٨٤ – ٨٦ .
(٢) سورة الأعلى، آية (٣ – ٥) .
(٣) سورة الحج : الآية رقم (٥) .
(٤) القرآن والعلم الحديث لنوفل، ص ٩٢، ٩٣ .
(٥) الشعراء، آية رقم (٧) .
(٦) سورة لقمان، آية رقم (١٠) .
(٧) سورة الرعد، آية رقم (٤)

وما جاء به العلم لا يتناقض مع ما جاء به القرآن الكريم منذ ١٤ قرناً بل يؤكده . والحقيقة التى بها نؤمن أن القرآن الكريم ليس فى حاجته إلى ما يؤكده . .

قال تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾[1] وهذا دليل على البعث.

ولقد أثبت العلم الحديث أن فى التربة الزراعية بكتريا النيتروجين، حيث تثبت النتروجين من الهواء الجوى فى التربة كما يوجد هناك نوع آخر من المجموعة البكتيرية المحللة للمواد العضوية وهى الأحياء الميكروبية التى تعيش فى التربة وتجعلها صالحة للزراعة تحتاج فى حياتها إلى الماء أو المطر .. وهذا هو سبب مشاهداتنا إحياء الأرض الميتة بماء المطر . أليس هذا من الحقائق العلمية فى القرآن الكريم .

هذا ؛ وقد ورد ذكر كلمة (الأرض) مفردة ومجتمعة مع مشـتقاتها فى القـرآن (٤٦١) مرة إما للدلالة على الأرض جميعها أو على جزء منها أو بالاقتران مع السماء فى الخلق .

---

(١) سورة يس، آية رقم (٣٣) .

المبحث الثالث

وتدية الجبال وتوازن الأرض

وينقسم إلى مطالب :

المطلب الأول : التعريفات المعاصرة للجبال .

المطلب الثانى : الحقائق العلمية المستنبطة من معانى ألفاظ الآيات القرآنية للجبال.

المطلب الثالث : وجعلنا الجبال أوتادا .

المطلب الرابع : وصف الجبال أو شكلها .

المطلب الأول

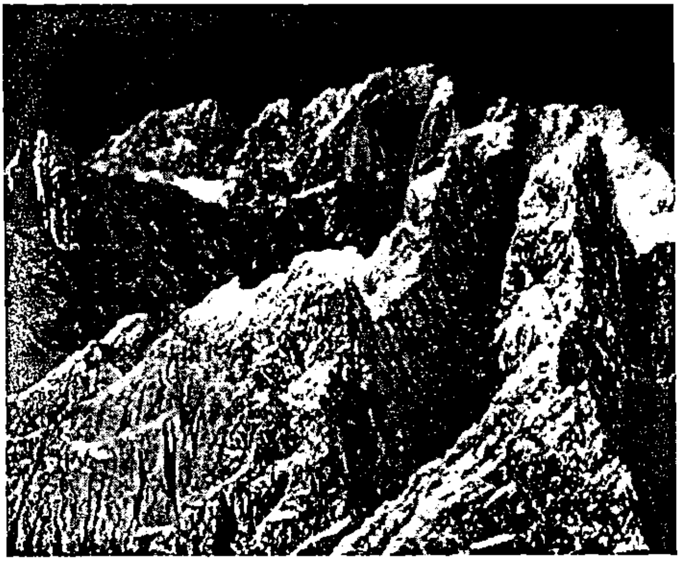
التعريفات المعاصرة للجبال .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾[١] .

وقال الرسول " أحد جبل يحبنا ونحبه " .

قال تعـــالى:﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾[٢]

قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾[٣]



وفى الحديث : الـــذى رواه أنس بن مالك عن النبى ﷺ أنه قال : " لما خلق الله الأرض جعلـــت تمـــتد فخلـــق الجبال فألقاهــــا علــــيها فاستقرت " [٤]

وفى القاموس قر المكان ثبت وسكن[٥]

(١) سورة ص : آية رقم (١٨).
(٢) سورة الحشر : آية رقم (٢١)
(٣) سورة الأحزاب : آية رقم (٧٢) .
(٤) رواه أحمد والترمذى.
(٥) القاموس المحيط، لمجد الدين محمد الفيروز آبادى المتوفى سنـــة ٨١٧هـــ، طبعة ٣١، دار الفكر – بيروت – ١٤٠٣ هـــ.، (٣٥٥/٣)

وروى أبو الشيخ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إن الجبال لتفخر على الأرض بأنها أثبت منها .

ويقول الشيخ الشعراوى فى : ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ أن الصور الأخيرة التى التقطت للجبال ظهرت فيها أن لكل جبل وتداً يقويه يسميه العلماء جذراً وهو يمتد إلى أعماق بعيدة.[١]

وأصول الجبال (وتديتها، أو جذورها الأرضية)، مذكورة تصريحاً فى الآية السابعة من سورة النبأ: ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ والدعوة إلى دراسة نشأة الجبال مذكورة تصريحاً فى الآية التاسعة عشرة من سورة الغاشية ﴿ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ .

وفى قول الله تبارك وتعالى ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَـٰمِخَـٰتٍ وَأَسْقَيْنَـٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴾[٢]، ارتباط ماء الأنهار (العذب الفرات) بوجود الرواسى الشامخات، وهى الجبال الشاهقة التى تنخفض عندها درجات الحرارة عن الصفر، فتكتسى قممها بطبقات جليدية، وتتزايد هذه الطبقات حتى تتشكل لها أطراف سفلى، وتذوب هذه الأطراف السفلى بفعل ضغوط الجليد العلوى، فيسيل الماء العذب منها على سفوح الجبال بفعل الجاذبية الأرضية .

وكلما ذابت الأطراف السفلى حلت محلها أطراف أخرى نتيجة استمرار تكثف بخار الماء الموجود فى الجو المحيط بهذه القمم . وهكذا تتجدد العملية لتستمر الأنهار ولا تجف، وتستمر فى التدفق من منابعها فى أعالى الجبال جاريـــة على سفوح المنحـــدرات لتنساب فى الأودية .

ويعرف الجبل Mountain فى القواميس اللغوية بأنه (كل وتد

---

(١) الأدلة المادية، ص ٦٥ .

(٢) سورة المرسلات، الآية رقم (٢٧)

للأرض عظم وطال، فإن انفرد فأكمة أو قنة)[1]، وفى نوادر المخطوطات: إن التدرج في مفهوم المرتفعات من ربوة وتل وضعضاع ونجد وجبل، قد أحدث اختلافاً وتنوعاً منذ القدم بين الجغرافيين واللغويين، وتنبه إلى هذا عرام بن الأصبغ السلمى فى رسالته عن أسماء جبال تهامة، إلى أن صغار الجبال لا تسمى .

وهكذا ؛ يقتصر التعريف المعاصر للجبال على وصف الشكل الخارجى لها دون الإشارة إلى امتداداتها تحت سطح الأرض، والتى ثبت مؤخراً أنها تصل إلى أضعاف ارتفاعها الخارجى، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً فى بالآية السابعة من سورة النبأ فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ . وهكذا تعبر الآية عن الجبل بأنه وتد ومن شأن الوتد أن يكون الجزء المغموس (المختفى) منه فى الأرض أكبر بكثير من الجزء الخارجى الظاهر .

(١) القاموس المحيط

المطلب الثانى

الحقائق العلمية المستنبطة من معانى الآيات القرآنية للجبال.

ومن ذلك نخرج بالمفاهيم القرآنية الآتية :

أن وظيفة الجبال فى تثبيت الأرض تشبه وظيفة الأوتاد فى تثبيت الخيمة .



أن هناك نوعاً من الجبال لا يخرج من باطن الأرض وإنما ألقى من فوق سطحها

رسو نوع من الجبال عند شواطئ البحار القديمة كما ترسو السفن على الرصيف رصيف الميناء

ووجد أن التشابه القرآني للجبال بالأوتاد أصدق وصف لها فبواسطة جهاز (السقمرجراف) ثبت أن لكل جبل جذراً مغروساً يثبت القشرة الأرضية العلوية الصلبة فى الطبقة اللزجة التى تحتها كالوتد كما صورها الحكيم : ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾(١)

فالجبال لا يبرز منها فوق سطح الأرض إلا القليل، بينما جذورها راسخة فى باطن الأرض بعمق يصل حوالى خمسة أمثال بروزها فجبال الهيمالايا لا يتعدى بروزها ٩كم فوق سطح الأرض، بينما جذورها تصل

(١) سورة النبأ، آية رقم (٧) .

لعمق ٧,٥ كم فى أعماق القشـرة ليصـل إلى الرداء فى بعض الأحـوال فإذا اهتزت الأرض اهتزت معها الجبـال لشـدة ارتباطهـا المحكم، وصـدق الله ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ ﴾[1] .

فقد وجد أن جذور الجبال لها امتداد القشرة الأرضية للقارات وأن سمك القشرة تحت القارات ٥ كم، وأما سمكها تحت الجبال فتقدر بحوالي ٣٥ كم .

وإذا كانت الأوتاد تحتاج فى إنشائها إلى الدق من أعلى بقوة يناظر ذلك القوة التثاقل (الجاذبية) عند إنشاء الجبل تؤدى إلى هبوط قشرة الأرض بتأثير ما عليها من رواسب تراكمت بمرور الزمن وضغطت إلى اسفل مكونة جذوراً فى أعماق القشرة .

والعلم أكد أن الجبال تعمل كمساكات للقارات من الصخور السائلة التى توجد تحت القشرة الأرضية الصلبة ولولا جذور هذه الجبال المنغرسة لطفت القشرة إلى الخارج وانعدام توازن الأرض وثباتها ولم تعرف تلك الحقائق العلمية غير عام ١٩٥٦ فقط ولولا إنغراس الجبال فى مواد السيما لتحركت الجبال والقارات من أماكنها نظراً لضآلة كثافتها ولجفت القارات واهتزت الأرض ومادت وصدق من قال: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾[2]

فجبال الأرض بكتلتها الضخمة عماد بتأثير الجاذبية وأوتاد لتثبيت الخيمة الجوية التى نستظل تحتها وتحمينا من حرارة الشمس والإشعاعات الضارة حتى لا تهرب إلى أعالى السماء بعكس القمر الذى لم تستطع جاذبيته الاحتفاظ بغلافه الجوى .

(١) سورة المزمل، آية رقم (١٤) .
(٢) سورة النحل، آية رقم (١٥)

والقرآن يشبه الجبال بالنسبة للأرض المبسوطة حولها من السهول والهضاب بأوتاد الخيام التى تعمل كمحور للقماش الملفوف حولها قبل نشره تشبيهاً لنصب الجبال ثم تسطيح الأرض ثم يدعونا الله لدراسة هذه الظاهرة: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾(١) . إذ إن كثيراً من السهول والهضاب قد تكون من فتات صخور قمم وأطراف الجبال، حيث تنقص كتل الجبال ويقل ارتفاعها تدريجياً بعوامل التعرية عبر ملايين السنين ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾(٢) .

ولقد فهم بعض المفسرين الآية ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴾(٣) أن الجبال من المثبتات للأرض فقط .. ولكن الفعل (أرسى) يستعمل فيما له ثقل ويمنع من الاضطراب كما فى إرساء السفن .. ولقد تنبه ابن القيم لذلك فى كتابه (مفتاح السعادة) فقال ومن منافع الجبال أنها رواسى بمنزلة مراسى السفن

ولهذا فالجبال ترسو كما ترسو السفينة وصدق الله العظيم : ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴾ أما وقد ربط القرآن الكريم بين عملية مد الأرض وإلقاء أو جعل الرواسى فيها ذلك فى ثلاث آيات تعبر فى مضمونها على حدوثها على ثلاث مراحل زمنية مختلفة . الأمر الذى يشير إلى حدوث ثلاث ثورات جيولوجية فى التشكيل الجيولوجى للجبال هى من الأقدم إلى الأحدث كما يلى :

الالتواءات القديمة : أى ما قبل العصر الكمبرى منذ أكثر من ٣٤٠٠ مليون سنة، فمد الأرض تم والله أعلم – مبكراً عند بدء برودة القشرة الأرضية وبسطها ألقيت الرواسى (الجبال الالتوائية)

---

(١) سورة الغاشية، آية رقم (١٧ – ٢٠)
(٢) سورة الرعد، آية رقم (٤١) .
(٣) سورة النازعات، آية رقم (٣٢) .

عليها من كل رسوبية من الرواسب التى ألقيت من تلك البحار القديمة البركانية لإحداث التوازن فى الأرض حتى لا تميد أثناء حركتها .

قال تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٖ مَّوْزُونٖ ﴾(١) وهذه الحوادث كانت مصاحبة لإتمام بناء السفن والجبال والله أعلم .

الالتواءات الكاليدنية والهرسينية : وقد تم بعد المرحلة السابقة حيث ورد مد الأرض وإلقاء الرواسى فى سورة ق معطوفا على تمام بناء السماء فى عصر جيولوجى مزدهر بالنبات والحيوان ﴿ كُلِّ زَوْجِۭ بَهِيجٖ ﴾(٢) .

الالتواءات الألبية الحديثة فى العصر الجوارسى : منذ ١٥٠ مليون سنة وتم فيها بناء جبال الألب والهيمالايا منذ ٤٠ مليون سنة وهى من أحدث الجبال .

والمد وإلقاء الرواسى لازال مســتمراً وحتى قيام الســاعة يدل على ذلك قولَه تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾(٣) .

فالقشرة عالم ديناميكى متغير ولازالت تتعرض للضغط الداخلى من باطن الأرض مما يؤدى إلى حدوث فوالق وتصدعات نتيجة تصادم الألواح وغلى بناء جبال جديدة عن طريق الزلازل والبراكين .

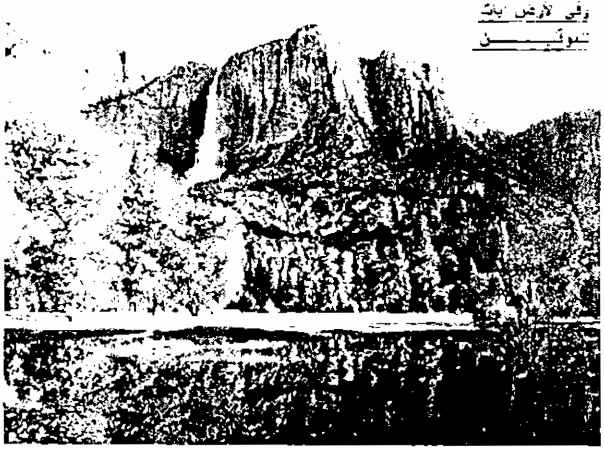
---

(١) سورة الحجر، آية رقم (١٩) .
(٢) سورة ق، آية رقم (٧)
(٣) سورة الانشقاق، آية رقم (٣، ٤) .

المطلب الثالث

الجبـــــال أوتـــــادا

قال الله ﷻ : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ۝ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ [١]



قال ابن منظور في لسان العرب : وتد : وتد الوتد وتدا، وتده، ووتد، كلاهما : ثبت: والجمع أوتاد

تميد : ماد الشيء يميد ميدا، إذا تحرك ومال، وفي الحديث : "لما خلق الله الأرض جعلت تميد فارساها بالجبال" .

قال الإمام الرازى في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ أي أوتادا للأرض كي لا تميد بأهلها، فيكمل كون الأرض مهادا بسبب ذلك " .

وقال القرطبي في تفسيره للآية أيضا : "**أوتادا**: أي لتسكن ولا تتكفأ ولا تميل بأهلها "

وقال القرطبي أيضا فى تفسير قولَه تعالى : ﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾ أي : جبالا ثابتة لئلا تتحرك (الأرض) بأهلها" .

- فالجبل يشبه الوتد شكلا إذ إن قسما منه يغرق فى طبقة القشرة الأرضية .

---

(١) سورة النبأ آية رقم ٦، ٧

- الجبل يشبه الوتد من حيث الدور والوظيفة إذا إنه يعمل على تثبيت القشرة الأرضية ويمنعها من الاضطراب والميلان .

ووجه الإعجاز فى الآيات القرآنية الكريمة هو دلالة اللفظ " أوتادا" على وظيفة الجبال، فهي تحفظ الأرض من الاضطراب والميلان وتؤمن لها الاستقرار.

سر الجبال



الجبال كتلا ضخمة من الأحجار والصخور توجد على قطعة ضخمة كبيرة هي سطح الأرض الذي يتكون من نفس المادة فكتلة هائلة من الصخور تجثم على كتلة أخرى هي سطح الأرض هذا الذي يعلمه الناس عن الجبال ولكن الإنسان عندما تعمق فى بصره ورأى ما تحت هذه الطبقات وما تحت قدمه وكشف الطلقات التى تتكون منها الأرض وجد أن الجبال تخترق الطبقة الأولى التى يصل سمكها إلى خمسين كيلو مترا من الصخور هى قشرة الأرض يخترق هذه الطبقة ليمد جذرا لَه في الطبقة الثانية المتحركة تحتها وتحت أرضنا هذه الطبقة أخرى تتحرك لكن الله ثبت هذه الأرض على تلك الطبقة المتحركة بجبال تخترق الطبقتين فتثبتها كما يثبت الوتد الخيمة بالأرض التي تحت الخيمة وهكذا وجدوا جذرا تحت كل جبل وكانت دهشة الباحثين والدارسين عظيمة وهم يكتشفون أن هذا كله قد سجل في كتاب الله من قبل فقال تعالى: ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴾(٢) وقال تعالى : ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة النبأ آية رقم ٧
(٢) سورة النازعات آية رقم ٣٢
(٣) سورة لقمان آية رقم ١٠

المطلب الرابع

وصف الجبال أو شكلها

وهناك آيتين كريمتين تشير كل منهما إلى شكل أو وصف أو خاصية للجبال، وهما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولاً ﴾(١) وقوله: ﴿ وَهِيَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ ﴾(٢) .

أما الآية الأولى فوردت فى معرض تأكيد عجز الإنسان المختال الذى يمشى فى خيلاته وكأنه أعظم مخلوق على هذه الأرض، هكذا يذهب خياله، ولكنه فى الحقيقة لن ينقب الأرض ولن يضارع الجبال طولاً وطول الجبال غير ارتفاعه، وبالتالى فالآية تنطوى على إشارة علمية إلى الأطوال العظيمة للجبال، وهو ما أثبته الرحالة والجغرافيون والجيولوجيون. إذاً تنتظم الجبال فى لحزمة كبيرة تضم سلاسل جبلية متكونة من صخور نارية ورسوبية ومتحولة مشكلة دروعاً متوازية ومما يذكر أن أطول السلاسل الجبلية هى سلاسل جبال الألب والهيمالايا والأنديز والأبلاس .

وأما الآية الثانية فإنها تعطى وصفاً وتشبيهاً، وصفاً للماء الذى سارت عليه سفينة سيدنا نوح – عليه السلام – فلقد كان ذى أمواج عاتية كالجبال فى ضخامتها، بل وفى شكلها الظاهرى كما أن الآية تتضمن إشارة إلى وصف الجبال أيضاً، فمعظمها على هيئة طيات محدبة Anticlines وأخرى مقعرة Synclines وتوصف مثل هذه الجبال بأنها منثنية أو تسمى الجبال المنثنية Mountains Folded .

وهكذا ؛ يتوالى الكشف عن أسرار القرآن العظيم الذى لن تنقضى

---

(١) سورة الإسراء، آية رقم ٣٧ .

(٢) سورة هود، آية رقم ٤٢ .

عجائبه على مر الزمان وتعاقب أجيال الإنسان مصداقاً لوق الله تبارك وتعالى : ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[١]. وهكذا يكون العلماء أسبق من غيرهم فى الشهادة لهذا القرآن بأنه الوحى الصادق من الله ﷻ : ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[٢].

(١) سورة الأنعام : آية رقم .
(٢) سورة سبأ، آية رقم ٦ .

الفصل الرابع

نماذج من الحقائق العلمية الفلكية المعاصرة

فى

ضوء القرآن الكريم

المبحث الأول

الإعجاز الفلكى فى القرآن الكريم.

المطلب الأول: الآيات التى ورد بها عالم الفلك

المطلب الثانى: تفسير آيات الفلك

الفرع الأول: تفسير الآيات التى وردت فى سورة الأنبياء

الفرع انثاني: تفسير آيات سورة يس

المبحث الأول

الإعجاز الفلكي في القرآن الكريم.

يعد القرآن الكريم (كتاب الحضارة الأمثل)، كتاب هداية وليس كتاباً للفلك أو للطب، وما إلى هناك من العلوم، ومع ذلك فقد وردت آيات عن الفلك في ثنايا السياق الشريف، وهذه الآيات الباهرات تؤكد، ولا ريب مدى تفرد الإعجاز الفلكي لهذا



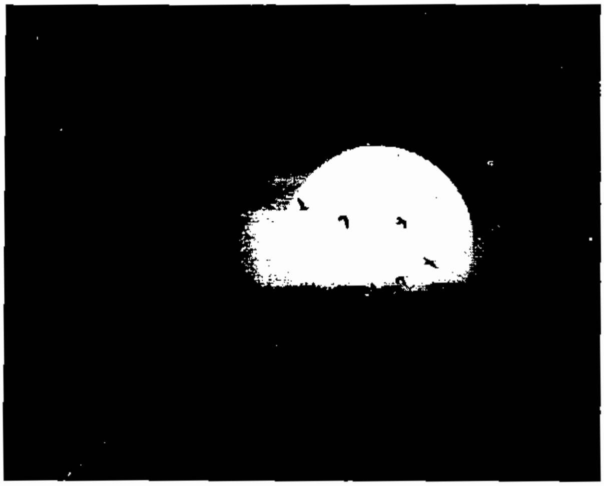
الكتاب الخالد، وفي هذا ما لعله يشير إلى أن القرآن الكريم قد تناول بالإجمال الإطار العام للفلك، وفقاً للتصور الإسلامي لهذا العلم . وفي السطور التالية سوف أقوم بتقديم المنظور التفسيري لهذه الآيات التي جاء ضمن مفرداتها اللغوية إعارة صريحة إلى الفلك، أما الآيات الأخرى التي حوت إشارة أو مؤشرات عن قضايا الفلك فسوف أعرضها بدون تفسير .

وفي هذا السياق التفسيري يبدو أنه من الضرورة بمكان أن نشير إلى أن بعض مؤرخي العلم يرون أنه لما أشرق فجر الإسلام على الكون، حدث تحول جذري في المسار التطوري والارتقائي لعلم الفلك سواء كان ذلك من الناحية العلمية (النظرية)، أو العملية (التطبيقية).

وذلك لأن الحضارة الإسلامية التي تعد بمثابة الإفراز الطبيعي لهذا الدين الخالد، قد اهتمت منذ اللحظات التاريخية الأولى لانبثاقها من رحم

التاريخ، بسائر العلوم بوجه عام، وعلم الفلك بوجه خاص، فرأينا المسلمين يتحدثون عن الكون المخلوق (القرآن التكوينى) وعن الكون المكتوب (القرآن التدوينى)، وما من كتاب مقدس فى مختلف الأديان تكرر فيه ذكر آيات الله المتجلية فى النظام الطبيعى مثل ما تكررت فى القرآن الشريف ما عدا استثناء ممكن فيما يخص كتاب (الفيدا) وهو أيضاً انعكاس مباشر للوحى الفطرى[1].

ومن هنا يمكن القول بأنه كان هناك عاملان حيويان، حركا علم الفلك بدفعة قوية منذ بداية الحضارة الإسلامية هما: أن الآيات القرآنية التى تشير إلى الطبيعة تتعلق فى معظمها بالسماء، ويعد هذا بمثابة تأكيد من قبل أقدس المصادر الإسلامية على مدى أهمية علم الفلك فى حياة الإنسان المسلم



.يضاف إلى ذلك ميل العرب الرحل الطبيعى إلى النظر فى السماء أثناء تجوالهم فى مغاور الصحراء بمساعدة النجوم . وبالتالى أصبح لهذا العلم وما يلحق به من العلوم العقلية، مكانة رفيعة فى الفضاء الثقافى الإسلامى، حتى أن الفقهاء وعلماء الدين المعارضين لبعض هذه العلوم استثنوا علم الفلك بل إن الأمر بلغ ببعضهم إلى أن أحلوه مكاناً رفيعاً[2] .

---

(١) العلوم فى الإسلام. د/ سيد حسنين نصر – ترجمة : مختار الجوهرى، دار الجنوب للنشر، تونس ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م، صفحة ٨٥.

(٢) العلوم فى الإسلام، ص ٨٦ .

ولقد وردت كلمة فلك فى موضعين من السياق الشريف، الموضع الأول فى سورة الأنبياء، حيث يقول الله ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[١]، والموضع الثانى فى سورة يس حيث يقول عز من قائل : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[٢] .

وفيما يلى تفسير هذه الآيات الكريمة، وسوف اعتمد فى تفسيرى لها على نموذجين لتفسير القرآن الكريم . أحدهما تراثى هو (تفسير الأمام القرطبى)، والآخر معاصر هو (ظلال القرآن) لسيد قطب وسيتضح لنا أن هناك فارق جوهرى فيما بين الرؤيتين التراثية والمعاصرة، فى نظرها للإعجاز العلمى للقرآن الكريم، وفقاً للمعطيات العلمية لحصرها وذلك فى المطلب الثانى.

(١) سورة الأنبياء، آية رقم (٣٣) .
(٢) سورة يس، آية رقم (٣٧ – ٤١) .

المطلب الأول

الآيات التى ورد بها عالم الفلك

الموضع الأول: قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[١]

الموضع الثانى : قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٢].

الموضع الثالث : قال الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾[٣].

الموضع الرابع : قال ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[٤].

الموضع الخامس : قال جل شأنه : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٥] .

الموضع السادس: قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ ﴾[٦]

---

(١) سورة البقرة، آية رقم (٢٩) .

(٢) سورة آل عمران، آية رقم (١٩٠) .

(٣) سورة البقرة، آية رقم (١٨٩).

(٤) سورة الأنعام، آية رقم (٩٧) .

(٥) سورة الأعراف، آية رقم (٥٤) .

(٦) سورة التوبة، آية رقم (٢٦) .

الموضع السابع : قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾(١).

الموضع الثامن : قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾(٢).

الموضع التاسع : قال جل شأنه : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾(٣).

الموضع العاشر : قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٤).

الموضع الحادى عشر : قال ﷻ : ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾(٥).

الموضع الثانى عشر : قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾(٦).

الموضع الثالث عشر : قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ

---

(١) سورة يونس، آية رقم (٥، ٦) .
(٢) سورة يوسف، آية رقم (٤) .
(٣) سورة الحجر، آية (١٤ – ١٦) .
(٤) سورة النحل، آية رقم (١٢) .
(٥) سورة النحل، آية رقم (١٦) .
(٦) سورة الإسراء، آية رقم (١٢) .

زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[١].

الموضع الرابع عشر : قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾[٢] .

الموضع الخامس عشر : قال الله تعالى: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾[٣].

الموضع السادس عشر : قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾ [٤].

الموضع السابع عشر : قال جل شأنه : ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴾[٥].

الموضع الثامن عشر : قال الله تعالى: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [٦].

الموضع التاسع عشر : قال ﷻ: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ [٧].

---

(١) سورة النور، آية رقم (٢٥) .
(٢) سورة الفرقان، آية رقم (٦١ ، ٦٢) .
(٣) سورة فاطر، آية رقم (١٢) .
(٤) سورة الصافات، آية رقم (٦).
(٥) الصافات، آية رقم (٨٨) .
(٦) سورة فصلت، آية رقم (١٢) .
(٧) سورة ق، آية رقم (٦)

الموضع العشرون : قال الله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ (١).

الموضع الحادى والعشرون: قال جل شأنه: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾(٢)

الموضع الثانى والعشـــرون : قال ﷻ : ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾(٣).

الموضع الثالث والعشرون : قال الله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾(٤).

الموضع الرابع والعشرون: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (٥).

الموضع الخامس والعشرين: قالﷻ: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ (٦).

الموضع السادس والعشرون : قال جل شأنه : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ (٧).

الموضع السابع والعشرون: قال ﷻ : ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴾(٨).

---

(١) سورة النجم، آية رقم (١ ، ٢) .
(٢) سورة القمر ، آية رقم (١) .
(٣) سورة الرحمن، آية رقم (٥ – ٧) .
(٤) سورة الواقعة، آية رقم (٧٥، ٧٦)
(٥) سورة الملك، آية رقم (٥)
(٦) سورة نوح، آية رقم (١٥، ١٦).
(٧) سورة الجن، آية رقم (٨ – ١٠).
(٨) سورة المرسلات، آية رقم (٨، ٩).

الموضع الثامن والعشرون : قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ (١).

الموضع التاسع والعشرون: قال ﷻ : ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾(٢).

الموضع الثلاثون : قال جل شأنه: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾ (٣).

الموضع الحادى والثلاثون : قال ﷻ : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ (٤).

الموضع الثانى والثلاثون: قال الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴾(٥).

الموضع الثالث والثلاثون : قال جل شأنه : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾(٦).

الموضع الرابع والثلاثون : قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾(٧).

تلك كانت أبرز الآيات القرآنية المعجزة، التى تحدثت عن علم الفلك

---

(١) سورة النبأ، آية رقم (١٠ – ١٢) .
(٢) سورة التكوير، آية رقم (١، ٢) .
(٣) سورة الانفطار، آية رقم (١، ٢) .
(٤) سورة الانشقاق، آية رقم (١ – ٥) .
(٥) سورة البروج، آية رقم (١، ٢) .
(٦) سورة الطارق، آية رقم (١ – ٤).
(٧) سورة الشمس، آية رقم (١ – ٦) .

وقضاياه فى القرآن الكريم، وما أكثر الآيات الأخرى، التى لم أذكرها هاهنا . إن هذه الآيات وغيرها إذن تقوم دليلاً كافياً على فساد أى رأى يذهب إلى أن الإسلام وكتابه الخالد نهى عن الفلك والاشتغال به، فالدعوة صريحة فى القرآن الكريم تتمثل فى أنه قد حث الإنسان المسلم على أن يمعن النظر، والتأمل فى كل شئ من صنع الله[١].

ولقد انعكس هذا الاهتمام الفائق، من قبل القرآن الكريم بعلم الفلك. حيث ذكرت النجوم تسع مرات فى القرآن الكريم، والكواكب مفردة فى آية واحدة، وجمعت فى أربع آيات، على تعاليم الإسلام، فكان لها بصمات بارزة على العلوم المتباينة بعامة، وعلم الفلك بخاصة، فكان علم الفلك فى الإطار الإسلامى يطلق عليه نفس التسميات السابقة واعتنى المسلمون بعلم الميقات لتحديد أوقات الصلاة، نظراً للبعد الكونى لهذه العبادة الإسلامية المتميزة، كما عنوا بتحديد القبلة (سمت القبلة)التى كانت جزءاً عضوياً حياً من اهتمامات علم الفلك كما فهمه المسلمون)[٢] .

---

(١) التراث والحضارة الإسلامية، د/ ماهر عبد القادر محمد، صفحة ٧٦ .

(٢) العلوم فى الاسلام، د/ سيد حسين نصر، صفحة ٨٧

المطلب الثانى

تفسير آيات الفلك

الفرع الأول : تفسير الآيات التى وردت فى سورة الأنبياء :

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴾(١)



١- يقول الإمام القرطبى فى تفسيره لهذه الآية (إن ذكر الليل والنهار فى الآية نعمة كبرى، فالله جعل الليل للبشر ليسكنوا فيه، والنهار لينصرفوا فيه لمعايشهم .

﴿ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ ﴾ أي وجعل الشمس آية النهار، والقمر آية الليل، وذلك بغرض تعلم الشهور والسنين والحساب .

﴿ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴾ أى أن الشمس والقمر والنجوم والكواكب والليل والنهار يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح فى الماء. وقيل : الجرى للفلك فنسب إليها، والأصح أن السيارة تجرى فى الفلك، وهى سبعة أفلاك دون السماوات المطبقة التى هى مجال الملائكة

(١) سورة الأنبياء، آية رقم (٣٣) .

وأسباب الملكوت، فالقمر فى الفلك الأدنى، ثم عطارد، ثم الزهرة، ثم الشمس، ثم المريخ، ثم المشترى، ثم زحل، والثامن فلك البروج، والتاسع الفلك الأعظم، والفلك واحد أفلاك النجوم، وفى حديث ابن مسعود (تركت فرسى كأنه يدور فى فلك)، كأنه لدورانه شبهه بفلك السماء الذى تدور عليه النجوم. قال ابن يزيد: الأفلاك مجارى النجوم والشمس والقمر وهى بين السماء والأرض)[١] .

ويلاحظ على هذه الرؤية التفسيرية ذات الطابع التراثى، أنها تشير بأن مفسرى القرآن القدماء، ومنهم القرطبى بطبيعة الحال، كان لديهم معرفة بالتفسير العلمى للقرآن الكريم وفقاً لمعطيات عصرهم فى هذا المنحى وهذا دلالة أكيدة على أن التفسير العلمى للقرآن كان موجوداً فى تراثنا الحضارى .

وفى هذا الصدد يقول أحد الباحثين المعاصرين (من الخطأ الظن أن التفسير العلمى حديث عهد، أو أنه نشأ فى أعقاب النهضة العلمية الحديثة)، فقد نقل بعض قدامى المفسرين عن العلماء أن القرآن الكريم يحوى سبعة وسبعين ألفاً ومائتى علم، إذ كل كلمة علم، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف، وقد روى عن ابن مسعود قولَه: (من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن)[٢]

٢- يقول سيد قطب وهو بصدد تفسير هذه الآية (إن الليل والنهار ظاهرتان كونيتان، والشمس والقمر جرمان هائلان لهما علاقة وثيقة بحياة الإنسان فى الأرض، وبالحياة كلها، والتأمل فى توالى الليل

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٢٨٦/١١ تحقيق أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م .

(٢) هاؤوم اقرأ وكتابية (محاولة لتجديد الفكر الإسلامى)، د. أحمد محمود صبحى، دار النهضة العربية المصرية للطباعة والنشر، بيروت ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، صفحة ٣١ .

والنهار، وفى حركة الشمس والقمر بهذه الدقة التى لا تختل مرة، وبهذا الاطراد الذى لا يكف لحظة . جدير بأن يهدى القلب إلى وحدة الناموس، ووحدة الإرادة ووحدة الخالق المدبر القدير)[١] .

الفرع الثانى : تفسير آيات سورة يس :

قال الله تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾[٢]

١- يقول الإمام القرطبى (إلى أن ذلك علامة دالة على توحيد الله وقدرته ووجوب الألوهية، والسلخ يعنى الكشط والنزع . يقال سلخه الله من دينه ثم تستعمل بعض الإخراج وقد جعل ذهاب الضوء ومجئ الظلمة كالسلخ من الشئ وظهور المسلوخ فهى استعارة و(مظلمون) تعنى داخلون فى الظلام يقال أظلمنا أى دخلنا فى ظلام الليل . وأظهرنا أى دخلنا فى وقت الظهر وكذلك أصبحنا وأضحينا وأمسينا)[٣] .

﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾[٤] قال القرطبى فى تفسيرها : (والمعنى أن الشمس تجرى إلى أبعد منازلها فى الغروب، ثم ترجع إلى أدنى منازلها . فمستقرها بلوغها الموضع الذى لا تتجاوز بل ترجع منه، كالإنسان يقطع مسافة حتى يبلغ أقصى مقصودة فيقضى وطره، ثم يرجع إلى منزله الأول الذى ابتدأ منه سفره، وعلى تبليغ الشمس أقصى منازلها، وهو مستقرها إذا طلعت الهنعة . وذلك اليوم أطول الأيام فى السنة، وتلك الليلة أقصر الليالى، فالنهار خمسة عشر

---

(١) فى ظلال القرآن سيد قطب، الجزء الثالث عشر، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة ١٣٨٦هـ، ١٩٦٧م، صفحة ٥٣٢ .

(٢) سورة يس ، الآية رقم (٣٧)

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى – تحقيق محمد محمد حسين – دار الكتاب المصرية، القاهرة ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م، الجزء الخامس عشر، صفحة ٢٦ .

(٤) سورة يس ، الآية رقم (٣٨)

ساعة والليل تسع ساعات، ثم يأخذ فى النقصان وترجع الشمس، فإذا طلعت الثريا استوى الليل والنهار، فيصير كل واحد منهما اثنتا عشرة ساعة، ثم تبلغ أدنى منازلها وتطلع النعائم، وذلك اليوم أقصر الأيام، والليل خمسة عشرة ساعة حتى إذا طلع فرخ الدلو المؤخر استوى الليل والنهار، " فيأخذ الليل من النهار كل يوم عشر ثلث سعة، وكل عشرة أيام ثلث ساعة، وكل شهر ساعة حتى يستويا . ويأخذ الليل حتى يبلغ خمس عشرة ساعة ويأخذ النهار من الليل كذلك

وقال الحسن إن للشمس فى السنة ثلاثمائة وستين مطلعاً، تنزل فى كل يوم مطلعاً ثم لا تنزل إلى الحلول، فهى تجرى فى تلك المنازل وهى مستقرها)[١] .

﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ جاء فى تفسيرها . أن الذى ذكر من أمر الليل هو من تقدير الله العزيز العليم ويرى القرطبى أن فى هذه الآية ثلاث مسائل هى :

المسألة الأولى : أن المنازل هى ثمانية وعشرون منزلاً ينزل القمر كل ليلة منها بمنزل، وهى (السرطان، البطين، الثريا، الدبران، الهتمة، الهنمة، الذراع، النثرة، الطرف، الجبهة، الخراتان، الصرفة، العواء، السماك، الغفر، الزبانيات، الإكليل، القلب، الشولة، النعائم، البلده، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الأخبية، الفرغ المقدم، الرفغ المؤخر، بطن الحوت) . فإذا صار القمر فى أخرها عاد إلى أولها، فيقطع الفلك فى

(١) تفسير القرطبى، ٢٧/١٥، ٨ .

ثمان وعشرين ليلة ثم يستتر، ثم يطلع هلالاً فيعود فى قطع الفلك على المنازل، وهى منقسمة على البروج لكل برج منزلان وثلث، فللحمل السرطان والبطين وثلث الثريا، وللثور ثلثا السريا والدبران وثلثا الهنمة، ثم كذلك إلى سائرها)[١] .

المسألة الثانية : أن العرجون هو أصل العنق الذى يموج منه الشماريخ فيبقى على النخل يابساً، وعرجنه ضربه بالعرجون، فالنون على قول هؤلاء أصلية ومنه شعر أعشى بن قيس

شرق المسك والعبير بها فهى صفراء كعرجون القمر

فالعرجون إذا عتق ويبس وتقوس شبه به القمر فى دقته وصفرته به . واعلم أن السنة منقسمة على أربعة فصول كل فصل سبعة منازل .

فأولها الربيع وأوله آذار وعدد أيامه اثنان وتسعون يوماً تقطع الشمس فيه ثلاثة بروج . وسبعة منازل ثم يدخل فصل الصيف فى حزيران وعدد أيامه اثنان وتسعون يوماً تقطع الشمس فيه ثلاثة بروج، وسبعة منازل أيضاً، ثم يدخل فصل الخريف فى أيلول وعدد أيامه واحد وتسعون يوماً تقطع الشمس فيه ثلاثة بروج وسبعة منازل، ثم يدخل فصل الشتاء فى كانون الأول وعدد أيامها تسعون يوماً وربما كان واحداً وتسعين يوماً تقطع الشمس فيه ثلاثة بروج وسبعة منازل وهذه قسمه السريانيين لشهور السنة تشرين الأول، تشرين الثانى، كانون الأول، كانون الثانى، أشباط (شباط)، آذار، نيسان، أيار، حزيران، تموز، آب، أيلول وكلها واحد وثلاثون يوماً، إلا تشرين الثانى ونيسان وحزيران وأيلول فهى ثلاثون يوماً وأشباط ثمانية وعشرون يوماً وربع)[٢] .

---

(١) تفسير القرطبى ٢٩/١٥، ٣٠ .

(٢) تفسير القرطبى ٣١/١٥ .

وهذا التفسير يشير لنا بأن علماء المسلمين كان لديهم حس علمى، بملامح كل العلوم، فجاء نتاجهم الفكرى مترع بالطابع الموسوعى، مما يضفى على الحضارة الإسلامية اليانعة، روحاً علمية، نحن فى أمس الحاجة إليها، فى هذه الأيام لكى تحقق الأمة الإسلامية نقلة نوعية فى عالم الإبداع الحضارى .

المسألة الثالثة: أن قولَه ﷺ: (القديم) يعنى التحول، وإذ قدم دق وانحنى وأصفر فشبه القمر به فى ثلاثة أوجه[١] .

﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ﴾ جاء فى تفسيرها، أن معناها أن الشمس لا تدرك القمر فتبطل معناه، أى أن لكل واحد منهما سلطان على حياته، فلا يدخل أحدهما على الآخر، فيذهب سلطانه إلى أن يبطل الله ما دبر من ذلك، فتطلع الشمس من مغربها، وقيل : إذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء، وإذا طلع القمر لم يكن للشمس ضوء، وأحسن ما قيل فى معناها، أن سير القمر سير سريع والشمس لا تدركه فى السير.

﴿ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ﴾ أى أن النهار مخلوق قبل الليل، وأن الليل لم يسبقه بخلق، وقيل : إن كل واحدة منهما يجئ وقته ولا يسبق صاحبه إلا أن يجمع بين الشمس والقمر يوم القيامة، وهذا التعاقب لتتم مصالح العباد، ويكون الليل للاستجمام والاستراحة، والنهار للتصرف . قولَه تعالى ﴿ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ﴾ أى غالب النهار.[٢]

﴿ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ يعنى أن كلا من الشمس والقمر والنجوم فهم يجرون وقيل : يدورون ولم يقل تسبح لأنه وضعها بفعل من يعقل،

---

(١) تفسير القرطبى ١٥ / ٣٢ .
(٢) تفسير القرطبى، ١٥/ ٣٢، ٣٣ .

وقيل : إن الشمس والقمر والنجوم فى فلك بين السماء والأرض غير ملصقة ولو كانت ملصقة ما جرت(١).

قال تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ .

٣- يقول سيد قطب فى تفسيره لهذه الآية (إن مشهد قدوم الليل والنور يختفى والظلمة تغشى الكون مشهد مكرر يراه الناس فى كل بقعة، فى خلال أربع وعشرين ساعة فيما عدا بعض المواقع التى يدوم فيها النهار كما يدوم فيها الليل أسابيع وأشهر قرب القطبين فى الشمال والجنوب من الكرة الأرضية وهو مع تكراره اليومى عجيبة تدعو إلى التأمل والتفكير والتعبير القرآني عن هذه الظاهرة، فى هذا الموضع تعبير فريد، فهو يصور النهار متلبساً بالليل ثم ينزع الله النهار من الليل فإذا هم مظلمون، ولعلنا ندرك شيئاً من سر هذا التعبير الفريد حين نتصور الأمر على حقيقته، فالأرض الكروية فى دورانها حول نفسها فى مواجهة الشمس تمر كل نقطة منها بالشمس، فإذا هذه النقطة نهار : حتى إذا أدارت الأرض وانزوت تلك النقطة على الشمس انسلخ منها النهار ولفها الظلام، وهكذا تتوالى هذه الظاهرة على كل نقطة بانتظام وكأنما نور النهار ينزع أو يسلخ فيحل محله الظلام، فهو تعبير مصور لهذه الحقيقة الكونية أدق تصوير)(٢).

﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ أى أن الشمس تدور حول نفسها وكان المظنون أنها ثابتة فى موضعها الذى تدور فيه حول نفسها ولكن عرف أخيراً أنها ليست مستقرة فى مكانها، إنما هى تجرى، تجرى فعلاً، تجرى فى اتجاه واحد فى الفضاء الكونى الهائل

---

(١) تفسير القرطبى ٣٣/١٥ .

(٢) فى ظلال القرآن سيد قطب، دار إحياء التراث العربى، بيروت – الطبعة الخامسة، ١٣٨٦هـ ١٩٦٧، الجزء الثالث والعشرين، صفحة ٢٤.

بسرعة حسبها الفلكيون باثني عشر ميلاً فى الثانية، والله ربها الخبير بها وبجريها وبمصيرها. يقول إنها (تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا) هذا المستقر الذى ستنتهي إليه لا يعلمه إلا هو ﷻ، ولا يعلم موعده سواه، وحين نتصور أن حجم هذه الشمس يبلغ نحو مليون ضعف لحجم أرضنا هذه، وأن هذه الكتلة الهائلة تتحرك وتجرى فى الفضاء، لا يسندها شئ، ندرك طرفاً من صفحة القدرة التى تصرف هذا الوجود عن قوة وعلم (ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ)[1].

﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ يذهب سيد قطب، كما ذهب القرطبى من قبل إلى أن للقمر منازل متعددة يراها العباد، فهو يولد هلالاً ثم ينمو ليلة بعد ليلة حتى يستدير بدراً، ثم يأخذ به التناقص حتى يعود هلالاً مقوساً كالعرجون القديم، والذي يلاحظ القمر بعد ليلة يدرك ظل التعبير القرآني العجيب (حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ)، وبخاصة ذلك اللفظ (القديم)، فالقمر فى لياليه الأولى هلال، وفى لياليه الأخيرة هلال، ولكنه فى الأولى يبدو وكأن فيه نضارة وفتوة، وفى الأخيرة يطلع وكأنما يغشاه سهوم ووجوم، ويكسوه شحوب وذبول، إنه ذبول العرجون القديم، فليس مصادفة أن يعبر القرآن الكريم عنه هذا التعبير الموحى العجيب، والحياة مع القمر ليلة بعد ليلة تثير فى الحس مشاعر وخواطر[2].

﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ في هذه الآية الكريمة يقرر القرآن الكريم مدى دقة النظام الكوني الذى يحكم هذه الأجرام الهائلة، ويرتب الظواهر الناشئة عن نظامها الموحد الدقيق، فكل نجم أو كوكب فلك أو

١٣

(١) فى ظلال القرآن ٢٣ / ٢٤، ٢٥ .
(٢) فى ظلال القرآن ٢٣ / ٢٥ .

مدار لا يتجاوزه فى جريانه أو دورانه . والمسافات بين النجوم والكواكب مسافات هائلة . فالمسافة بين أرضنا هذه وبين الشمس تقدر بنحو ثلاثة وتسعون مليوناً من الأميال، والقمر يبعد عن الأرض بنحو أربعين ومأتى مليون من الأميال، وهذه المسافات على بعدها ليست شيئاً يذكر حين تقاس إلى بعد ما بين مجموعتنا الشمسية واقرب نجم من نجوم السماء الأخرى إلينا، وهو يقدر بنحو أربع سنوات ضوئية وسرعة الضوء تقدر بستة وثمانين ومائة ألف من الأميال فى الثانية الواحدة (أى أن أقرب نجم إلينا يبعد عنا بنحو مائة وأربعة ملايين ميل) .

وقد قدر خالق هذا الكون الهائل أن تقوم هذه المسافات الهائلة بين مدارات النجوم والكواكب، ووضع تصميم الكون على هذا النحو ليحفظه بمعرفته من التصادم والتصدع حتى يأتي الأجل المعلوم . فالشمس لا ينبغى لها أن تدرك القمر، والليل لا يسبق النهار، ولا يزاحمه فى طريقه، لأنه الدورة التى تجئ بالليل والنهار لا تختل أبداً، فلا يسبق أحدهما الآخر أو يزاحمه فى الجريان[٢]

﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ إن حركة هذه الأجرام فى الفضاء الهائل أشبه بحركة السفينة فى الخضم افسيح، فهى مع ضخامتها لا تزيد على أن تكون نقطاً سابحة فى ذلك الفضاء المرهوب، وفى الواقع أن الإنسان ليتضاءل ويتضاءل، وهو ينظر إلى هذه الملايين التى لا تحصى من النجوم الدوارة، والكواكب السيارة، متناثرة فى ذلك الفضاء سابحة فى ذلك الخضم، والفضاء من حولها فسيح فسيح، وأحجامها الضخمة تائهة فى ذلك الفضاء الفسيح[٣] .

---

(١) فى ظلال القرآن ٢٣ / ٢٥، ٣٦ .
(٢) فى ظلال القرآن ٢٣ / ٢٦ .

ويتضح بعذ الدراسة والتحليل لهاتين الرؤيتين، التراثية والمعاصرة، أن كلاً منهما قذ حاول الاعتماد الأساسي على المنظور العصري لعلم الفلك، إبان حياة المفسر

فالإمام القرطبي اعتمد بشكل واضح، على معطيات علماء الفلك المسلمين، وفى هذا ما لعله يشي لنا بان الرجل كان مطلعاً على علوم عصره، وكذلك فعل سيد قطب، حيث جاءت معطيات القرن العشرين فى مضمار علم الفلك وفروعه بادية ضمن سياق تفسيره للنص القرآني العظيم .

وبالإضافة إلى هاتين الآيتين المعجزتين اللتين ورد بهما كلمة (فلك) صراحة، فقد جاء ضمن السياق القرآني الشريف، آيات هامة تشير إلى عالم الفلك، وقضاياه المتباينة، وهى تؤكد على أصالة هذا الكتاب الكريم، الذي أمر الله الإنسان من خلال آياته المعجزة، أن يتأمل هذا الكون الفسيح الأرجاء، وينظر فيه ويفكر، ويستخلص النتائج من النظر . وقد سبق أن أشرت إلى أن معظم الآيات القرآنية نجد فيها دعوة صريحة للتأمل والتفكير من أولى الألباب، وهذا الكون من حولنا علينا أن نتدبر حكمة خالقه . فالإنسان من هذه الزاوية يمكنه أن يأخذ العبرة والعظة من عظيم خلق الله(١)

---

(١) التراث والحضارة الإسلامية، د/ ماهر عبد القادر محمد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت (بدون تاريخ)، صفحة ٧٣، ٧٤ .

المبحث الثانى

وينقسم إلى:

المطلب الأول : وجعلنا سراجاً وهاجا .

المطلب الثانى: السماء ذات الرجع

المطلب الأول

" وجعلنا سراجاً وهاجا "

قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾(١)، بمعنى الشمس سراج النهار .

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾(٢)، بمعنى أن الشمس تضئ العالم نهاراً والقمر ينيره بالليل .

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾(٣)، معانيها واضحة من معانى ألفاظها .

وقال الله تعالى: ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾(٤)

وجاء فى تفسير الفخر الرازى ": السراج هو الشمس .. وقرئت بالجمع (سراجاً)، والمقصود الشمس والمجموعة الشمسية (الكواكب الكبار) والشمس حسب (نظرية السديم) التى ظهرت على يد (كنت) فى القرن ١٨ هى أم الكواكب وقد أيدها (لابلاس) عام ١٧٩٦، حيث انفصل من الشمس الأولى الكواكب الأخرى ومنها الأرض، ولعل هذا يتفق مع الآية ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ۝ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ۝ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۝ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴾(٥) .

فالشمس وللتى كانت دخاناً واحداً، أى ركناً فى سديم حلزونى واحد ثم

---

(١) سورة الفرقان، آية رقم (٦١) .
(٢) سورة يونس، آية رقم (٥) .
(٣) سورة نوح، آية رقم (١٦) .
(٤) سورة النبأ، آية رقم (١٢، ١٣) .
(٥) سورة النازعات، آية رقم (٢٧-٣٢) .

تراكمت وتكثفت وبردت لتعلن عن ميلاد كوكب جديد هو الأرض بمعنى أن الأرض قد انفتقت عن الشمس، ويؤيد هذا قولَه سبحانه: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾(١) .

ومعنى ذلك أن الأرض عندما بردت تحولت من الغاز إلى السائل بعد انفصالها من الدخان، وقد كانت وهى فى حالة السيولة تدور حول نفسها .. وحول الشمس فأصبحت بيضاوية أو كمثرية الشكل .

وواضح أن تلك الأجرام السماوية وهى ملتهبة – عند انفصالها – لا تشعر بليل أو نهار ورغم أنها تدور حول محورها أما الشمس فهي نفسها مضيئة، ولكن إذا بردت تباعاً أصبحت ملائمة لاستقبال الحياة، فالترتيب الوارد في الآيات الكريمة لَه دلالته وله معانيه السامية وفيه الإعجاز العلمي لفظاً ومعنى وتنسيقاً.

ولقد لفتت الشمس منذ القدم أنظار الناس حتى عبدها بعضهم وجاء الإسلام واستنكر ذلك ﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ ﴾(٢) . ولا يزال المجوس للأسف فى الهند وغيرها حتى اليوم يعبدونها .

أما العلم الحديث : فيكشف لنا عن ماهية الشمس الكثير والكثير فهى كرة هائلة من الغازات المتوهجة يتألف معظمها من الهيدروجين والمنطقة الملتهبة منها بالجزء الأسفل حيث ترتفع حرارتها بسبب وجود مجالات مغناطيسية تنتج جسيمات سريعة الحركة تصطدم بمادة جو الشمس العادية فتحيل هذه المنطقة من الشمس إلى متوهجات شمسية .

أما قطر الشمس فيزيد عن مليون وثلث كيلو متر .. ومحيطها مثل

---

(١) سورة فصلت، آية رقم (١١) .
(٢) سورة فصلت، آية رقم (٣٧) .

محيط الأرض ٣٢٥ مرة. أى إذا كانت الشمس مجوفة إذاً لأمكنها استيعاب (١,٣٠٠,٠٠٠) جسم .. كل جسم فى حجم الأرض داخلها .. وتدور حول نفسها كما تدور الأرض بسرعة ٦٠٠,٠٠٠ فى الساعة أى بمعدل ١٦٦٦ ميل فى الثانية الواحدة تقريباً.

وتكتمل دورة الشمس حول مجرتنا التى نتبعها فى نحو ألفى مليون سنة ضوئية وتدور بين النجوم كل ٢٢٥ سنة بسرعة قدرها ١٩,٣ كم فى كل ثانية . وتدور حولها الأرض وتنشأ عن ذلك الفصول الأربعة، حيث تتغير من فترة إلى أخرى فتسير الأرض فى كل برج منها مقدار شهر .

ويرجع سبب تغير الطقس والمناخ على سطح الأرض إلى محور دوران الأرض حول نفسها على مسار دورانها حول الشمس (دائرة البروج) بزاوية مقدارها ٢٣,٥ درجة، وهذا يجعل شدة الطاقة الساقطة على سطح الأرض تتغير من فصل إلى فصل .

قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾(١) .

حيث يتغير اتجاه الشمس على سطح الأرض من منطقة إلى أخرى، فنجد أنه فى فصل الخريف والربيع تكون الشمس متعامدة على خط الاستواء، وفى فصل الصيف تكون الشمس متعامدة على مدار السرطان وأخيراً فى فصل الشتاء تكون متعامدة على مدار الجدى .

وهذا من فضل الله لأنه لو كان محور الأرض عمودياً فقط على خط الاستواء وفى المناطق الأخرى يكون ميل الشمس ثابتاً طوال العام ويتساوى الليل مع النهار طولاً فى جميع أنحاء الأرض وتصبح شدة الطاقة الساقطة

(١) سورة يس، آية رقم (٣٨ – ٤٠) .

على جزء من الأرض خلال العام، وهذا لا يتلاءم مع طبيعة حياة الإنسان والحيوان، وهذا هو الصواب عما ذكره الدكتور/ خضر[١] ما نصه: "بأن البروج هى منازل الكواكب فى السماء والتي ينشأ عنها الفصول الأربعة وما فيها من حرارة وبرودة .

قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓ ﴾[٢]، والتسخير لغة التذليل لتكون مصدر الوفير من الطاقات كماً ونوعاً . تبلغ حرارتها الداخلية حوالي ٢٠ مليون درجة مئوية، بينما حرارة سطحها نحو ٦٠٠٠ درجة وهذا السطح تندلع منه ألسنة اللهب إلى ارتفاع مليون متر ولعل هذا هو معنى ﴿ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ﴾[٣] .

ويقول تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴾، فالشمس غير مكورة الآن، ولكنها فى النهاية سوف تتكور حتى تصير قزماً أبيض وتستقر حيث يذهب ضوء الشمس حينئذ وينطفئ، وهذا ما يحدث أثناء الانهيار الجزنى، إذ تتجمع مادة النجم على بعضها وتدور وهذا ما وجده شاندراسيخار وآخرون، حيث يمكن أن تبقى على هذه الحال آلاف بل ملايين السنين[٤] ومستقر الشمس كما فى الحديث " إن الشمس تسجد تحت العرش ".

ولقد أثبت العلم انتظام مواقع الأجرام السماوية فى حركتها المستمرة [٥]، ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴾[٦] ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾[٧] .

---

(١) د/ عبد العظيم عبد الرحمن خضر فى كتابه الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن، ص ١٧٦ .
(٢) سورة الأعراف، آية رقم (٥٤)
(٣) سورة الواقعة، آية رقم (٧٢) .
(٤) خلق الكون، ص ٤٧ .
(٥) خاطبة النظام بين الكون والقرآن، ص ٢٦ .
(٦) سورة الرحمن، آية رقم (٥) .
(٧) سورة يس، آية رقم (٤٠) .

قال القرطبى : إنهما يجريان بحساب معلوم .. يجريان بحساب فى منازل لا يعدونها، إلا أنه فى النهاية ستتمـدد الشمس فجـأة وبسـبب غير معروف حتى تصل إلى القمـر ومن ثم الأرض .

يؤكد ذلك قولَه ﷻ ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝ يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴾[1] .

هذه هي الشمس مصدر الإشعاع، ورد ذكرها فى القرآن فى كثير من الآيات (٣٢ آية) بـ"ال" المعرفة، وقد ورد ذكرها مرة واحدة (شمس) حيث جاء فى قولَه تعالى: ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾[2] .

(١) سورة القيامة، آية رقم (٧ – ١٠) .
(٢) سورة الإنسان، آية رقم (١٣) .

المطلب الثانى

السماء ذات الرجع:

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾(١)

الرجع : رجع يرجع رجعا ورجوعا : انصرف.

وقيل : الرجع : محبس الماء .

والــرجع : المطر لأنه يرجع مرة بعد مرة وفي التنزيل : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾

ويقال : ذات النفع .



قــال ثعلب : ترجع بالمطر سنه بعد سنه .

وقال اللحياني : لأنها ترجع بالغيث .

وقال الفراء : تبتدئ بالمطر ثم ترجع به كل عام .

وقال غيره : ذات الرجع : ذات المطــر، لأنه يجئ ويرجع ويتكرر.

قــال الــرازى فــي تفسيره للآية : قال الزجاج: الرجع المطر لأنة يجئ ويتكرر، وأعلم أن كلام الزجاج وسائر أئمة اللغة صريح في أن الرجع ليس اسماً موضوعا للمطر بل سمي رجعا على سبيل المجاز ولحسن هذا المجاز وجوه :

---

(١) سورة الطارق آية رقم ١١

أحدها : قال القفال : كأنه من ترجيع الصوت وهو إعادته ووصل الحروف به، فكذا المطر لكونه عائدا مرة بعد أخري سمي رجعا .

ثانيها :- أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ثم يرجعه إلى الأرض .

ثالثها :- أهم أرادوا التفاؤل فسموه رجعا ليرجع .

ورابعها :- أن المطر يرجع في كل عام، إذا عرفت هذا فسنقول للمفسرين أقوال :-

أحدها :- قال ابن عباس :"والسماء ذات الرجع " أي ذات المطر يرجع المطر بعد مطر

وثانيها :- رجع السماء : إعطاء الخير الذي يكون من جهتها حالا بعد حال على مرور الأزمان، ترجعه رجعا أي تعطية مرة بعد مرة .

وثالثها :- قال ابن زيد : هو أنها ترد وترجع شمسها وقمرها بعد مغيبها، والقول الصواب هو الأول .

قال القرطبي : قولَه تعالى : "والسماء ذات الرجع" أي ذات المطر ترجع كل سنة بمطر بعد مطر، كذا قال عامة المفسرين .

المبحث الثالث

حركات الأرض

وتولد الليل والنهار

والفصول الأربعة

المبحث الثالث

حركات الأرض – وتولد الليل والنهار والفصول الأربعة

قال تعالى : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[1] .



حركات الأرض .. وتولد الليل والنهار .. والفصول الأربعة

من الحقائق العلمية الفلكية تتابع الليل والنهار كل يوم .. وتتابع فصول السنة : الصيف والخريف والشتاء والربيع على مدار العام يطول النهار أو يقصر ويشتد الحر أو البرد فما السبب فى ذلك ؟

١- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2] .

٢- ويقول تعالى : ﴿ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾[3] .

---

(١) سورة يس، الآيات (٣٧ – ٤٠) .

(٢) سورة آل عمران، آية رقم (١٩٠) .

(٣) سورة يونس، آية رقم (٦) .

٣- ويقول جل شأنه: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾[1] .

٤- ويقول سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾[2] .

٥- ويقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾[3]

٦- ويقول تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾[4]

ويقول المفسرون:﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، وما فيهما من العجائب، ﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ بالمجئ والذهاب والزيادة والنقصان ﴿ لَءَايَٰتٍ ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ لذوى العقول المفكرة، فهذا مجال لهم أن يسألوا ويتساءلوا. ماذا ولماذا وكيف يحدث ذلك؟.

وإن تعاقب الليل والنهار وتعاقب النهار والليل إذا ذهب هذا جاء هذا، وإذا جاء هذا ذهب هذا وفيما خلق الله فى السماوات والأرض من عجائب لدلالات وحجج وإعلام لقوم يتقون الله فيخافون ويخلصون العبادة له[5] .

وجاء فى تفسير الرازى فى قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ﴾[6] أى دليلين للخلق على مصالح الدنيا والدين .. وذلك من أقوى الدلائل على أنهما غير موجودتين لذاتهما بل لابد من فاعل يدبرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة . فلولا الليل لما حصل السكون والراحة، ولولا النهار لما

---

(١) سورة إبراهيم، آية رقم (٣٣، ٣٤) .
(٢) سورة الإسراء، آية رقم (١٢) .
(٣) سورة يونس، آية رقم (٦٧) .
(٤) سورة الفرقان، آية رقم (٤٧) .
(٥) القرآن ينبوع العلم، ص ٢٥ .
(٦) سورة الإسراء، آية رقم (١٢) .

حصل الكسب وطلب المعاش ﴿ فَمَحَوْنَآ ﴾ الآية التى هى النيل والمحو إزالة الأمر والمقصود جعل الليل مظلماً .. وجعلنا الآية التى هى النهار سبباً للإبصار ومعينة عليه لتطلبوا الرزق من ربكم بالسعى والكسب ولتعلموا بها عدد السنين الشمسية وحساب الزمن من الأشهر والأيام فى كل سنة.

ويقول ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ أى : كاللباس يقى الناس والبرد ويستر العورات عن النظر ﴿ وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا ﴾ أى : للراحة ﴿ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾ أى : سبباً للانتشار والسعى فيطلب المعاش .

كما وردت آيات أخرى فى اختلاف حال الظلمة والضياء فى كل يوم على صورة القسم لحكمة مقصودة .

كما فى سورة المدثر : ﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ ﴾[1] .

﴿ كَلَّا ﴾ للزجر والردع. ﴿ وَٱلْقَمَرِ ﴾ أى وأقسم بالقمر ذى الأوجه المختلفة لتعلموا منها حساب الأيام والأشهر والسنين القمرية، ومواعيد العبادة فى الصوم والحج إلى بيت الله الحرام، وأقسم بالليل إذا ولى واختفى، وبالصبح وهو أول النهار من وقت ابيضاض واحمرار الأفق إلى شروق الشمس، إذا أشرق لونه وأسفر من الإسفار وهو كشف اللون . وجواب القسم إن سقر وهى الجحيم تنذر وتحذر بها البشر .

وفى سورة التكوير : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾[2] .

والخنس هى الكواكب الجوارى التى تختفى بضوء الشمس .

---

(١) سورة المدثر : آية رقم (٣٢ – ٣٥) .
(٢) سورة التكوير، الآيات أرقام (١٥ – ١٩) .

والمراد بالكنس . الجوارى الدرارى، إذ إنـــها اكنس فى جريـــها إلى أبراجــها ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾(١) أى أدبر واختفى، ﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ أى انبلج وامتد حتى صار نهاراً.

وفى سورة الانشقاق : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾(٢) .

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴾ لا زائدة ونافية والمعنى ﴿ أُقْسِمُ ﴾ . والشفق وهو الحمرة التى ترى بالأفق ثم ابيضاضه بعد غروب الشمس حتى يصير بدراً ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾، أى حالة بعد حالة مطابقة لها فى الشدة .

وفى سورة الفجر : ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴾(٣) .

يقسم الله بالفجر وهو أول الصبح لأنه يفجر الظلام بضيائه ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ قيل العشر الأوائل من ذى الحجة. ﴿ وَٱلشَّفْعِ ﴾، أى الزوج ﴿ وَٱلْوَتْرِ ﴾ الواحد الفرد .

وفى سورة الشمس : ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴾(٤)

يقسم الله بالشمس وبضيائها وقت ارتفاعها .. وبالقمر إذا تبعها بضيائه بعد غروبها .. والنهار إذا كشف الظلمة وأظهر الأرض .. والليل عندما يغطى الأرض بظلامه الدامس البهيم فيستر العورات .

وفى سورة الضحى : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ

---

(١) المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى (عسعس) من الأضداد أى أقبل، وأدبر، ص ٣٣٧ .
(٢) سورة الانشقاق، الآيات أرقام (١٦ – ١٩) .
(٣) سورة الفجر، الآيات أرقام (١ – ٥) .
(٤) سورة الشمس، الآيات أرقام (١ – ٤) .

وَمَا قَلَىٰ ۝ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾[١]

﴿ وَالضُّحَىٰ ﴾ أى : وحق الضحى وهو وقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لأن النهار يقوى فيه، فهو يقسم بضياء الشمس فى صدر النهار، والليل إذا سكن الناس فيه أو إذا غطى الأرض بظلامه وسترها .

وفى سورة الليل : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾[٢] .

والمعنى : يقسم الله ويقول : وحق الليل إذا غطى النهار وحق النهار إذا ظهر وتجلى وكشف الظلمة وأظهر الأرض (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ) أى: والقادر الذى خلق الذكر والأنثى متكاملاً معاً كما يتكامل الليل مع النهار إن مساعيكم متنوعة .

---

(١) سورة الضحى، الآيات أرقام (١ – ٤) .

(٢) سورة الليل، الآيات أرقام (١ – ٤) .

تولد الليل والنهار .. والفصول الأربعة

أثبت العلم الحديث أن الأرض رغم سكونها الظاهرى تدور حول نفسها كل ٢٤ ساعة أى فى حركة يومَية مغزلية بسرعة (١٠٤٤ ميل / ساعة) فيتولد عن ذلك الليل والنهار وتعاقبهما .. لأن الشمس لا تضىء إلا النصف المقابل لها من الأرض فقط فيكون عند أهل هذا النصف نهاراً . وعند أهل النصف الآخر ليلاً .

وبيان هذا أن الأرض بدورانها حول نفسها من المغرب إلى المشرق تجعل كل نقطة من نقاط سطحها تمر على التعاقب، أما الشمس والقمر أو أى كوكب فيتخيل لنا أن الكواكب هى التى تنتقل فى السماء فتشرق وتغرب مع أننا نحن الذين ننتقل بانتقال الأرض "

ومثال ذلك مثل الراكب بقطار السكة الحديد فيرى نفسه أنه جالس ثابت وأن القطار لا يتحرك وأن الأشجار هى التى تسير وتدور حول القطار مع أنها ثابتة . وأن القطار هو الذى يسير بركابه فوق الأرض .

وهكذا فنحن نرى الشمس أولاً جهة الشرق فى الصباح .. ثم نراها أمامنا فوقنا فى وقت الظهر ثم نشاهدها تغرب فى المساء .

ويقرر العلم الحديث أيضاً أن طول كل من الليل والنهار يختلف باستمرار على مدار السنة إلا عند خط الاستواء فإن الليل فيه مساوٍ للنهار على الدوام .. حيث يطول الليل فى الشتاء ويقصر النهار .. والعكس صحيح فى الصيف فى بلادنا .. وهكذا نشعر بالفصول الأربعة ظاهرة واضحة لنا .

ويرجح العلماء حدوثها لفعل عوامل ثلاثة :

١) دوران الأرض حول الشمس .

٢) دوران الأرض حول نفسها .

٣) ميل محور الأرض بزاوية مقدارها ½ ٢٣ .. مما يؤدى إلى اختلاف طول اليوم واختلاف فصول السنة .. كما تختلف درجات الحرارة على سطح الأرض هى (٨٨٠ سلزيوس) فى الشتاء عند القطب وأعلاها (٥٨ سلزيوس) فى الصيف عند خط الاستواء .

ولا شك أن هذا الاختلاف فى التوقيت يرجع إلى دوران الأرض حول الشمس مرة كل عام بسرعة ٦٧٠٠٠ ميل / ساعة فى حركة مدارية منتجة الفصول الأربعة وهى : الربيع والصيف والخريف والشتاء .

ويطلق عليها العلماء (الحركة الانتقالية) وهى عبارة عن دوران الأرض حول الشمس من المغرب إلى المشرق فى ٣٦٥ يوماً، ٥ ساعات، ٤٨ دقيقة، ٥٠ ثانية أى ٣٦٥ يوماً وربع يوم تقريباً وهذه المدة المعبر عنها (بالسنة الشمسية) وتقطع الأرض فى اليوم أثناء حركتها السنوية ما يزيد عن ٠,٥ مليون من الفراسخ مما يجعل الليل يطول أو يقصر بحسب تعامد الشمس على المكان أو ميلها عنه فالأرض تدور حول محورها المائل على مداره بمقدار °٢٣,٥ وانطلاقها مع الشمس فى فلكها حول مركز مجرة سكة التبانة بسرعة ٤٩٧ ميل / ساعة . وجريانها مع الشمس فى فضاء المجرة بسرعة ٤٣٠٠٠ ساعة بل وانطلاقها مع مجرتين فى غطاء تمدد الكون .

ورغم هذه الحركات الخمس للأرض فإننا مستقرون فوقها لا تتناثر أشلاؤنا أثناء ذلك وما ذلك إلا بتسخيرها من قبل الله ﷻ لنا : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[١]، فهى كالدابة الذلول . ورغم ذلك فلازال البعض ومنهم مفتى السعودية ابن باز ينكر دوران الأرض[٢].

---

(١) سورة الملك، آية رقم (١٥) .

(٢) محمود بن عبد الله التويجرى / ذيل الصواعق لمحو الأباطيل والمخارق للرد على محمد محمود الصواف (المسلمون وعلم الفلك) .

وعلى سبيل المثال يقدر طول النهار فى الشتاء فى القاهرة بحوالى ١٠ ساعات وفى الصيف ١٤ ساعة وفى كل من الخريف والربيع ١٢ ساعة تقريبا .

كما أن اختلاف مواعيد الصلاة وأيضاً الإفطار فى شهر رمضان من يوم لآخر فى المكان الواحد لدليل على إيلاج الليل فى النهار وإيلاج النهار فى الليل والرحلة السنوية للأرض حول الشمس مع ميل المحور الشمسية خلال البروج بسبب اختلاف فى طول اليوم وطول النهار باختلاف الأقطار[١]، فالشمس فى كل لحظة فى غروب وشروق وزوال وضحى ومعنى ذلك هو انتقال لفظ الجلالة الله أكبر فى الآذان حول الكرة الأرضية وطوافه حولها بلا انقطاع طوال الأربع وعشرين ساعة وإلى يوم الساعة[٢].

وعلى هذا فإن المشرقين يمثل أقصى بعد بين موضعى الأرض فى فلكها حول الشمس كما فى الآية ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ ﴾[٣]، كما أشار القرآن بالذات إلى منطقتين وصل إليهما ذو القرنين حيث أطلق على الأرض المظلمة ﴿ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ ﴾ إشارة إلى ليلها الطويل، والأخرى المضيئة ﴿ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ ﴾ إشارة إلى نهارها الطويل[٤] .

كما فى قوله تعالى على الترتيب ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٍ ﴾[٥]، أى بئراً مظلمة ذات طين مبلول إشارة إلى الليل الطويل .

---

(١) الله والعلم، مرجع سابق .
(٢) المنهج الإيمانى للدراسات الكونية فى القرآن الكريم، ص ٢٧٥ .
(٣) سورة الزخرف، آية رقم (٣٨) .
(٤) فى رحاب القرآن، ص ٦٤، عبد العزيز العلمى .
(٥) سورة الكهف، آية رقم (٨٦) .

وأما قوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾(١) فيشير للنهار الطويل على خلاف ما تعود عليه في بلاده .

ويحدد البعض موقع رحلة ذى القرنين أنها كانت فى المغرب بجزيرة الأطلنتس فى الجانب الغربى من الكرة الأرضية، حيث كان خروجه من مصر وقت الغروب، حيث أدرك الشمس وقت الظهيرة، ولقد وجدها مستمرة فى غروبها فوق المحيط الأطلسى، وهذا يظهر أن الجزيرة المقصودة تقع بين خطى عرض ٤٠، ٦٠ غرب جرينتش وبين خطى عرض ٢٠، ٣٠ شمالى خط الاستواء بالقرب من مدار السرطان وإن لم تكن عليه(٢).

وهذا دليل على كروية الأرض ودورانها التى جاء بها القرى، بأسلوب معجز علمياً وبيانياً يخاطب الجميع على قدر عقولهم وزمانهم فلم يشأ أن ينص على دوران الأرض مباشرة، لأن الإيمان بدوران الأرض أعصى من الإيمان بكرويتها، فالدوران حركة وقد تعود الناس الشعور بالحركة .. وعندما قيل لهم فى القرن السادس عشر أن الأرض تتحرك سارعوا إلى التكذيب وإعدام من قال بذلك أمثال (كوبرنيكس) (١٥٧١ – ١٦٣٠) الألمانى و (جاليليو) من جانب الكنيسة .

فالحركة المغزولية اليومية للأرض بدورانها حول نفسها تؤكدها الآيات الآتية:

قال تعالى: ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ﴾(٣) والتكوير هو لف شئ على آخر فى اتجاه مستدير كما فى اللغة كور العمامة

(١) سورة الكهف، آية رقم (٩٠) .
(٢) فى رحاب القرآن الكريم – مرجع سابق .
(٣) سورة الزمر، آية رقم (٥)

على رأسه وكورها بمعنى أن الله سبحانه يلف الليل على النهار ويلف النهار على الليل ويؤيد هذا المعنى تكرار فعل (يُكَوِّرُ) فى الآية تكرارا بليغاً واستخدام المجاز المرسل لغوياً باستخدام لوازم الليل والنهار . وهى على الترتيب : الظلام والنور فالظلام ذلك الرداء الأسود جدير بأن يصور الله بها نفوس وحال الكافرين والمشركين والمنافقين ﴿ الٓرۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلۡنَـٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾(١).

قال تعالى: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيۡلِ ﴾(٢) وتكرار الفعل ﴿ يُولِجُ ﴾ فيها والإيلاج لغوياً إدخال شئ فى آخر يحيط به ويساويه كإيلاج الخيط فى ثقب الإبرة أى يدخل الليل فى النهار ويدخل النهار فى الليل وما ذلك إلا بسبب دوران الأرض .

قال تعالى: ﴿ يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ ﴾(٣) والإغشاء معناه التغطية ودوران الأرض مغزلياً حول محورها مما يؤدى إلى إغشاء أى تغطية الظلام لمكان النهار وتغطية النور لمكان الليل نتيجة الدوران المغزلى للأرض منذ تكوينها فى البداية منذ ٤,٥ مليار سنة، حيث كان التعاقب ﴿ حَثِيثًا ﴾ الذى اكتشف بالإشعاع الذرى أن النهار آنذاك كان ٤ ساعات فقط يقال الحث، الإعجال الذى ثبت أنه يتباطأ مع مرور الزمن بدليل حذف كلمة ﴿ حَثِيثًا ﴾ الذى اكتشف بالإشعاع الذرى والساعات الذرية فى القرن العشرين لدرجة أن بعض العلماء يتوقعون حالياً توقف حركة الأرض عن الدوران المغزلى فى المستقبل ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَـٰمَةِ مَنۡ إِلَـٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَـٰمَةِ مَنۡ إِلَـٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٍ تَسۡكُنُونَ

---

(١) سورة إبراهيم، آية رقم (١)
(٢) سورة لقمان، آية رقم (٢٩) وفى سورة الحديد، آية رقم (١٠٣) .
(٣) سورة الرعد، آية رقم (٣) .

فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾[١]

ويشير القرآن إلى هذه الظاهرة باحتمال سكون الظل واحتمال توقف تبادل الليل والنهار ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ﴾[٢] واستدراكاً لهذا الوضع الشاذ ماذا لو وقفت الأرض عن دورانها فأصبح نصفها المواجه للشمس نهاراً دائماً والبعيد عنها ليلاً دائماً ؟ . أليس من رحمته قوله فى ذلك ﴿ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[٣] .

وهذا الدوران العكسى بعد التوقف المذكور قرآنياً المتوقع علمياً سيؤدى إلى طلوع الشمس من مغربها تصديقاً للحديث الشـــريف " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها " وشرح لقوله تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴾[٤] ليصبح للشمس مشرقان ومغربان .

وقال تعالى: ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةً لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾[٥]، تؤكد حركة الأرض اليومية والسنوية فالتقليب حركة تدل على إحلال أحدهما على الآخر بالسريان والأدبار كما فى القسم الإلهي ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ﴾[٦]، ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ﴾[٧]، ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾[٨].

وقال تعالى: ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾[٩]، والسلخ أصلاً معناه فصل الجلد عن اللحم .

---

(١) سورة القصص، الأيت أرقام (٧١، ٧٢) .
(٢) سورة الفرقان، آية رقم (٤٥)
(٣) سورة القصص، آية رقم (٧٣) .
(٤) سورة الرحمن، آية رقم (١٧) .
(٥) سورة النور، آية رقم (٤٤) .
(٦) سورة الفجر، آية رقم (٤، ٥) .
(٤) سورة المدثر، آية رقم (٣٣) .
(٨) سورة التكوير، آية رقم (١٧)
(٩) سورة يس، آية رقم (٣٧) .

والمعنى نسلخ من مكان الليل نور النهار لأن الليل (هو الأصل) والنهار طارئ موجود فى قشرة الغلاف الجوى اللامس لسطح الأرض. حيث تتوافر ذرات الهواء التى تحدث التشتت لضوء الشمس فيتجلى النهار ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾(١)، ﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴾(٢)، وبهذا فإن الظلام بالنسبة للنور كجسد الشاة بالنسـبة لجلدها كما فى قولَه ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴾(٣) وتكون الحركة هى المشرط الذى يفصل الضوء من جسم الأرض الكروى.

وهذه عملية مقدرة، فلو انخفضت سرعة الأرض إلى ٢٠٠ ميل فى الساعة بدلاً من ١٠٠٠ميل مثلاً لصار طول النهار ١٢٠ ساعة، أى تصبح الظلمـة نحو عشرة أضعاف الظلمة الحالية، ولذلك كان من فضل الله أن يكون الليل والنهار فى تداخل مستمر ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾(٤) سبحانك إنك على كل شئ قدير.

يؤكد ذلك قولَه تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾(٥) فهو المقدر العليم لساعات الليل وساعات النهار العالم ونقصانها فلا الحياة كلها ليل مظلم ولا هى نهار مضيء بل إن الله جلت قدرته سلخ النهار من الليل يشهد ذلك على عظمته وقدرته .

وقال تعالى : ﴿ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾(٦) .

والسبح فى اللغة معناه الانتقال السريع للجسم بحركة ذاتية فيه.

والليل والنهار لغوياً ظرفا زمان ولابد لهما من مكان لأنه لا زمان

---

(١) سورة الليل، آية رقم (٢)
(٢) سورة المدثر، آية رقم (٣٤) .
(٣) سورة الشمس، آية رقم (٤)
(٤) سورة آل عمران، آية رقم (٢٧) .
(٥) سورة المزمل، آية رقم (٢٠) .
(٦) سورة يس، آية رقم (٤٠) .

بدون مكان وإطلاق الظرف وإرادة المحل معروف لغوياً فى بلاغة القرآن، فالمقصود هنا بالليل والنهار لفظ الأرض كمكان يتواجد عليه الليل والنهار.

وبهذا فإن للأرض فلك تسبح فيه ويؤكد ذلك المعنى لفظ (يسبحون) لجمع الشمس والقمر والأرض كأجرام سماوية ولم يأت بالمثنى للشمس والقمر فقط فى لفعل (يسبحون) أى الكل يدور كما يدور المغزل فى الفلكة .

كما قال ابن عباس الذى أدرك هذا المعنى فقال : إن الأرض أحد السابحين .

وقال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ﴾[1] ما يؤكد دوران الأرض .

يقول الشيخ الشعراوى : كان بعض المفسرين يفسرون الآية بوقوع ذلك يوم القيامة وزوال الجبال وقتئذ ولكن كلمة (تحسبها)، أى تظنها لا تكون فى الآخرة التى تسمى دار اليقين ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾[2] فيوم القيامة لن تكون هناك جبال ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴾[3]، وفى سورة الواقعة ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾[4]، ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾[5] .

والظن يكون فى الدنيا يؤكد ذلك عبارة ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾[6] وعبارة ﴿ خَبِيرٌ ﴾ وهكذا فتبدو الجبال ثابتة أمامنا لأنها لا تغير

---

(١) سورة النمل، آية رقم (٨٨) .
(٢) سورة التكاثر، آية رقم (٧) .
(٣) سورة طه، آية رقم (١٠٥) .
(٤) سورة الواقعة، آية رقم (٥، ٦) .
(٥) سورة النبأ، آية رقم (٢٠) .
(٦) سورة النمل، آية رقم (٨٨) .

مكانها لكنها فى الحقيقة تتحرك، لأن الأرض تدور حول نفسها وحول غيرها والجبال جزء من الأرض فهى تدور تماما كما تحرك الريح السحاب [1] ولكنا لا نحس بذلك لأسباب ثلاثة هى :

١- أنها تسير بسرعة فائقة عبر عنها القرآن (مر السحاب)، فالسحاب متحرك راكب الرياح

٢- وهذه السرعة ثابتة لا تتغير .

٣- الجاذبية الأرضية وتعود الكائنات عليها .. ويفسر ذلك علمياً بظاهرة القصور الذاتى جاء بها القرآن منذ ١٤ قرناً ولم يثبت إلا بواسطة فوكو عام ١٨٥١م .

فالطواف سنة الله فى الكون .. بدءاً من الذرة حيث يدور الإلكترون حول نواتها والأرض تدور حول محوريها يومياً وحول الشمس سنوياً.

وكذلك فالمسلم يطوف حول الكعبة مركز الجاذبية فى الأرض قائلاً فى الحج والعمرة لبيك اللهم لبيك كما يطوف أى جرم بمجرد وقوعه فى أسر جاذبية جرم آخر .

(١) عبد الكريم الخطيب، جزء ١٩، صفحة ٩٧ .

المبحث الرابع

الضوء والنور والظلام

ونيرات السماء

(النجوم - الكواكب)

وحال الضياء فيها

المبحث الرابع

الضوء والنور والظلام ونيرات السماء (النجوم - الكواكب) وحال الضياء فيها

يقول الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[١] .

وجاء فى تفسير الجلالين : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ بالشمس والقمر .. مثل صنعته فى قلب المؤمن : ﴿ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾ أى كوة غير نافذة فى الجدار وهذه الكوة موضوع فيها مصباح وهذا المصباح موضوع فى زجاجة وهى القنديل من الزجاج الصافى.



وفسر بعضهم ذلك بمعنى أمبوبة فيها فتيل موقد فى وسط قنديل .. وهذه الزجاجة أو القنديل تشبه الكوكب الدرى فى لمعان وسطوع ضوئها .

وفسر بعضها ﴿ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ بمعنى أنها توجد فى مكان وسط لا تتعرض فيه لحر أو برد يضربها.

(١) سورة النور، آية رقم (٣٥) .

وفسرها بعضهم بأن ضياء الشمس لا يقع عليها من جهة دون أخرى ولا ينقطع عنها وبذلك ينضج زيتها ويصفو فيضئ لشدة صفائه دون أن تمسسه نار وينبعث منها أنوار بعضها فوق بعض.

ونحن نرى : أن المقصود هنا فى الآية فعلاً سقوط ضوء على جسم يعكسه (مثل الزجاج) ويعطيه بريق الدر تماماً مثل الكوكب الذى يعكس إلينا أشعة الشمس .

وهناك أربع إشارات فيزيائية فى هذا المثل الذى ضربه الله للنور هى: المشكاة – المصباح – الزجاجة – الشجرة المباركة وهناك من يرى أن طبيعة النور الفيزيائى فى هذه الآية ينطبق مع نور القمر وضياء الشمس وفى النهاية يأتي دور النور الروحى المعنوى كما جاء فى الحديث " نور الله سبعة آلاف طبقة من النور " .

وقوانين الفيزياء تؤكد : أن النور لا يرى إلا بنور أقوى منه .. وإذا كان النور الإلهى الذى تتناهى عنده الأنوار فكيف يرى مجرداً للعين ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾ [١] .

(١) **فالمشكاة** : لغوياً : الفجوة أو الكوة المظلمة فى الجدار غير نافذة، وهى بلغة أهل الحبشة إشارة إلى ظلام الفضاء الكونى حيث يوجد الشمس، والقمر مصدران أساسيان للضوء . وقيل : المشكاة ما يكون على رأسها المصباح والأول أصح وأشهر .

(٢) أما المصباح : فهو الفتيل يصعد منه لهب النار وهو قنديل من زجاج يزهو منه .. وفيه الضوء وهو جسم شفاف والمصباح فى زجاجة يشير إلى أن هذا المصباح هو القمر . وقد أحضر رواد الفضاء منه عينات كثيرة، منها صخور نارية متبلرة وأخرى بلورات زجاجية مختلفة .

---

(١) سورة التوبة، آية رقم (٣٢) .

(٣) والشجرة المباركة : قد تكون هنا إشارة للشمس، حيث تتفرع منها جميع أنواع الطاقات فى نظامنا الشمسى فهى مادة وطاقة .

ولعل التعبير القرآنى ﴿ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ ﴾(١) قد يشير إلى الشجرة المباركة وهى الشمس .. فالشمس تشبه الزيتونة فى كبد السماء لكنها لا شرقية ولا غربية .. ووقود الشمس المشار إليه هنا لزيت على سبيل الاستعارة لا يحترق مطلقاً فهو ينتج بالاندماج النووى وليس بالاحتراق .. فهو وقود لم تمسسه نار .

يقول الله تعالى : ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ (٢)

قال ابن عباس : بياض النهار من سواد الليل وهو المصباح إذا انفلق.

وقال أمية بن الصلت : " الأبيض ضوء الصبح منفلق .. والخيط الأسود لون الليل مكموم "

وقد ثبت فى صحيح مسلم عن عدى بن حاتم أنه قال : يا رسول الله إنى أجعل تحت وسادتى عقالين عقالاً أبيض وآخر أسود أعرف بهما الليل من النهار فقال الرسول ﷺ " إن وسادك لعريض إنما هو سواد الليل والنهار

ومن هذا الحديث يتبين لنا أن النهار هو من طلوع الفجر إلى الغروب وبه ترتبط وتتعلق الأحكام فى الصلاة والصوم كما جاء فيما قسم الله به .

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾(٣) والليل فى القرآن وقت للدعة والهدوء والسكون والليل والظلام من المترادفات اللفظية فى القرآن يحل أحدهما مكان الآخر .

---

(١) سورة الواقعة : آية رقم (٧٢) .
(٢) سورة البقرة، آية رقم (١٨٧) .
(٣) سورة الفجر، آية رقم (١، ٢) .

فالظلام من عناصر الصور الفنية التى رسمها القرآن لأهل الكفر والضلال[١]

قال تعالى : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾[٢] .



حددت الآية مساحة الصلوات الأربع فى الزمن من وقت الزوال إلى ظلمة الليل (الظهر - العصر - المغرب - والعشاء)

وهنا يأتى دور الشمس فى معرفة (التوقيت) عن طريق حركة الشمس الظاهرية أى موقع الشمس من الأرض .. ونظراً لدوران الأرض حول محورها فإن الأماكن التى تقع على نفس خط الطول يكون توقيتها المحلى واحداً وينطلق صوت الآذان للصلاة فى جميع المآذن فى لحظة واحدة .

قال ابن الأثير : " غسق غسوقاً إذا أظلم "، أما الزمخشرى فقال : " الغاسق هو الليل إذا أعتم " وقيل : إن الغسق هو ظلمة أول الليل وقيل هى الفترة التى تضئ فيها السماء بعد غروب الشمس .

---

(١) الليل والظلام فى القرآن، عبد الهادى الصافى – العدد ٣٧٣، الوعى الإسلامى، رمضان ١٤١٧هـ.
(٢) سورة الإسراء، آية رقم (٧٨) .

قال تعالى : ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾[1]، بمعنى أنه الجزء من الليل إذا غاب الشفق .

أما الشفق فهو الضوء الخافت الذى وشك على اللمعان قبل شروق الشمس وهما ظاهرتان يقف العلماء أمامهما كثيراً فهما من إعجاز القرآن .

وقد ورد لفظ النور وبعض مشتقاته فى آيات القرآن فى نحو خمسين آية فى اثنتين منها: بالمعنى الحسى لظاهرة النور وفى غالبها بالمعنى المعنوى للنور .

وانظر إلى دقة القرآن علميــاً فى قولَه تعالى :﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾[2]

وفى آيات أخرى سمى القرآن الشمس وضياءها الذاتى بالسراج الوهاج مما يلفت النظر فى أن هناك تفرقة توحى بوجود فرق بين طبيعة الشمس وطبيعة القمر .

فالقمر جسم معتم يعكس ما ينصب عليه من أشعة الشمس التى هى فى الأصل مصدر الضــوء والحــرارة .. ولهذا لم يذكــر القــرآن لفظ الضوء، غلا إذا كان صادراً من مصــدر حرارة كما فى قولَه : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾[4] .

---

(١) سورة الفلق، آية رقم (٣) .
(٢) سورة يونس، آية رقم (٥) .
(٣) سورة النور، آية رقم (٣٥) .
(٤) سورة البقرة، آية رقم (١٧) .

وقال تعالى: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ ﴾[١] فنرى أنه تعالى قال عن الضوء الحسى فى ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ ﴾، أى كلما أضاءت بالنار وقال فى الآية الأخرى كلما أضاء البرق لهم، فالضوء يصحبه دائماً حرارة ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾، أى يقرب زيتها من درجة الإضاءة ولو لم تمسسه نار لصفائه الشديد فالشمس ضياؤها سراج وهاج، لأنه متقد بلهب بهو ضياء ذاتى كما يحدث فى النار والبرق

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِ ﴾[٢] بمعنى الكواكب والمصابيح هى السراج ذات الفتيل .

وقال تعالى : ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾[٣] والسراج يطلق عادة على تلك الفتيلة المشتعلة فى إناء مملوء من الزيت، وقد استبدل الزيت بالشمس واصطلح على اتخاذ الشمعة وحدة تقاس بها المصابيح الكهربائية باعتبار الشمعة وحدة ضوئية

والخلاصة فى ذلك : أن القرآن قد استعمل لفظ الضياء .. أو أحد مشتقاتها للضوء الحسى الذاتى .. واستعمل دائماً لفظ النور للضوء الحسى المكتسب والمنعكس من سطوح الأجسام المظلمة بذاتها .. وجعل تعالى (النور) هو الضد والمقابل للظلمات، لأن الضوء المنعكس من سطوح الأجسام المظلمة هو الذى بيده ظلماتها دون الضوء الذى لا يقع عليها ولا ينعكس منها ولو كان قريباً منها .

كما أطلق تعالى لفظ (الضياء) مجازاً على رسالته المنزلة منه على

---

(١) سورة البقرة، آية رقم (٢٠) .
(٢) سورة الملك، آية رقم (٥) .
(٣) سورة النبأ، آية رقم (١٢، ١٣) .

الرسل قبل تبليغها للناس .. على حين أطلق عليها لفظ (النور) مجازاً بعد تبليغها للناس وبذلك يظهر إعجاز القرآن فى التمييز بين النور والضياء[١]

ولقد كان القرآن أول من أشار إلي أن الضوء هي تلك الظاهرة التى تؤثر فى أعصاب العين فتسبب إحساساً بالبصر، علماً بأن العرب عندما نزل عليهم القرآن لم يكونوا يفرقون بين الضياء والنور .. أو بين الكواكب والنجوم .

(١) حنفى أحمد – التفسير العلمى للآيات الكونية، ص ١٤٩ .

المبحث الخامس

النجـــوم

المبحث الخامس

النجوم

يقسم الله تعالى بالنجوم لعظم مواقعها وكسر من أسراره ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾[1]، فهى برغم ظهورها للعين نقاطاً ضوئية لامعة فى السماء إلا أنها شموس مثل شمسنا.

وتظهر هكذا لبعدها عنا بمسافات كبيرة، حيث أن أقرب نجم إلينا يبعد مسافة تزيد على ٤ سنوات ضوئية وهو نجم الشعرى اليمانية يطلع بعد الجوزاء فى شدة الحر وهى نجمة أكبر من الشمس أكثر من خمسمائة مرة ونورها خمسون ضعفاً لنور الشمس وهى ميل فى الدقيقة . كانت قبيلة (خزاعة) تعبدها فأعلم الله أنه رب معبودهم هذا وقال فى كتابه العزيز: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴾[2] .

وكلمة مواقع النجوم تبين المسافات بين هذه النجوم المختلفة، حيث تقاس بنظام التطور Parallax أى قياس ميل النجم على مستوى دوران الأرض حول الشمس.

وتوجد أدوات قياس كبيرة اخرى كالكيلو فرسخ (١٠٠٠) فرسخ والميجا فرسخ أى مليون فرسخ فمثلاً تبعد عنا مجموعة (قنطورس) بسبعمائة ألف سنة ضوئية .

وفى تفسير آية النجوم : قال ابن عباس المقصود من نجوم القرآن حيث نزل منجماً على مدار ٢٠ سنه او أكثر فلكل قطعة منها نجم .

بينما يجمع المفسرون : على أنها هى النجوم السيارة، أما مواقعها فهى ساقطة ومغاربها ومواضعها من السماء كما قيل قبل انكدارها .

---

(١) سورة الواقعة، آية رقم (٧٥، ٧٦).

(٢) سورة النجم، آية رقم (٤٩)

والنجوم فى نظر العلم أجسام متوهجة تشع ضوءاً وحرارة .. تتميز بخمس خصائص هى: (السطوع واللون ودرجة الحرارة - والطيف - والحجم) . وعددها لا يقع تحت حصر أكبرها الشعرى اليمانية وثلاث من بنات نعش تسمى: (مابا – والكترا – والسيون) يفقن .

ضوء الشمس نوراً وناراً الأولى بأربعمائة ضعف والثانية بأربعمائة وثمانين والثالثة بالف ضعف .

أما سهيل فهى أقوى من الشمس بألفي وخمسمائة مرة وكذلك نجوم المجرة الصغرى، أما السماك الراجح هو أسرع النجوم سيراً وأشدها تألقاً وأكبرها حجماً وتقدر سرعته بثلاثمائة وسبعين ميلاً فى الثانية ونوره ثمانية آلاف ضعف نور الشمس وحجمه ضعف حجمها[(١)] .

والشمس تتحرك بالنسبة للنجوم المحيطة بها بمعدل ١٢ ميلاً / ثانية متجهة نحو (المستقر) الذى يقع فى كوكبه الجاثى حوالى ١٠ إلى الجنوب الغربى من النجم اللامع المسمى النسر الواقع مصدقاً لقوله : ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[(٢)] .

ولقد انتهت نظريات العلماء إلى أن النجم يتكون من سحب وهذه بدورها مكونة من غاز الأيدروجين بنسبة كبيرة – تتجمع هذه الغازات بدورها وتتركز وتتألف ثم تنضغط وتدور على هيئة سحابة كثيفة حول محور ثابت بسرعة قد تصل إلى عشرة آلاف ميل فى الساعة الواحدة.

وبازدياد جاذبية مركز السحابة تزداد الكثافة شيئاً فشيئاً وبتواد من داخلها حرارة عالية داخل النجم الحديث فتزداد جاذبية أجزائه بالتدريج مع ازدياد سرعة دورانه وازدياد سمك انحنائه.

---

(١) الله والعلم الحديث – لنوفل، ص ٣٥ – ٣٦ .
(٢) سورة يس، آية رقم (٣٨)

وقسم العلماء دورة حياة أى نجم إلى: ميلاد – شباب – شيخوخة . ثم موت وذلك طبقاً للنظرية التى ظهرت عام ١٩٢٠.

وهذه النظرية تؤكد أن كل نجم يصل حتماً إلى مرحلة الشيخوخة (العملاق الأحمر) التى عندها لا يمكن للنجم توليد الطاقة من الاندماج النووى فينطفئ نوره تبعاً لذلك تدريجياً حتى يموت، جاء بذلك القرآن ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴾(٢)، فهاتان الآيتان تؤكدان أن جميع النجوم حتى الشمس سوف تتوقف قبل يوم القيامة .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾(٣) والطارق كل آت ليلاً غالباً وفجأة والمتحرك أيضاً (والثاقب).

قال الزمخشرى : كوكب يثقب الظلمة وقيل: الشديد اللمعان، والمستقرات العظمى كذلك أو هو النجم المضئ – الثريا .

كما يقول العلم : وهو النجم العاتى يمرق منطلقاً لا يلوى على شئ .. وهو حين يسرى وسط السحب المنتشرة حوله يحفر فيها نفقاً كبيراً وفراغاً هائلاً أضعاف حجمه، ومن ثم يسمى (بالنجم الثاقب) .. وكلما قلت السرعة النسبية له اتسع قطر النفق الذى يحفره فى الفضاء لكبر قطره ومن ثم يسمى (بالنجم الثاقب).

قال تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾(٤)، أى والنجم إذا تقلص وسقط مكوناته بالجاذبية الأرضية لينصغط إلى قزم أو نجم نيوترونى أو ثقب، وقد يكون المقصود بالنجم هو كوكب .

---

(١) سورة التكوير، آية رقم (٢) .
(٢) سورة المرسلات، آية رقم (٨)
(٣) سورة الطارق، آية رقم (١-٣) .
(٤) سورة النجم، آية رقم

الزهرة يسمى أحياناً (نجمة القمر) وقيل الزهرة أو الثريا أو الشعرى وهو المقصود بالنجم الذى هوى .

ويقول العلم : إن النجم نوعان : براق، وفوق البراق والأخير يبدو أكثر إضاءة وأعظم التهاباً وأعنف دوراناً وتدميراً، حتى أنه قيل أن أصل الأرض هو الشمس اصطدم بها نجم هائل فوق البراق قديماً وكانت الأرض إحدى القطع المتناثرة من أحشاء ذلك النجم فوق البراق وهى ما نسميها نظرية إيفون[١] .

ويدلل على صحتها ارتفاع درجة حرارة باطن الأرض وما تخرجه من حمم بركانية .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[٣]، وما يؤكد النجوم فى حياتنا ليلاً، فالإنسان كان ولا يزال يهتدى بالنجوم فى البر والبحر ليعرف مكانه وزمانه .

كما نشط العلماء ووضعوا جداول بحسابات دقيقة تبين مواقع النجوم المهمة لتكون مرشداً للمسافرين فى البر والبحر .. وفى رحلات الفضاء إلى الكواكب .

وقد ثبت أن النجوم الموجودة فى منطقة القطب تلف وتدور وترجع إلى مكانها فى كل ٢٤ ساعة تبعاً لدوران الأرض حول محورها أمام الشمس .

ومن عجائب الأمور حساب الوقت بالنجوم مسألة مهمة لمن يمارسها من البحارة ورجال القوافل الصحراوية ورجال البادية .

---

(١) الإعجاز للدكتور عبد العليم خضر، العلمى، ص ١٤٠ وما بعدها .
(٢) سورة الأنعام، آية رقم (٩٧) .
(٣) سورة النحل، آية رقم (١٦) .

ومن الحقائق العلمية : أن النجوم التى تقع فى القطب ترسم أقواساً فى مساراتها لتكتمل الدائرة وتعود إلى مواطنها الأصلى والزمن الذى تستغرقه النجوم لإكمال الدائرة ٢٤ ساعة أربع دقائق .

ومن حيث معرفة المكان فإن الأرض إذا اكتملت دورتها، فإن النجوم تمر مختلفة فى الفصول المختلفة من السنة وكل مجموعة لها شكل معين فى السماء تسمى كوكبة .

وقد اتخذت مجموعات النجوم العديد من الأسماء منها : النسر الطائر وهذه تظهر فى الصيف والردف والنسر الواقع – وفى الخريف يظهر منها الفرس الأعظم – ونجوم الثريا – وفى الشتاء تظهر مجموعة كوكبة الجبار ومجموعة ذات الكرسى والدب الأكبر والدب الأصغر الذى يمكن استخدامه كساعة سماوية لأنها هى والدب الأكبر من النجوم التى لا تغرب .

ومن نجوم السماء المعروفة فى الشرق العربى : الشعرى الشامية فى رحلتها فى الصيف إلى الشام وبالشعرى اليمنية فى رحلتها فى الشتاء ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ﴾ (١).

من ذلك يتبين أهمية دور النجوم فى حياة البشر :

ومن هنا فقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى أربع آيات فى أربع سور:

فى سورة النحل الآية (١٦)، فى سورة النجم الآية (١)، وفى سورة الرحمن الآية (٦) والطارق الآية (٣) .

كما وردت بلفظ : (النجوم) فى تسع آيات . فى تسع سور هى : الأنعام (٩٧)، والأعراف (٥٤)، والنحل (١٢)، الحج (١٨)، وسورة الصافات (٨٨)، والطور (٤٩)، والواقعة (٧٥)، والمرسلات (٨)، والتكوير (٣) .

---

(١) سورة قريش، آية رقم (١، ٢) .

فالنجوم أعظم شأناً من الكواكب ومواقعها ذات أهمية عظمى فى بناء السماوات وتماسكها بأربع قوى : قوتان مألوفتان هما : جاذبية القوى الهابطة والكهرومغناطيسية القوى الرافعة ثم القوتان النوويتان الأخريان واللتان يقتصر تأثيرهما داخل قلب الذرة وإحداهما شديدة والأخرى ضعيفة [١]، وهى جميعاً أعمدة غير مرئية [٢] .

والخلاصة : أن وصفه تعالى للنجم بالطارق، والثاقب فى آية واحدة يدل على أن النجوم نارية مضيئة بذاتها وخاصة العملاق منها وأيد ذلك بإشارات قوية بقوله : ﴿ لِتَهْتَدُواْ بِهَا ﴾[٣]، وقوله ﴿ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[٤] ما يؤكد أن ضياءها من ذاتها ووصفها بالطارق أى بالمتحرك ليلاً ونهاراً فى السماء وبأنها ترى ساكنة وأن بعدها سحيق عن الأرض مما يؤكد أن سكونها ظاهرى فقط لذلك جاء القسم بمواقع النجوم ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾[٥].

(١) الكون ذلك المجهول – جلال عبد الفتاح،، ص ١٢٣ .
(٢) الإسلام يتحدى / وحيد الدين خان، ص ١٩٨ .
(٣) سورة الأنعام، آية رقم (٩٧)
(٤) سورة النحل، آية رقم (١٦)
(٥) سورة الواقعة، آية رقم (٧٦ – ٧٨) .

المبحث السادس

السماء وزينة الكواكب

المبحث السادس

السماء وزينة الكواكب

ذكر القرآن الكواكب في خمس آيات منها :

يقول تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ [١] بمعنى : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ﴾ القريبة من الأرض ﴿ بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾، أي: بضوئها وخلقنا هذه الكواكب حفظاً للسماوات من كل شيطان متمرد .

وبما أن الزينة ليست صفة أصيلة للأجسام ومحلها دائماً سطوح الأجسام ولا تتناول باطنها وبما أنه قال ﴿ بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾ ولم يقل بالكواكب كما قال (وبالنجم) فيستدل من ذلك أن ضوء الكواكب الذى هو زينتها ليس من ذاتها وليس جزءاً منها بل عارض عليها، أى هو ضوء مكتسب ومعكوس منها .

هذه الآية إشارة قوية إلى أن الكواكب أجرام مظلمة تضئ بضياء غيرها (النجوم)

وفى آية أخرى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾[٢] ويقول: ﴿ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾[٣]، وهذا تأكيد للتشابه بين الضوءين المعكوسين بما يشير إلى وحدة طريقة حدوثهما وإن اختلف مكانهما.

حيث وصف ضوء الزجاجة الساطع المعكوس منها والشبيه بضوء

---

(١) سورة الصافات، آية رقم (٦، ٧) .

(٢) سورة الملك، آية رقم (٥)

(٣) سورة النور، آية رقم (٣٤) .

الكواكب الدرية بقوله بعد ذلك المتلألئ ﴿ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ فبين أن سطوع الضوءين سببه أن كلا منهما أنوار بعضها فوق بعض، فأثبت بذلك أن ضوء الكواكب الدرية نور أى ضوء مكتسب ومعكوس عليها .

وقال تعالى: ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾(١) بين القرآن أن القمر ليس من نوع الكواكب فى نشأته فأشار بذلك مقرراً أن النيرات المظلمة بذاتها فى السماء نوعان : الأول هو الكواكب، والثانى : هو قمر الأرض وما يوجد مثله .

والقمر من تخصيص معنى النور كتلة مظلمة وضوءه مكتسب ومعكوس منه .

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ ﴾(٢)، فقد كان قوم إبراهيم عليه السلام يعبدون الكواكب فأراد أن يرشدهم عن طريق النظر والاستدلال والمجاراة حتى أفل .



وقد أثبت العلم أن الكواكب السيارة أجرام سماوية غير ملتهبة ماعدا الشمس المتوهجة وهى تعكس ضوء الشمس الساقط عليها كما تعكس المرايا الضوء ولكن بدرجات متفاوتة تتوقف على طبيعة سطحها وتراكيب أغلفتها الجوية فتبدو للناظرين مضيئة.. وهذا ما يخالف الاعتقاد الذى كان سائداً

---

(١) سورة يوسف، آية رقم (٤) .

(٢) سورة الأنعام، آية رقم (٧٦) .

إلـــى عهد قريب بان للكواكب إضاءة ذاتية فقد ثبت أنها لا تشع ضوءاً ولا حرارة من نفسها .

وقد سمى الإغريق هذه الكواكب باسم (بلانيبت)[١]، أى المتجولات تمييزاً لها عن (النجوم) التى تبدو ثابتة فى كبد السماء لفرط بعدها عنا .

والكوكب جرم سماوى كروى تقريباً يدور حول الشمس فى فلك خاص بيضاوى الشكل وهناك مئات الكواكب ولكن أكبرها تسعة منها .

وهذه الكواكب هى على الترتيب بالبعد عن الشمس من الأقرب للأقصى: عطارد – الزهرة – الأرض – المريخ – المشترى – زحل – أورانوس – نيبتون – بلوتو . ثم الكويكبات : وهى مجموعة من عدة سيارات تقع بين المريخ والمشترى ويقدر عددها بحوالى ١٥٠٠ كويكب او أكثر .. ويبلغ قطر أكبرها ٨٠٠ كم، بينما يصل قطر أصغرها إلى أقل من ١٠ كم ولا يزيد وزن هذه المجموعة برمتها على ٠,٠٠٢ من وأن الأرض ولذلك جاء قولَه بالجمع (وكل فى فلك يسبحون)[٢] .

وقد اكتشف كوكب عاشر عام ١٩٧٢م ثم آخر فى الفضاء الواقع بين المريخ وزحل ,وهكذا كان مجموع الكواكب ﴿ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ مصـــداقاً لرؤيا يوسف عليه السلام وللآية ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾[٣].

والآن يبلغ قطر المجموعة الشمسية خمس ساعات ضوئية وأصغر هذه الكواكب من المجموعة الشمسية هو عطارد والزهرة والأرض والمريخ وهى مؤلفة من مواد متشابهة .

وتعتبر الأرض وعطارد أكثر كثافة من المريخ والزهرة ثم تأتى

(١) كيف ترقب السماء / ترجمة جمال الفندى، ص ٧٥ .
(٢) سورة يس، آية رقم (٤٠) .
(٣) سورة الذاريات، آية رقم (٤٧) .

الكويكبات الرئيسية وبعدها الكواكب الكبرى الأربعة وهى المشترى وزحل وأورانوس ونيبتون وهى مركبة من غازات وسوائل ولها أجواء كثيفة جداً كتلتها كبيرة جداً إلى حد جعلها تحتفظ بالكثير من هيدروجينها .

قال تعالى : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴾(١)، فالخنس هى التى تختفى بضوء الشمس وقيل : الخنس بمعنى بقر الوحش من خنس الأنف والكنس من سكناها فى كناسها الوحش إذا دخل كناسه وهو موضعه والمراد (بالجوارى الكنس) الدرارى الخمس وقيل: السبعة وقيل: التسعة إذ أنها تكنس فى جريها إلى أبراجها .

قال تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ﴾(٢)، ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴾(٣)، والانفطار والانشقاق بمعنى حدوث شقوق أو فرجات فى الشئ ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴾(٤)، ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴾(٥)، والانتثار هو الرمى بالشئ مع تفريقه .

والتكوير يشمل إلقاء الشئ ثم اجتماعه على نفسه والالتفاف على جهة الاستدارة .

وانطماس الشئ معناه إزالة أثره ومعالمه مع ذهاب ضيائه .. وكل هذا حادث يوم القيامة .

وبعد، لقد وضحت هذه الآيات اختلاف النجوم عن الكواكب فى التكوين والصفات إذ أن النجوم يوم القيامة تتكور وتتكدر وتنطمس وهذا (يرجح) أنها أجرام مضيئة بذاتها ملتهبة على حين أن الكواكب تنتثر فحسب، وهذا يرجح أنها أجرام مظلمة جامدة .

---

(١) سورة التكوير، آية رقم (١٥، ١٦)
(٢) سورة الانفطار، آية رقم (١، ٢) .
(٣) سورة الانشقاق، آية رقم (١) .
(٤) سورة التكوير، آية رقم (١، ٢)
(٥) سورة المرسلات، آية رقم (٨) .

المبحث السابع

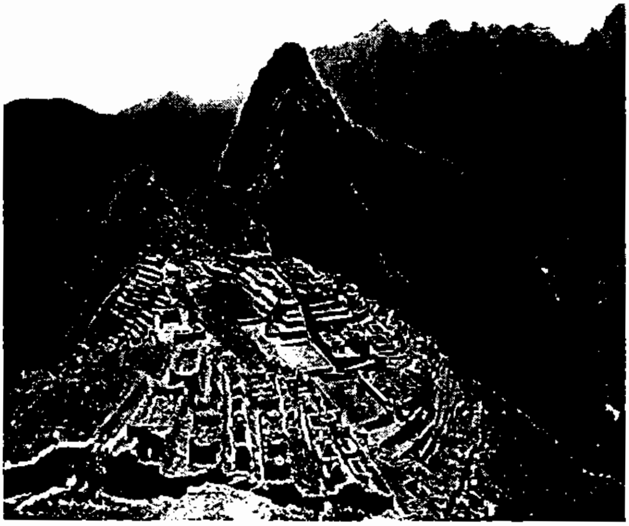
(وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر)

المطلب الأول

أقوال بعض المفسرين للآية الكريمة

أولاً : أقوال بعض المفسرين للآية :

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(١).



قال ابن كثير فى تفسير هذه الآية فى قولَه : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا ﴾ قال قتادة : يعنى الشجر ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا ﴾ أى حصوناً ومعاقل، ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ وهى الثياب من القطن والكتان والصوف. ﴿ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾ كالدروع من الحديد المصفح والزرد وغير ذلك، ﴿ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ ﴾ أى هكذا يجعل لكم ما تستعينون به على أمركم وما تحتاجون إليه ليكون عوناً لكم على طاعته وعبادته .

(١) سورة النحل، آية رقم (٨١ – ٨٣)

﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ هكذا فسره الجمهور، وقرءوه بكسر اللام من (تلسمون) أى من الإسلام[١].

وقال صاحب الجلالين: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ﴾ من البيوت والشجر والغمام ﴿ ظِلَٰلًا ﴾ جمع ظل تقيكم حر الشمس[٢].

وقال ابن جعفر العسقلانى: ﴿ سَرَٰبِيلَ ﴾ قميص ﴿ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾[٣] وقال الشوكانى ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ ﴾ جمع سربال، وهى القمصان، والثياب من الصوف والقطن والكتان وغيرها[٤]

قال الزجاج : كل ما لبسته فهو سربال، ومعنى ﴿ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ تدفع عنكم ضرر الحر[٥] (وهذا التفسير الأبلغ لمعانى الآية)

---

(١) جامع البيان عن تأويل آى القرآن للطبرى – أبو جعفر محمد بن جرير، ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م، دار الفكر، بيروت.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى – دار إحياء التراث العربى ببيروت .

(٣) تفسير الجلالين .

(٤) فتح القدير – محمد بن على الشوكانى، دار الفكر ببيروت، ١٩٨٣هـ .

(٥) فتح القدير

المطلب الثاني

الملابس نعمة وفقدها عقوبة:

ولا شك أن من يرتدى الملابس التى أمرنا بارتدائها وانعم الله علينا بها بنية طاعة الله وحده واتباع أوامره واجتناب نواهيه فإنه – برحمة من الله وفضله – سوف ينجو من حر النار بإذن الله تعالى، فقد وعدنا ربنا ووعده الحق فقال : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[2]، أى من عمل بما أمره الله ورسوله وترك ما نهاه الله عنه ورسوله فغن الله ﷻ يسكنه دار كرامته ويجعله مرافقاً للأنبياء ثم لمن بعدهم فى الرتبة وهم الصديقون ثم الشهداء ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم ثم أثنى عليهم تعالى فقال: ﴿ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[3]

يتضح لكل ذى عقل أن الملابس إنما هى من نعم الله علينا التى يجب أن نحسن استخدامها كما أمرنا ربنا ﷻ .

ومما يدل على ذلك أن الله قد عاقب آدم ؑ وزوجته حواء بفقد هذه النعمة كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ

(١) سورة النساء، آية رقم (١٣-١٤) .

(٢) سورة النساء، آية رقم (٦٩) .

(٣) تفسير ابن كثير : دار المعرفة، بيروت.

أنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[١] .

وقال مجاهد : جعل يخصفان عليهما من ورق الجنة، قال : كهيئة الثوب[٢] .

وقال الله تعالى أيضاً : ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٣] .

يحذر تعالى بنى آدم من إبليس وقبيله، مبيناً لهم عداوته القديمة لأبى البشر آدم عليه السلام فى سعيه وفى إخراجه من الجنة التى هى دار النعيم إلى دار التعب والعناء، والتسبب فى هتك عورته بعد ما كانت مستورة عنه، وما هذا إلا عن عداوة أكيدة، وهذا كقوله تعالى: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾[٤] .

وهناك بشرى حديثة للملتزمات بالحجاب الشرعى . قال البروفيسور كمال ملكر رئيس مركز الأميرة نورة بنت عبد الرحمن بن فيصل آل سعود للأورام بالحرس الوطني بجدة أن معدل حدوث سرطان البلعوم الأنفى فى الأطفال والمراهقين وكذلك البالغين يختلف حسب درجة تفشى المرض فى كل منطقة، واعتبر أن تغطية الإناث السعوديات للوجه ابتداء من سن البلوغ يساعد بإذن الله على حمايتهن من سرطان البلعوم الأنفى وقد شرح ذلك بالتفصيل فى مقاله .

---

(١) سورة الأعراف، آية رقم (٢٢، ٢٣)
(٢) تفسير ابن كثير: دار المعرفة، بيروت .
(٣) سورة الأعراف : الآية رقم (٢٧)
(٤) سورة الكهف : آية رقم (٥٠) .

المطلب الثالث

علماء المسلمين يتنبئون بحدوث السرطان :

ذكر بن القيم فى الطب النبوى ما يلى: والنوم فى الشمس يثير الداء الدفين، ونوم الإنسان بعضه فى الشمس وبعضه فى الظل ردئ، وقد روى أبو داود فى سننه من حديث أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : (إذا كان أحدكم فى الشمس فقلص عنه الظل، فصار بعضه فى الشمس وبعضه فى الظل فليقم)[١].

وروى عن عمر ابن الخطاب ﷺ قال : (لا تطيلوا الجلوس فى الشمس فإنها تغير اللون، وتقيض الجلد، وتبلى الثوب وتبث الداء الدفين) رواه أبو داود عن أبى هريرة .

وقال ابن الجوزى : النوم فى الشمس فى الصيف يحرك الداء الدفين[٢] .

وقال الإمام علة الرضا : (وليحذر الجلوس فى الشمس)[٣].

وقال الحارث بن كلدة وكان أطب العرب : الشمس تتقل الريح وتبلى الثوب وتخرج الداء الدفين . والداء الدفين إن لم يكن هو السرطان فما هو ؟

حيث أن الخلايا السرطانية دائمة التكون فى أجسامنا ولكن يقضى عليها أول بأول من خلال خلايا جهاز المناعة الأكولة أو الليمفاوية القاتلة، فإذا دمرت هذه الخلايا بالأشعة فوق البنفسجية ترعرعت الخلايا السرطانية وتجمعت فى صورة ورم سرطانى واضع للعيان بعدما كان دفينا ومخفيا .

---

(١) رواه أبو داود

(٢) رواه أبو داود عن أبي هريرة.

(٣) الإمام على الرضا ورسالته فى الطب النبوى – محمد على البار، صفحة ١٩٣، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م طبعة الدار السعودية.

وقد رجح الدكتور محمد على البار أن يكون الداء الدفين هو السرطان، فى تعليقة على رسالة الإمام على الرضا فى الطب النبوى . والله أعلم.

وتذكر الآية الكريمة حقيقتين :ـ

الأولى: هناك أخطار محدقة بالإنسان عند التعرض لحرارة الشمس .

الثانية : ضرورة ارتداء الملابس الساترة لكل الجسد والعبر عنها بالسرابيل للوقاية من هذه الأخطار. وهذا ما أثبته العلم يقينا.

وذكر الله تعالى الظلال والجبال والملابس والدروع وقال عنها أنها نعم تستحق شكرها، وقد خص الملابس بفائدة الوقاية من الحر فى زمن لم تعرف فيه هذه الأمراض التى تنتج عن التعرض لأشعة الشمس الحارة دون حائل؛ والتى تحوى الأشعة فوق البنفسجية غير المرئية والتى تسبب سرطانات الجلد المختلفة، والتى يمكن أن تنتشر بسرعة إلى جميع أعضاء الجسم الداخلية ؛ فتكون سببا فى هلاك الإنسان، خصوصا مع تدمير خلايا جهاز المناعة المنتشرة فى الجلد . ولم تكتشف مسببات هذه الأمراض الخطيرة ألا فى القرن الأخير فقط بعد تقدم وسائل الفحص والتشخيص.

وقد تبين أن الوقاية من هذه الأمراض هو خير علاج لها ؛ وذلك بارتداء الملابس الساترة للجسد لذا كان التعبير القرآنى فى قوله تعالى : وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر تعبير معجز حقا حيث ثبت أن الملابس تعكي وتشتت موجات الأشعة فوق البنفسجية الضارة فتقى الإنسان من الهلاك.

وبذلك يتبين لنا ولكل ذى لب أن القرآن الكريم حق وهو من عند الله العليم الخبير، وأنه يجب علينا أن ننهل من هذا المعين الذى لا ينضب ونبحث فيه عن كنوز العلم النافع، وأن نعلم أن كل ما شرعة الله لنا من فرض الحجاب الشرعى للمرأة، وارتداء الرجال اللباس الساتر، إنما هو

خير لنا فى الدنيا لحفظ حياتنا من الأمراض المهلكة، وخير لنا فى الآخرة للنجاة من عذاب النار، كما قال تعالى ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾[1] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) سورة التوبة : آية رقم (٨١) .

الفصل الخامس

نماذج من الحقائق العلمية المناخية المعاصرة في ضوء القرآن الكريم

المبحث الأول: وجعلنا من الماء كل شئ حى.

المبحث الثانى : الرياح:

المطلب الأول: أنواع الرياح

المطلب الثانى: السحاب والمطر

المطلب الثالث: أسرار السحاب

المبحث الثالث:

المطلب الأول: ظلمات البحار العميقة وحركة الأمواج الداخلية.

المطلب الثانى: موج من فوقه موج.

المبحث الأول

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾

(الأنبياء : ٣٠)

المبحث الأول

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾

جاء ذكر الماء فى آيات الكتاب الكريم بالمعنى الذى نعرفه ٥٩ مرة بين فيه الحق ﷻ عظم الحاجة إليه لأهميته للكائنات الحية ليذكرنا الله تعالى بأصل الخلق وبدايته فقال سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾(١).

وقال ﷻ : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ﴾(٢)

وقال جل من قائل: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾(٣)

والماء سر من أسرار الخالق العظيم، منه خلق الإنسان والحيوان والنبات وبدونه لا تستقيم الحياة؛ فالإنسان وهو سيد المخلوقات على الأرض خلق من ماء مهين – وهى النطفة – وجسم الإنسان يحتوى على نسبة كبيرة



من الماء تبلغ حوالي ٥٥ على ٧٠% من وزن الجسم وتقل نسبة الماء فى السيدات والأشخاص المفرطين فى السمنة، وتكون مرتفعة فى الأطفال حديثي الولادة ثم تنخفض كلما زاد السن .

(١) سورة الأنبياء آيه رقم ٣٠ .
(٢) سورة النور آية رقم ٤٥ .
(٣) سورة الفرقان : آية رقم ٥٤ .

والماء الموجود فى جسم الإنسان لا يكون على الصورة التى تشربه بها ولكنه يدخل فى تكوين الخلايا بجميع أنواعها ويكون سوائل الجسم المختلفة كالدم والسوائل خارج الخلايا، ويتكون منه البول . وإذا تعرض الجسم لفقدان كمية كبيرة من السوائل فجأة، فإن ذلك يضر بالجسم ضررا بالغا جدا ويلاحظ ذلك بوضوح فى النزلات المعوية فى الأطفال حديثي الولادة نظرا لاحتواء أجسامهم على كمية كبيرة من الماء[1]

يقول تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[2]

ويقول المفسرون : ﴿ يُزْجِي ﴾: أي : يدفع ويحرك ويسوق على مهل وبرفق السحاب من مكان إلى مكان على حيث يريد وهذه هي الخطوة الأولى فى تكوين السحاب الركامى .

﴿ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ﴾ ومرحلة التأليف هذه هي المرحلة الثانية وهي بمعنى: أن يضم إلى بعض حتى التجاذب بينها نظرا لاختلاف شحناتها الكهربية .

﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا ﴾، أي متراكما فوق بعض وهذه هي المرحلة الثالثة .. مما يهيئ الفرصة لسقوط المطر .

﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ بمعنى : أن نرى المطر يخرج من خلال السحاب من فتوقه ومخارجه كما يقول ابن كثير والقرطبي . وقوله : "وينزل من السماء من جبال فيها من برد" التفات إلى نزول البرد وهو قطع متجمدة من الماء من جبال السحب المتراكمة فى السماء

---

(١) مجلة منبر الإسلام – صفحة ٥٤، جمادى الأولى ١٤٢٤هـ، العدد ٥، السنة ١٩٦٢.

(٢) سورة النور آية رقم ٤٣ .

﴿ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ﴾ بقدر الله وحكمته المحسوبة فيقع بمشيئته حيث أراد الله تعالى أن يقع .

- ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ فالبرق يكاد يذهب بالأبصار من فرط إضاءته وسرعة وروده .

يقول تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ ﴾[١]

قال المفسرون: أي : فتهيج . تحرك بعد أن كان ساكنا والمقصود بإثارة السحاب لإظهاره بعد إخفائه "فيبسطه" أي ينشره متصلا ببعضه البعض "في السماء"بمقتضى حكمته ﴿ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا ﴾ جمع كسفه وهي القطعة والمعنى يجمعه ويجعله قطعا متفرقة كبيرة ﴿ فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ ﴾[٢]، أي يخرج المطر والقطر من فتوقه .

وفى الآية توضيح لأنواع السحاب، فمنه ما يكون متصلا ومنه ما يكون منقطعا[٣] ﴿ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾[٤] لتوقعهم ما يجئ على أثره من الخير والبركة .

قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا ﴾[٥]

والمعنى لا يختلف كثيرا عما سبق والمناسبة قدرة الله على إحياء الموتى يوم النشور كما هو قادر على إحياء الأرض الميتة وإخراج النبات منها.

---

(١) سورة الروم آية رقم ٤٨ .
(٢) سورة الروم آية رقم ٤٨ .
(٣) تفسير الآيات الكونية، عبد المنعم عشرى، صفحة ٧٣ .
(٤) سورة الروم آية رقم ٤٨ .
(٥) سورة فاطر آية رقم ٨ .

عن أبي رزين قال : قلت : يا رسول الله كيــف يحيى الله الموتى ؟، وما آيــة ذلك فى خلقه ؟

قال ﷺ : "يا أبا رزين أما مررت بوادي قومك ممحلا، ثم مررت به يهتز خضرا ؟" قلت : بلي .. قال " فكذلك يحيى الله الموتى"(١)

وإرسال الرياح فى الآية: إطلاقها وظهور السحاب فى مكان إلى مكان "فأحيينا به الأرض بعد موتها" فالمطر ينزل على الأرض الجدباء فتدب الحياة كذلك إحياء الموتى.

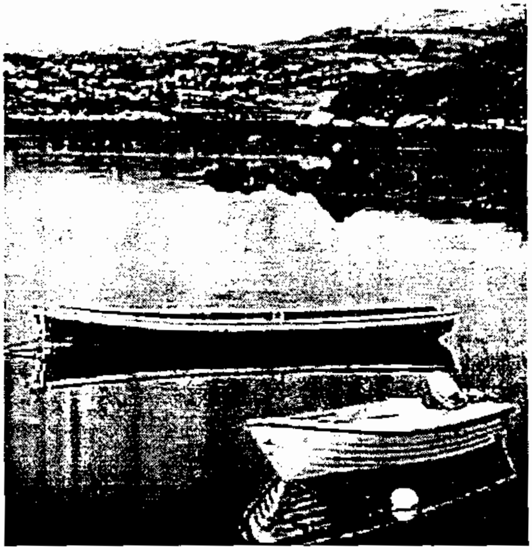
ويقول تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ ﴾(٢) .

قال المفسرون : إن الله يرسل الرياح مبشرات برحمته بقدوم المطر والغيث، والبشرى هي النبأ السار "حتى إذا أقلت" أي : حملت الرياح السحاب ودفعته "سحابا ثقالا" مثقلة بالماء "سقناه لبلد ميت" واللام بمعنى من أجل والمعنى سقناه لأجل بلد ميت ليس فيه حياة نسقيه "فأنزلنا به الماء" اختلفوا فى الضمير (به) علام يعود ؟ جائز أن يكون فأنزلنا بالبلد الماء وجائز أن يكون فأنزلنا بالسحاب الماء لأن السحاب آلة إنزال المطر والماء

قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٣) .

---

(١) تخريج
(٢) سورة الأعراف آية رقم ٥٧ .
(٣) سورة البقرة آية رقم ١٦٤



أوضح المفسرين : "وبث فيها" أي : فرق ونشر فيها "من كل دابة " كل ما يدب على الأرض ويشمل جميع الحيوان .. "وتصريف الرياح" بمعنى : توجيهها وتحويلها من حال إلى حال " والسحاب المسخر" التسخير التذليل لإرادة الله وتوجه بالعمل إلى الغاية المختصة .

يقول سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴾[١]، أي عذبا زلالا من السحاب . أو أنبعه من عيون الأرض [٢] .

قال تعالى: ﴿ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾[٣]

يقول المفسرون : المزن جمع مزنه ومعناها السحاب الثقيل بالماء ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ﴾[٤] أي : ملحا زحافا أو مرا لا يمكن شربه بدلا من وجوده عذبا الآن .

---

(١) سورة المرسلات آية رقم ٢٧

(٢) تفسير ابن كثير جزء ٤٥٧/٤

(٣) سورة الواقعة آية رقم ١٨-٣٠ .

(٤) سورة الواقعة آية رقد ٧

قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ﴾(١) .

يقول المفسرون : عند لمعان البرق يخاف وقوع الصواعق لكنه يطمع فى نزول الغيث حينئذ أيضا "السحاب الثقال" سحاب كثيف قاتم حوافه مهلهلة ليس له شكل معين ينهمر منه المطر يصفه مستمرة والرعد يسحبه وينزهه ويقدسه ويرسل الصواعق فيهلك بها من يشاء إما بالعذاب أو بها أو بهما معا.

قال تعالى : ﴿ ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾(٢)

يقول المفسرون : لواقح : جمع لاقح .

من لقحت الريح (اللازمة غير المتعدية) إذا حملت الماء أو جمع (ملقح) من ألقح (المتعدية) يقال ألقح الناقة، أي ألقى الفحل فيها الماء فحملت .. وهذا يناظر ما يحدث عند تلقيح الرياح للسحاب بإمداده بالماء فكأن الرياح جارية مجري الفحل للسحاب، فهي تلقحه حيث تمده بالماء ونوى التكاثف والعرب تقول : لا تلقح السحاب إلا من رياح مختلفة .

وللزمخشرى فى ذلك قولان :

أحدهما : أن الريح لاقح إذا جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر وإلا فهي ريح عقيم .

والثاني: أن اللواقح يعنى ملاقح .

---

(١) سورة الرعد آية رقم ١٢، ١٣ .

(٢) سورة الحجر : آية رقم ٢٢ .

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله كان إذا عصـفت ريح قال : "اللهم أنى أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشـر ما أرسلت به"[١].

وابن عباس يرى : أن الرياح تلقح السحاب والشجر "فأنزلنا من السماء ماء"

والمقصود بالسماء السحاب هنا السحاب لأنه يعلو الأرض (فأسقيناكموه)، أي لشربكم وشرب إنعامكم (وما انتم بخازين) إشارة إلى ان ماء المطر سيعود حتما للبحار والهواء ثم السحاب فى دورة مائية مستمرة تحركها حرارة الشمس والضغط الجوى والرياح .

يقول تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾[٢] .

يقول المفسرون : كلمة (سكن) تعنى الهدوء والاستقرار، وهذا أفضل وصف للمياه الجوفية فى الأعماق المظلمة للأرض .

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[٣] ومعنى (سلكه)، أي أدخله وجعله يمضى (ينابيع) والينابيع هي الممرات المائية والقنوات فى باطن الأرض.

يقول تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴾[٤]، حيث يقسم الله بالسماء التى ترجع وتعيد للأرض ما يصعد من بحارها ومحيطاتها من بخار الماء الذي يتجمع مكونا سحبا تتكاثف ويعود إلى

(١) تخريج
(٢) سورة المؤمنون آية رقم ١٨ .
(٣) سورة الزمر آية رقم ٢١ .
(٤) سورة الطارق آية رقم ١١، ١٢ .

الأرض ساقطا على هيئة أمطار غزيرة مرة أخرى فى دورة مائية مستمرة.

كما اقسم الله سبحانه بالأرض ذات الصدع التى تتشقق فتخرج منها المياه الجوفية[١] .

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ﴾[٢] وبهذا تستقر كمية المياه على الأرض فى توازن لا تزيد ولا تنقص باستمرار الدورة.

---

(١) الكون والإعجاز العلمي، دكتور / حسب النبى، صفحة ١٩٢ .

(٢) سورة البقرة آية رقم ٧٤ .

المبحث الثانى

المطلب الأول: أنواع الرياح.

المطلب الثانى: السحاب والمطر.

المطلب الثالث: أسرار السحاب

المبحث الثانى

وينقسم إلى مطلبين :-

المطلب الأول

أنـــواع الريـــــاح

أولا : وجوب رد فهم متشابه القرآن إلى الله :

تتعدد أنواع الريح فى التراث الإسلامي وفقا لاتجاه حركتها : فهى الصبا إذا هبت من تجاه القبلة إلى سمتها، وهى الدبور إذا جاءت من وراء القبلة إلى اتجاه الكعبة، وريح الجنوب تهب من يمين القبلة متجهة إلى يسارها، وهى ريح الشـمال إذا هبت من يسار القبلـة إلى يمينها، والصبا حارة يابسة، والدبور باردة رطبة، وريح الشـمال باردة يابسة، والريح النكباء هى كل ريح تهب بين ريحين، وحكمـها حكم الريح التى تكون فى هبوبها أقرب إلى مكان .

وتشير سور الذاريات والمرسلات والنازعات إلى ثلاثة وجوه من أنشطة الرياح، ففى الذاريات حديث عن الرياح الطيبة ودورها فى تكوين السحب وإنزال المطر، وفى المرسلات حديث عن الريح المسببة للعواصف الشائعة وخاصة الترابية منها، وأثرها فى تغيير معالم سطح الأرض، وفى النازعات حديث عن الإعصار أو النكباء .

والمتأمل فى كل سورة من السور الثلاث على حدة يجد شيئين : أولهما اختلاف فهم المفسرين لبعض مفردات السورة واتفاقهم على بعض المفردات، وثانيهما أوجه إعجاز علمى لم يكشف عنه العلم إلا حديثا .

قولة تعالى فى سورة الذاريات والمرسلات والنازعات : ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ

ذَرْوًا ۝ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴾[1] .

﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾[2] .

﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ۝ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾[3]

فى الآيات السابقة أقسم الله بالرياح التى تأتى رخاء طيبا أو تأتى دمارا مهلكة، ثم أقسم بعد ذلك بالملائكة .

وقد ورد فى التفاسير للآيات السابقة أن الذاريات هى الريح، والحاملات هى السحاب والجاريات : السفن وقيل النجوم، والمقسمات : الملائكة، وقيل الرسل، وقيل ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴾ الرياح التى أرسلت متتابعة، وقيل أيضا السحاب .

أما ﴿ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴾ فهى الرياح بغير اختلاف، وقيل فى تفسيرها أيضا إنها الملائكة الموكلون بالرياح أو بعصف روح الكافر، وقيل إنها الآيات المهلكة كالزلازل والخسوف .

والمتأمل للآيات الكونية التى تذكر فى القرآن الكريم يلاحظ أنه كلما تعددت تفاسير اللفظة الواحدة كان هناك إعجاز خفى، وكان المجال خصبا للتأويل .

وأيضا تعددت تفاسير قولة تعالى ﴿ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴾ من أهنها الملائكة الموكلة بالسحب فينشروها، والرياح التى يرسلها الله نشرا للسحاب، والأمطار تنشر النبات، وما ينشر من الكتب وأعمال العباد، والبعث تنشر فيه الأرواح .

(١) سورة الذاريات آية رقم ١، ٤
(٢) سورة المرسلات آية رقم ١، ٥
(٣) سورة النازعات آية رقم ١ – ٥

أما ﴿ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴾ فهناك اتفاق على أنها الملائكة تفرق بين الحق والباطل، أو تفرق بين الرزق والآجال والأقوات، وقيل الرياح تفرق بين السحاب وتبدده، وقيل الفرقان، وقيل الرسل . أما ﴿ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾ فهى الملائكة بإجماع وقيل الرسل .

وتتعدد التفسيرات أيضا بالنسبة لآيات النازعات، ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴾ الملائكة تنزع أرواح بنى أدم، وقيل أنفس الكفار وقيل الموت . وقيل عن ﴿ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴾ الملائكة، وقيل النجوم، وقيل السفن، وقيل انفس المؤمنين، وقيل الموت، وقيل الوحش، وقيل النفوس . وكذلك الحال بالنسبة ﴿ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴾ : " الملائكة، أو النجوم، أو السفن أو أرواح المؤمنين "المدبرات أمرا " : هم الملائكة .

ونؤكد على أن السؤال عن تعدد المعانى للفظة الواحدة أو التساؤل عن مشكل القرآن يجب أن يكون من باب التفقه، هكذا يجب أن يكون سمت العلماء الربانيين لأن علم التأويل لله، ويلزم على العالم أن يضع نصب عينيه قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1]

١٨

(١) سورة آل عمران آية رقم ٧

جدول مقياس بوفورت

عن الأرصاد الجوية مع التقسيم القرآني

سعيتها	مظاهر على اليابسة	مظاهرها على سطح البحر	ضغطها كغم لكل متر مربع	سرعتها متر / الثانية	وصفها فى القرآن	السند القرآني
ساكنة	يتصاعد الدخان عموديا	ينمو البحر كالمرآة	صفر	صفر	ساكنه	(إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره) [الشورى٣٣]
نسيم خفيف	يشعر الإنسان بحركة الريح على وجهه تدور المروحة	مويجات صغيرة	٠,٦ إلى ٢,٥		رخاء	(فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب) [ص٣٦]
نسيم لطيف	تتحرك أوراق الأشجار والأعلام الصغيرة	مويجات كبيرة	.	٤,٤	طيبة	(حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة) [يونس ٢٢]
نسيم معتدل	يثار الغبار وترفرف الأعلام	تكبر الأمواج الصغيرة	٤	٦,٧	طيبة	(حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة) [يونس ٢٢]
نسيم نشيط	تهتز الأشجار الصغيرة	تكبر الأمواج المعتدلة	٥	٩,٣	مبشرات لواقح	(وأرسلنا الرياح لواقح) [الحجر٢٢] (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته) [الروم ٤٦]

نسيم قوى شديد	تتحرك أغصان الاشجار	تكبر الأمواج الكبيرة مظاهرها على سطح	٩	١٢,٤	شديدة	(كرماد اشــ ت به الريح فى يوم عاصف) [إبراهيم ١٨]
عاصفة معتدلة سميتها	تهتز الأشجار بأكملها	يعلو الموج ويزيد	١٤	١٥,٥	قاصف	(فيرسل عليكم قاصفا من الريح) [الإسراء ٦٩]
عاصفة ناهضة سميتها	تتكسر الأغصان الصغيرة	تعلو الأمواج	٢٠	١٨,٩	عاصف	(فيرسل عليكم قاصفا من الريح) [الإسراء ٦٩]
عاصفة شديدة سميتها	تتلف بعض المنشآت	أمواج عالية ورذاذ البحر قد يؤثر على مدى الرؤية	٢٧	٢٢,٦	عاصف	(جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان) [يونس٢٢]
عاصفة هوجاء سميتها	تقلع الأشجار وتهد المبانى	أمواج عالية جدا تتقوس أعاليها فتؤثر على مدى	٤٠	٢٦,٦	عاصف	(ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره) [الأنبياء٢٢]
زوبعة سميتها	تتلف مساحات شاسعة	أمواج عالية قد تخفى السفن الصغيرة وزيد	٥٠	٣٠,٥	عاتية	(وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية) [الحاقة٦]
اعصار سميتها	يندر حدوثه فى غير البحر	الهواء ممتلئ بالزبد والرزاز وتضعف الرؤية	٦٠	٣٤,٨	عاتية	(وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية) [الحاقة٦]

ثانيا : حقيقة علمية عن الرياح فى آيات الذاريات:

وللتكرار نفع كثير، فنحن هنا نلتمس العلم فى القرآن، ونثبت العلم بالقران لننال شرف خدمة القرآن، وليس مرادنا أن نثبت القرآن بالعلم لأن العلم قاصر وعاجز وقليل فى مقابلة كتاب الله الذى لا يخلق على كثرة ولا يشبع منه العلماء وتلك مقدمة لابد منها، ونضيف إلى ذلك قاعدة هامة ذكرها د. محمد احمد الغمراوى – رحمة الله – ولا ينبغى فهم الايات الكونية من القرآن الكريم أن نعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا اذا قامت القرائن الواضحة تمنع من الحقيقة اللفظ وتحمل على مجازه، ويذكر الإمام محمد مصطفى المراغى[١] أنه "يجب ألا نجر الآية إلى العلوم كي نفسرها ولا العلوم إلى الآية، ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناه بها، ونزيد أن القرآن أتى بأصول عامة لكل ما يهم الإنسان، وترك الباب مفتوحا لأهل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفة ليبينوا الناس جزئياتها، وعلى هذا فإن أهم ما يجب آن يتميز به التفسير فى العصر الحديث أن يجمع بين العقل والعلم من جهة، وبين الهدى والرشاد من جهة أخرى . ونسوق حديثين نبويين يفسران مفردات آيات صدر سورة الذاريات.

فقد روى عن سعيد بن المسيب قال : جاء صبيغ التميمى إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴾ فقال ﷺ: هى الرياح، ولولا أنى سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته . قال : فأخبرني عن ﴿ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ﴾ فقال ﷺ: الملائكة، ولولا أنى سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته . قال فاخبرني عن ﴿ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ﴾ قال ﷺ: هى السفن، ولولا أنى سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته[٢] .

---

(١) مجلة منبر الإسلام : الصفحة٦٠، العدد ٥، السنة ٦٢، جمادى الأولى ١٤٢٤هـ.
(٢) تخريج حديث

وعن عامر بن واثلة ابن الكواء سأل عليا رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴾ قال ويلك سل تفقها ولا تسأل ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴾ الرياح ﴿ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ﴾ السحاب، ﴿ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ﴾ السفن ﴿ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ﴾ الملائكة[1] .

ويقال ذرت الريح التراب تذروه ذروا، وتذريه ذرا .

والذريات أي الصاعدات للذري، التى تذور فى طريقها الجزئيات التى تبعثرها وتخلخلها، حيث يصعد الهواء الساخن لأعلى، فتنخفض درجة حرارته ويقل ضغطه، فتتكون سحب بخار الماء حتى تصل إلى درجة التشبع، فتصبح السحابة فى طبقات الجو العليا مكونة من بلورات من الثلج تتجمع فى أعلاها ونقط من الماء فى أسفلها، فإذا أضفنا إلى السحابة نويات التكاثف من الجسيمات الدقيقة التى تذروها الرياح من غبار الأرض وأتربتها ورذاذ البحر والرماد البركاني فحينئذ تمطر السحابة الحبلى ﴿ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ﴾ وتأتي باليسر والخير .

ويشير لفظ ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ﴾ إلى رياح سطحية أعلى من المعتاد، وتسبب عواصف ترابية تدوم فترة طويلة ويمنها رفع وإثارة الرمال لمسافات طويلة، ويمكن أن ترفع الرياح مواد من التراب وبخار الماء، وهذا هو تأثير القوى الصاعدة ثم تقوم الرياح بنقل هذه المواد من خلال قوى أفقية، وهذه العملية يشير إليها قولة سبحانه تعالى: ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا * فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ﴾[2] ونستنتج الحقائق العلمية التالية من واقع آيات الذرايات:

١- قانون حركة الرياح بين صعود الهواء الساخن وهبوط الهواء البارد المصاحبة بالمطر.

---

(١) تخريج حديث

(٢) سورة الذاريات آية رقم ١ – ٢

٢- عملية التذرية كأحد العوامل المشكلة لسطح الأرض .

٣- أهمية نواتج التذرية من المواد الناعمة الدقيقة وبخار الماء كأنوية تكاثف تعمل على التأليف بين قطرات المطر .

ثالثا : حقيقة علمية عن الرياح فى سورة المرسلات :

قال تعالى : ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾ (١)

سبق أن أشرنا إلى اختلاف المفسرون فى فهم مفردات الآيات الخمسة الأول فى سورة المرسلات، ولكن نتوقف عند تفسير الجمهور لقوله ﷻ: ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴾ بأنها الرياح إذا هبت شيئا فشيئا وأرسلت متتابعة. وكذلك قولهم بغير اختلاف بان "العاصفات عصفا" الرياح بالقطع .

إن كلمة ﴿ عُرْفًا ﴾ فى الآية الأولى من سورة المرسلات تعطى كشفا علميا قرآنيا لم يعرفه العلماء إلا حديثا، والعرف هو عرف الفرس أو الديك إن عرف الضبع ولكن العرب تسمى كل مرتفع من الأرض عرفا، كما فى قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾(٢) والعراف جمع عرف .

وقد أثبت العلم وجود رياح نفاثة على ارتفاعات عالية جدا فى الغلاف الجوى، وبهذا يتضح القسم ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴾ بأنه أقسم بالرياح العلوية المرسلة لما لها من أهمية يعلمها الله ثم يعقبها الرياح العاصفات، وهذه تكون على سطح الأرض(٣) .

---

(١) سورة المرسلات آية رقم ١ – ٥.

(٢) سورة الأعراف آية رقم ٤٦ .

(٣) من الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم، د/ حسنى حمدان حمامة، مجلة منبر الإسلام، العدد ٥، السنة ٦٠، جمادى الأولى ١٤٢٢ هـ، يوليو أغسطس ٢٠٠١، صفحة ٦٢.

رابعا : حقيقة علمية عن الرياح في سورة النازعات:

قال تعالى : ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴾[1]

نزع الشيء من مكانه قلعه، وغرقا بمعنى الوصول بالشئ لمداه . ومادة نزع التى وردت فى القرآن الكريم تشير إلى الاقتلاع المصحوب بهمة شديدة مثل نزع اليد، ونزع الغل من الصدور، ونزع الرحمة، ونزع الملك، ونزع اللباس حتى تظهر السوءة، والتنازع المؤدى للفشل وذهاب القوة.

ونحن هنا إزاء إعصار يندر حدوثه فى غير البحر بدليل قوله تعالى "غرقا" ويتسم الإعصار بان الهواد يمتلئ بالزبد ورذاذ البحر وضعف الرؤية، وضغط يقدر بـــ٦٠ م^{2} وسرعة الرياح ٣٤,٨ متر / ثانية . ويسمى هذا الإعصار بالمائية كما فى قولة تعالى : ﴿ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴾[2] والإعصار أو "التورندو" أو الغلباء يشبه المخروط المتدلي من سحابة مظلمة يتلوى منتقلا من مكان إلى مكان وحينما يلامس سطح الأرض يكتسح كل شئ ويدمره محدثا جلبة وضوضاء لا نظير لها .

والأعاصير تتكون من رياح قوية تدور عكس حركة عقرب الساعة (فى نصف الكرة الشمالي) حول منطقة ذات ضغط منخفض ويبلغ قطره حتى ٥٠٠ كم وتصل سرعته إلى ٣٠٠ كم / ساعة، ويؤدى مركز الإعصار إلى سحب الماء على هيئة قبة عريضة تسحبها الرياح إلى الشاطئ ويرتفع الماء ٥ أمتار فوق سطح البحر، وتتولد تيارات صاعدة تزيد سرعتها عن ٢٠٠ كم / ساعة تحمل ما يصادفها من أجسام على أعلى ثم تهوى بها بعد هدوء الريح .

---

(١) سورة النازعات آية رقم ١ – ٥

(٢) سورة الحاقة آية رقم ٦

وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾[١] وقولة ﷻ ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾[٢] .

وقوله ﷻ : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾[٣] وفى تفسير ابن كثير أن الريح كانت تأتى أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الأبصار، ثم تنكسه على أم رآسة فتثلغ رأسه فيبقى بلا رأس.

---

(١) سورة الحج آية رقم ٣١
(٢) سورة الحاقة : آية رقم ٦ – ٨
(٣) سورة القمر آية رقم ١٩ – ٢١

المطلب الثاني

السحاب - والمطر

تتضح منظومة السحاب والمطر والرياح من فهم الآيات التالية مرتبة حسب ورودها في المصحف الشريف حيث يقول الحق تبارك وتعالى :

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(١)



قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٢).

وقال جل شأنه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ۝ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾(٣)

وقال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ

(١) سورة البقرة آية رقم ١٦٤
(٢) سورة الأعراف آية رقم ٥٧
(٣) سورة الرعد آية رقم ١٢ – ١٣

وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾(١)

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾(٢)

وقال ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾(٣)

وقال تعالى: ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٤)

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٥)

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾(٦)

وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾(٧) .

تبدو من الآيات السابقة كمال قدرة الله المطلقة، فلا يستطيع أحد سواه أن يرسل الرياح، فهل يستطيع أحد كائنا من كان، أو قوة مهما بلغ قدرها

(١) سورة الحجر آية رقم ٢٢
(٢) سورة النور آية رقم ٤٣
(٣) سورة الفرقان آية رقم ٤٨
(٤) سورة النمل آية رقم ٦٣
(٥) سورة الروم آية رقم ٤٦
(٦) سورة الروم آية رقم ٤٨
(٧) سورة فاطر آية رقم ٩

فى عالم البشر أن يصرف الرياح فيجعل الذي يتحرك ناحية القطب ينحرف باتجاه الشرق دائما وأبدا لحفظ العزم الزاوي فوق أرض تدور . ومن يمكنه إلزام الهواء المتحرك فى اتجاه خط الاستواء بالانحراف إلى الغرب، ومن ينشئ الدورة العامة للرياح ويتحكم فيها بحيث تكون الرياح القريبة من خط الاستواء رياحا سطحية شرقية، وتكون الرياح المدارية التى بين القطبين وخط الاستواء رياحا غربية، وتكون رياح القطب رياحا شرقية، ومن يستطيع أن يوفى الطاقة اللازمة لتصريف الرياح على مدى الكرة الأرضية فى دورة ذات ثلاث خلايا، واحدة عند خط الاستواء أو فى المنطقة الاستوائية، وثانية فى المنطقة المدارية، وثالثة عند الأقطاب، هذا بجانب أن لكل منطقة مساراتها الخاصة .

إن التوازن العجيب بين مناطق الضغط المرتفع ومناطق الضغط المنخفض لآيات مدهشة فى تصريف الرياح.

ومن ثم يتضح الوجه البديع فى آية تصريف الرياح فى سورة البقرة حيث نجد تصريف الرياح معطوفا على خلق السموات والأرض، فقد ورد فى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله ﷺ "إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنه وكان عرشه على الماء "[1] وعن سعيد بن جبير: سئل ابن عباس عن قول الله "وكان عرشه على الماء " على أي شئ كان الماء ؟ قال على متن الريح[2]

ويحدثنا القرآن فى سورة الأنبياء عن أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقهما الله، ويقول الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾[3] فكما

(١) رواه مسلم
(٢) رواه مسلم.
(٣) سورة الأنبياء آية رقم ٣٠

كان الفتق وأي قوة حدث بها – الله أعلم – ولكن العلم يثبت انه قد حدث دوى هائل بعد لحظة الانفجار ربما نشأت فيه ريح ولو لم تكن الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس لما كانت هناك دورة عامة للرياح، فالرياح تعمل على حفظ العزم الزواى لأرض تدور، وفى الآية السابقة إشارة بالغية لدوران الأرض عبر عنها القرآن الكريم باختلاف الليل والنهار، ومن هنا يتضح وجه من الإعجاز فى عطف السحاب المسخر بين السماء والأرض على دوران الأرض .

والرياح سبب أساسي يرسلها الله لتجرى الفلك فى البحر، ومن ثم أيضا عطف تصريف الرياح بجريان الفلك فى البحر.

وبهذا يتضح بجلاء الوجوه الجامعة الكلية فى آية تصريف الرياح فى سورة البقرة. نعود إلى الحقائق العلمية حول منظومة الرياح – السحاب – المطر، حيث يجد العالم نفسه أمام مصطلحات علمية غاية فى الدقة تقدم مفاتيح لأحدث النظريات العلمية المتعلقة بالظواهر الجوية فى القرآن الكريم . من تلك المصطلحات ما يتعلق بالرياح مثل تصريف الرياح، والرياح المبشرات بالمطر والرياح اللواقح، وعن السحاب ترد مصطلحات السحاب المسخر، والسحاب الثقال، والسحاب المتراكم، وكسف السحاب، وجبال البرد، وخروج الودق من خلال السحب، وتشير الآية فى إعجاز علمي لم يدرك إلا حديثا عن مراحل تكوين السحاب من إثارة السحاب وإزجائه، وبسطه وسوقه، والتأليف بينه، وليس هناك مبالغة إطلاقا إذا قلنا (أن المفردات السابقة تمثل مسميات نظريات علمية مثل نظرية إثارة السحاب وإظهاره وبسطه، ونظرية تلقيح السحب، ونظرية التأليف بين السحب، ونظرية تكوين السحب الركامية وجبال البرد) إلى غير ذلك .

أوجه الحقائق العلمية فى الآيات السابقة

أولا : تلازم الرياح اللواقح وإنزال الماء .

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴾ (١)

- تشير فاء السببية فى قولة ﴿ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ إلى تلقيح الرياح للسحب يسبق إنزال المطر، وقد ورد فى تفسير الآية أن الرياح كالفحل للسحاب تقوم بتلقيح السحاب فيدر ماء، وتلقح الشجر فتنفتح عن أوراقها وإكمالها ويبعث الله الرياح على السحاب فتلقحه ماء، وقيل يبعث الله المبشرة فتقم الأرض قما، ثم يبعث الله المؤلفة السحاب، ثم يبعث الله اللواقح فتلقح الشجر .
- الرياح العقيم لا تسبب مطرا، ولكن حينما تحمل ببخار الماء تكون السحاب، وتقوم الرياح بتلقيح السحاب بجسيمات دقيقة تسمى (نويات التكاثف) وقد تكون هي المراد بقولة (لواقح) التى وردت فى الآية السابقة . ويشير لفظ لواقح إلى تدافع السحاب كهربيا بالجمع بين سحب ذات كهربية موجبة وأخرى ذات كهربية سالبة، وبهذا يتضح أن تكوين السحاب يلزم أن يكون الهواء فوق مشبع ببخار ماء، وأن يكون محتويا على انويه التكاثف، وتصف الآية بألفاظ واضحة أن التلاقح الوارد ذكره بين السحب وبعضها، أو بين قطيرات الماء وبعضها، وليس المقصود تلقيح النباتات عن طريق حمل حبوب اللقاح .
- ولنتأمل معا كمية من بخار الماء قد انطلقت صاعدة إلى أعلى، وحتما سوف تنتشر فى جو السماء، ولكن يد القدرة تعمل على تجميع ذلك

(١) سورة الحجر آية رقم ٢٢

البخار فى هيئة سحاب، وتمده فى نفس الوقت بجسيمات دقيقة تحملها الرياح فتلقح جزئيات ذلك السحاب حتى تنمو قطيرات الماء وتلك العملية شرط أساسي لنزول المطر من السماء . وقد ورد فى كتب التفسير أن الرياح ثمانية، أربعة منها الرحمة وأربعة منها العذاب، فأما الرحمة فالناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات وأما العذاب فالعقيم والصرصر وهما فى البر، والعاصف والقاصف وهما فى البحر، ومن الرياح ما يلقح السحاب، تلقحه بحمل الماء كما يلقح الذكر الأنثى بالحمل .

ثانيا : تكوين السحاب :

السحاب هو بخار الماء المتكثف فى طبقات الجو العليا إلى ارتفاع ١٨ كم وقد وردت بعض صفات السحاب فى آيات القرآن الكريم .

السحاب المسخر بين السماء والأرض : سمى السحاب سحابا لانسحابه فى الهواء والمسخر أي المذلل وتسخير السحاب بعثه من مكان إلى مكان والسحاب مسخر بأمر وقدرة الله وقد روي عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن النبي ﷺ قال: "بينما رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتا فى سحابة اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماء فى حرة، فإذا شرجة من تلك الشراج وقد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء، فإذا رجل قائم فى حديقته يحول الماء بمساحاته، فقال لَه يا عبد الله ما اسمك ؟ قال فلان الاسم الذي تسمع فى السحاب، فقال : إني سمعت صوتا فى السحاب الذي هذا ماؤه اسق حديقة باسمك، فماذا تصنع فيها ؟ قال أما إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثه، وأراد فيها ثلثه" وفى رواية أخرى "واجعل ثلثه فى المساكين والسائلين وابن السبيل "[١]

---

(١) من كتاب الإعجاز العلمى : جمع وإعداد : عماد البارودى، المكتبة التوفيقية، ص٣٢ وما بعدها.

وصلاة الاستسقاء التى شرعت عند طلب المطر عند القحط أو عند الجفاف وما يتبعه من هلاك الحياة واستجابة الله الفورية وإنزال المطر لدليل عملي ملموس على تسخير السحاب . وكان ﷺ إذ رأى الغيم والريح عرف ذلك فى وجهه، فأقبل وأدبر فإذا أمطر سرى عنه، وذهب عنه ذلك، وكان يخشى أن يكون فيه العذاب قال الشافعي وروى عن سالم بن عبد الله عن أبيه مرفوعا انه كان إذا استسقى قال : " اللهم اسقنا غيثا مغيثا هنيئا مرئيا قريعا غديقا مجللا عاما طبقا سحا دائما، اللهم أغثنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم إن بالعباد والبلاد والبهائم والخلق من الإيواء والجهد والضنك مالا نشكوه إلا إليك اللهم انبت لنا الزرع وأدر لنا الضرع واسقنا من بركات السماء، وانبت لنا من بركات الأرض، الهم ارفع عنها الجهد والجوع والعرى، واكشف عنا من البلاء مالا يكشفه غيرك، اللهم إنا نستغفرك، إنك كنت غفارا فأرسل السماء علينا مدرارا" [١]

ثالثا: السحاب بين الإثارة والبسط :

تبين علميا أن للرياح مركبتين، مركبة أفقية تسوق السحاب وهى المسؤولة عن عملية البسط والانتشار، ومركبة رأسية وهى المسئولة عن عملية الرفع للسحب "أقلت سحابا" ففى سورة الأعراف تقل المركبة الرأسية السحاب، وتقابلها فى سورة الروم الآية ٤٨ تلك الرياح التى تثير السحاب . فالمركبة الرأسية للرياح هي المسئولة عن إثارة السحاب وإظهاره حيث يبرد الهواء الصاعد، وبذلك يتكثف بخار الماء غير المرئى فتتكون قطرات الماء فتظهر السحاب . أما المركبة الأفقية فهي المسئولة عن البسط والانتشار . يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ

(١) المرجع السابق.

فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[١] .

ويقول الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[٢] .

رابعاً: أنواع السحب:

السحب نوعان : السحب البساطية (Stratiform) والسحب الركامية (Cumulatiform) ويشير القرآن الكريم إلى السحب البساطية . يقول ﷻ : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾[٣] وأيضا فى قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا ﴾[٤]

وتتكون السحب الركامية من ثلاث طبقات :

١- الطبقة العليا وتتكون من بلورات الثلج والبرد .

٢- الطبقة الوسطى وتتكون من خليط من نقط الماء فوق المبرد وبلورات الثلج .

٣- الطبقة السفلي وتتكون من نقط الماء النامية . وتتكون السحب الركامية بالنمو الرأسي بسمك يتروواح من ١٥ - ٢٠ كم ودرجة حرارة من ٦٠ / إلى ٧٠ م . السحب الركامية تكون جبال البرد التى تتكون من طبقات من الجليد وهو ماء رقيق يتجمد ويشبه صفحة الماء أو المرآة، تتبادل مع طبقات من الجمد، وهو قطع

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ٥٧
(٢) سورة الروم آية رقم ٤٨
(٣) سورة الروم آية رقم ٤٨
(٤) سورة النور آية رقم ٤٣

الثلج الذي يشبه القطن المندوف . ويتراوح حجم قطع البرد النازل من السماء من حبات فى حجم بيض الحمام إلى قبضة اليد .

وغاية الإعجاز العلمي تتجلى فى سورة النور الآية رقم ٤٣ وحيث تذكر مراحل تكون السحب الركامية على الترتيب التالى :

١- إزجاء السحاب "يزجى سحابا"

٢- التأليف بين السحاب "ثم يؤلف بينه"

٣- جعل السحاب ركاما "ثم يجعله ركاما"

٤- خروج قطرات الماء النامى من خلال السحاب "فترى الودق يخرج من خلاله"

٥- تكون الجبال البرد فى السماء ونزول بعضه "وينزل من السماء من جبال فيها من برد"

٦- الآثار الخطيرة للإصابة بالبرد على الإنسان والمنشآت والمزروعات "

٧- تكون البرق والرعد .

المطلب الثالث

أسرار السحاب

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ﴾[١] وقال تعالى : ﴿ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ ﴾[٢] أي مدفوعة أي الدفع رويدا رويدا ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾[٣] دراسة تكوين السحاب الركامي أولا – يبدأ السحاب الركامي عبارة عن (قزح) قطعة هنا وقطعة هناك يأتى هواء خفيف فيدفع هذه السحب قليلا قليلا يزجى سحابا ثم يؤلف بينه قالوا : السحاب الركامي يتكون حين تجتمع سحابتان أو سحابة تنمو سحابة بسرعة فإذا اجتمعت سحابتان أو نمت سحابة بسرعة يتكون تيار هواء تلقائي فى داخلها وهذا التيار الهوائي الذي بداخلها يصعد إلى أعلى وحين يصعد إلى أعلى يعمل مثل الشفاطة هذه الشفاطة التي تشفط الهواء من الجنب وتقوم بسحب السحب ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ﴾[٤] بالشفط بعدما تكونت على هذا النحو وأصبح لها قوة سحب وجذب للسحب المجاورة وهذا هو التآلف ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ﴾ وبعد أن يؤلف بين السحاب وتتباعد بقية السحب بعد كبيرا يتوقف الشفط هذا ويحدث شئ قوي جداً : نمو رأسي إلى أعلى هذا النمو الراسي إلى أعلى يركم السحاب بعضه فوق بعض فيصير ركاما ولذلك قالت الآية: ﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا ﴾ نفس السحابة تطلع تعلو فوق وتعلو وتعلو بعضها فوق بعض ثم تأخذ وقتا أما الفاء فلا تراخي فيها ﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ ﴾ فالفرق بين ثم والفاء أن ثم: تفيد الترتيب مع التراخى أما الفاء

---

(١) سورة النور آية رقم ٤٣

(٢) سورة يوسف آية رقم ٨٨

(٣) سورة النور آية رقم ٤٣

(٤) سورة النور آية رقم ٤٣

فتفيد الترتيب مع التعقيب بسرعة فعندما يتوقف الركم يتوقف ويضعف فإذا ضعف فإن المطر ينزل على الأثر ولذلك قال ﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ سبحان الله ! كم يشاهد الناس السحب .. هل عرفوا سره ؟ فكلما ازداد الناس علما ازدادوا إيمانا هذا القرآن من عند الله ﷻ وانه حق لا يأتيه الباطل من بين يدية ولا من خلفه[١] .

(١) وغدا عصر الإيمان: للشيخ عبد الحميد الزنداني.

المبحث الثالث

المطلب الأول: ظلمات البحار العميقة وحركة الأمواج الداخلية

المطلب الثاني: موج من فوقه موج

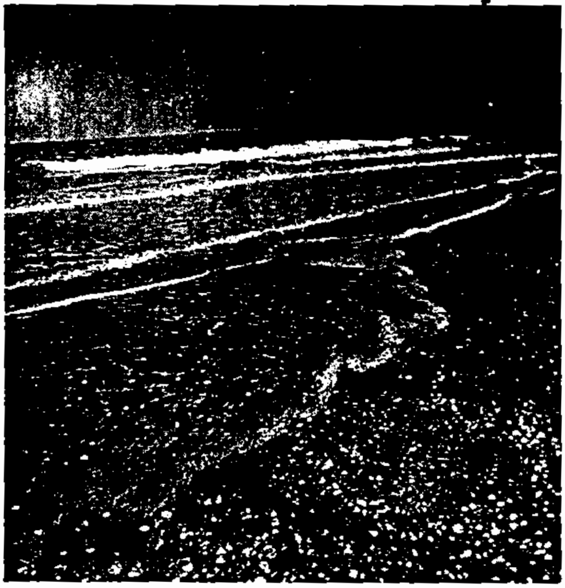
المبحث الثالث

وينقسم إلى مطلبين:-

المطلب الأول

ظلمات البحار العميقة وحركة الأمواج الداخلية

قال الله تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾(١)



جاء فى لسان العرب :

يغشاه : غشيت الشيء تغشيه إذا غطيته .

لجي : لجة البحر : حيث لا يدرك قعره ولج البحر : الماء الكثير الذي لا يرى طرفاه .

ولج الليل: شدة ظلمته وسواده

ذكر الإمام القرطبي في تفسيره للآية الكريمة ما يلي : "المراد هذه الظلمات ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة الليل وظلمة البحر، فلا يبصر من كان في هذه الظلمات شيئا "

ولقد أكتشف العلماء أن البحار والمحيطات مغطاة بسحب ركامية كثيفة تحجب قسما كبيرا من ضوء الشمس .

---

(١) سورة النور آية رقم ٤٠

وتمتص مياه البحار ألوان الطيف الضوئي تدريجيا كلما زادت هذه ألوان تعميقا فتنشأ مستويات من الظلمات داخل هذه البحار ويشتد الظلام بعد عمق ١٠٠٠ متر حتى إذا أخرج الإنسان يده لم يكد يراها .

وكشفت علوم البحار الحديثة عن وجود أمواج عاتية. فى البحار العميقة .

واستطاع العلماء من مشاهدة الأسماك فى البحار العميقة على عمق يتـــراوح بين (٦٠٠م – ٢٧٠٠ م) والتي تستخدم أعضاء مضيئة لترى في الظلام وتلتقط فريستها .

وجه الإعجاز فى الآية القرآنية الكريمة هو تصريحها بوجود ظلمات فى أعماق البحار متراكمة فوق بعضها البعض، ووجود أمواج داخلية فى البحار والمحيطات العميقة والتي غالبا ما تغطى هذه البحار والمحيطات سحب ركامية تحجب قدرا مهما من أشعة الشمس، وهذا ما كشفت عنه دراسات علماء البحار فى أواخر القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين.

المطلب الثاني

﴿ مَوۡجٌ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٌ ﴾

هـذه حقـيقة تم الوصول إليها بعد إقامة مئات من المحطات البحرية والـتقاط الـصور بالأقمار الصناعية والذي قال هذا الكلام هو البروفيسور شرايدر وهو من أكبر علماء البحار بألمانيا الغربية كان يقول، إذا تقدم العلم فلابـد أن يتراجع الدين ولكنه عندما سمع معاني آيات القرآن بهت وقال : إن هـذا لا يمكن أن يكون كلام بشر ويأتى البروفيسور دور جاروا أستاذ علـم جيولوجيا البحار ليعطينا ما وصل إليه العلم فى قولَه تعـالى : ﴿ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾(١) فـيقول لقد كان الإنسان فى الماضي لا يستطيع أن يغوص بدون استخدام الآلات أكثر من عشرين مترا ولكننا نغوص الآن في أعماق البحار بواسـطة المعـدات الحديثة فنجد ظلاما شديدا على عمق مائتي متر الآية الكـريمة تقول : ﴿ بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ ﴾ كما أعطتنا اكتشافات أعماق البحار صورة لمعنـى قـولَه تعالـى : ﴿ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ ﴾ فالمعروف أن ألوان الطـيف سـبعة منها الأحمر والأصفر والأزرق والأخضر والبرتقالي إلى آخـره فـإذا غـصنا في أعماق البحر تختفي هذه الألوان واحد بعد الآخر واخـتفاء كل لون يعطى ظلمة فالأحمر يختفي أولا ثم البرتقالي ثم الأصفر وآخـر الألـوان اخـتفاء هو اللون الأزرق على عمق مائتي متر كل لون يختفـي يعطـي جـزاء من الظلمة حتى تصل إلى الظلمة الكاملة أما قولَه تعالـي: ﴿ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ ﴾ فقد ثبت علميا أن هناك فاصلا بين الجزء العميق من البحر والجزء العلوي وأن هذا الفاصل ملئ بالأمواج فكان هناك

---

(١) سورة النور آية رقم ٤٠ .

أمـــواجا علـــى حافة الجزء العميق المظلم من البحر وهذه لا نراها وهناك أمواج على سطح البحر وهذه نراها فكأنها موج من فوقه موج وهذه حقيقة علمية مؤكدة ولذلك قال البروفيسور دور جاروا عن هذه الآيات القرآنية : إنَّ هذا لا يمكن أن يكون علما بشريا[١] .

---

(١) الأدلة المادية على وجود الله : فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي .

الفصل السادس

نماذج من الحقائق العلمية فى حال الإنسان

(وفى أنفسكم أفلا تبصرون)

المبحث الأول: النطفة الأمشاج وتحديد الجنين

المبحث الثانى: خلق الجنين فى أطوار.

المبحث الثالث: البصمات وشخصيات الإنسان.

المبحث الرابع: الرضاعة.

المبحث الأول

النطفة الأمشاج وتحديد جنس الجنين

المبحث الأول

النطفة الأمشاج وتحديد جنس الجنين

قال الله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[١]

وقال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٢] .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده أن يهوديا مر بالنبي ﷺ وهو يحدث أصحابه فقالت له قريش : يا يهودي إن هذا يزعم أنه نبي فقال : لأسألنه عن شئ لا يعلمه إلا نبي، فقال : يا محمد، مم يخلق الإنسان فقال رسول الله ﷺ : "يا يهودي من كل يخلق : من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة، فقال اليهودي : هكذا كان يقول من قبلك" [٣]. (أي من الأنبياء).



قال ابن منظور في لسان العرب : "نطفة" : النطفة هي صغار اللؤلؤ والواحدة نطفة ونطفة شبهت بقطرة الماء .

"وقال الزبيدى في تاج العروس :" ونطفت آذان الماشية: وتنطفت : ابتلت بالماء فقطرت.

(١) سورة الإنسان آية رقم ١-٢ .

(٢)سورة الحجرات آية رقم ١٣ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤٦٥/١) من حيث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

أمشاج : جمع مشج وهي الأخلاط يقال: مشجت هذا إذا خلطته وهو مشوج به ومشيج أي مخلوط"

قال ابن جرير الطبري المتوفى سنه ٣١٠هـ في تفسيره قولة تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[1] قال : إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاجٍ : أنا خلقنا ذرية آدم من نطفة يعني : من ماء الرجل وماء المرأة والنطفة كل ماء قليل في وعاء، وقولَه أمشاج : يعنى أخلاط واحدها مشج ومشيج يقال منه إذا مشجت هذا هذا، خلطته، وهو مشوج به، ومشيج أي مخلوط وهو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة"

وقال الحسن البصري : "مشج (أي) خلط ماء الرجل بماء المرأة .

وقال مجاهد : "خلق الله الولد من ماء الرجل وماء المرأة، وقد قال الله تعالـى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾[2] .

وقال ابن كثير المتوفى سنه (٧٧٤هـ) في تفسير آية سورة الإنسان "يقول الله تعالى مخبرا عن الإنسان أنه وجد بعد أن لم يكن شيئا مذكورا لضعفه وحقارته، فقال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ ثم بين ذلك فقال جل جلاله : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ أي أخلاط والمشج والمشيج، الشئ المختلط بعضه في بعض" .

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قولَه تعالى : "من نطفة أمشاج" : "يعنى ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا ثم ينتقل بعد طور إلى طور، ومن حال إلى حال، ومن لون إلى لون "،وهكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن البصري والربيع : (الأمشاج) هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة"

---

(١) سورة الإنسان آية رقم ١-٢

(٢) سورة الحجرات آية رقم ١٣ .

وقال سيد قطب في ظلال القرآن في تفسيره للآية أيضا : "الأمشاج الأخلاط، وربما كانت هذه إشارة إلى تكوين النطفة من خلية الذكر وبويضة الأنثي بعد التلقيح، وربما كانت هذه الأخلاط تعني المورثات الكامنة في النطفة، والتي يمثلها ما يسمونه علميا "الجينات" وهي وحدات الوراثة الحاملة للصفات المميزة لجنس الإنسان أولا ولصفات الجنين العائلية أخيرا، وإليها وراثة الصفات الخاصة في الأسرة، ولعلها هي هذه الأمشاج المختلطة من وراثيات شتي " وهكذا نرى أن أغلب المفسرين من قدامي ومعاصرين متفقون على أن النطفة المشاج هي النطفة المختلطة من ماء الرجل وماء المرأة . أما آية سورة الحجرات فقد قال ابن جرير الطبري في تفسيره لها : "يقول الله تعالى: (يا أيها الناس أنا أنشأنا خلقكم من ماء ذكر من الرجال، وماء أنثي من النساء) .

وقال ابن كثير في تفسيره لها أيضا : "يقول تعالى أنه خلقهم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وهما آدم وحواء" .

ويحوي السائل المنوي ما بين مائتين إلى ثلاثمائة مليون حيوان منوي، واحد منها هو المسؤول عن تلقيح البويضة .

والبويضة الملقحة أو النطفة الأمشاج هي نتيجة تلقيح الحيوان لبويضة المرأة .

إذا لقح البويضة حيوان منوي ذكر (Y) فإن الجنين يكون ذكرا، أما إذا لقح البويضة حيوان منوي أنثى (X) فإن الجنين سيكون أنثي .

وجه الإعجاز في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية هو تقريرها بأن النطفة الأمشاج هي نتيجة تلقيح الحيوان المنوي لبويضة المرأة، وأن تحديد جنس الجنين يعود إلى نوعية الحيوان المنوي ذكرا أو أنثي، وهذا ما كشف عنه الطب الحديث .

المبحث الثانى

خلق الجنين فى أطوار

المبحث الثانى

خلق الجنين فى أطوار

قال الله تعالى : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾(١).

عن حذيفة بن أسيد ﷺ أن رسول الله ﷺ : " إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا، فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال : يارب أذكر أم أنثى، فيقضى ربك ما شاء، ويكتب الملك " (٢) رواه مسلم فى كتاب القدر .

قال ابن كثير فى تفسيره : قال ابن عبـــاس ﷺ قال فى قوله تعالى: ﴿ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾(٣) يعنى ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا ثم ينتقل بعد من طور إلى طور ومن حال إلى حال ومن لون إلى لون " .

يقول الله تعالى فى الآية السادسة من سورة الزمر : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ .

لقد جاء القرآن الكريم بحقائق الإنسان لم تكن البشرية قد عرفتها بعد، ومن أهم هذه الحقائق تقرير أن خلق الإنسان لم يكن دفعة واحدة وإنما مر بمراحل مختلفة تدرج فيها الجنين البشرى من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى تكون العظام ثم كساء العظام باللحم ثم اكتمال الخلق ورغم بداهة هذه الحقيقة العلمية عند علماء الأجنة اليوم إلا أنها ظلت مدرسة عبر قرون متطاولة من عهد الفراعنة واليونان والقدماء، مرورا بالحضارة

---

(١) سورة : الزمر آية رقم ٦
(٢) رواه مسلم
(٣) سورة الأنسان : آية رقم ٢



العربية الإسلامية وانتهاء بعصر النهضة واكتشاف الميكروسكوب . فقد تعددت التصورات والنظريات، فـ (أرسطو) قال بأن الإنسان يتكون من دم الحيض وقد سيطرت هذه النظرية على العقل البشرى زمانا طويلا ثم جاء الاعتقاد بأن الإنسان مخلوقا خلقا تاما فى حيوان الرجل، بينما اعتقد فريق آخر من العلماء أنه يخلق فى صورة قزم فى بويضة المرأة . ولقد كان انعدام الوسائل العلمية التقنية عائقا حال دون تقدم العقل البشرى فى هذا الموضوع .

استمر الجدل العلمى قائما حتى سنة ١٧٧٥ م حينما اعتبر "سبالانزانى " بان كلا من حيوان الرجل وبويضة المرأة يساهمان فى تكوين الجنين البشرى حيث يقوم الحيوان بتخصيب البويضة التى تبدأ بعدها بالانقسام لتتكون الخلايا الأولى للجنين . قال ﷻ : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ (١) .

وقد قال علماء التفسير بأن عبارة " خلقا من بعد خلق "تعنى أن الإنسان يمر خلال عملية تخلقه بمراحل متتابعة فصلها القرآن فى سورة

(١) سورة الزمر : آية رقم ٦ .

المؤمنون (١٢-١٤) حيث قال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾[1] .

كما روى عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى : ﴿ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ قوله :" يعنى ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعنا واختلطا ثم ينتقل بعد من طور ومن حال ومن لون إلى لون " .

وهذا ما كشف عنه علم الجنة الحديث فى القرآن الثامن عشر، تصديقا لقوله تعالى: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴾[2] .

وجه الإعجاز فى الآيات القرآنية هو تقريرها صراحة بأن الإنسان يمر خلال تخلقه بمراحل متتابعة، وأنه لا يخلق دفعة واحدة فى صورة قزم، وهذا ما كشفت عنه دراسات علم الأجنة الحديث .

---

(١) سورة المؤمنون : آية رقم ١٢-١٤ .
(٢) ص ٨٨ .

المبحث الثالث

البصمات وشخصية الإنسان

المبحث الثالث

البصمات وشخصية الإنسان

قال الله ﷻ تبارك : ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾[1].

قال ابن منظور في لسان العرب : البنان : أطراف الأصابع من اليدين والرجلين، البنانة: الإصبع كلها، وتقال للعقدة من الإصبع .

قال القرطبي في تفسير الآية : البنان عند العرب : الأصابع وحدها : واحدها بنانة

قال القرطبي والزجاج : وزعموا أن الله لا يبعث الموتى ولا يقدر على جمع العظام فقال الله تعالي : بلى قادرين على أن نعيد السلاميات على صغرها، ونؤلف بينها حتي تستوي، ومن قدر على هذا فهو على جمع الكبار أقدر

ويجدر بنا أن نلفت النظر إلى أن العلماء لم يكن بين أيديهم من وسائل طبية حديثة توصلهم إلى ما اكتشفه علماء التشريح بعد ذلك بقرون .

يقول الله تعالي في سورة القيامة الآيات (١-٤): ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ لقد أثارت الإشارة في الآيات الكريمة من سورة القيامة انتباه المفسرين ودهشتهم حيث أقسم الله تعالى باليوم الآخر وبالنفس الباقية على فطرتها التي تلوم صاحبها على كل معصية أو تقصير، لقد أقسم الله تعالى بهما على شئ عظيم يعد الركن الثاني من أركان العقيدة الإسلامية ألا وهو الإيمان ببعث الإنسان بعد موته وجمع عظامه استعداد

---

(١) سورة القيامة : آية رقم ١-٤ .

للحساب والجزاء، ثم بعد أن اقسم الله تعالى على ذلك بين أن ذلك ليس مستحيلا عليه لأن من كان قادرا على تسوية بنان الإنسان هو قادر أيضا على جمع عظامه وإعادة الحياة إليها. ولكن الشئ المستغرب لأول نظرة تأمل في هذا القسم هو القدرة على تسويةِ البنان، والبنان جزء صغير من تكوين الإنسان، لا يدل بالضرورة القدرة على خلق الكل .

وبالرغم من محاولات المفسرين لإلقاء الضوء على البنان وإبراز جوانب الحكمة والإبداع في تكوين رؤوس الأصابع من عظام دقيقة وتركيب الأظافر فيها ووجود العصاب الحساسة وغير ذلك، إلا أن الإشارة الدقيقة لم تدرك إلا في القرن التاسع عشر الميلادي، عندما اكتشف عالم التشريح التشيكي "بركنجى" أن الخطوط الدقيقة الموجودة على البشرة في رؤوس الأصابع تختلف من شخص لآخر، حيث وجد ثلاثة أنواع من هذه الخطوط فهي تكون إما على شكل أقواس أو دوائر أو عقد، أو على شكل رابع يدعي المركبات وذلك لتركيبها من أشكال متعددة . وفي سنة ١٨٥٨ م أشار العالم الإنكليزي "وليم هرشل" إلى اختلاف البصمات باختلاف أصحابها، مما يجعلها دليلا مميزا لكل شخص .

والمدهش أن هذه الخطوط تظهر في جلد الجنين وهو في بطن أمه عندما يكون عمره ١٠٠ أو ١٢٠ يوما، ثم تتكامل تماما عند ولادته ولا تتغير مدي الحياة مهما تعرض الإنسان للإصابات والحروق والأمراض، وهذا ما أكدته البحوث والدراسات التى قام بها الطبيب "فرانسيس جالتون" سنة ١٨٩٢ ومن جاء بعده، حيث قررت ثبات البصمات الموجودة على أطراف الأصابع رغم كل الطوارئ كما جاء في الموسوعة البريطانية .

ولقد حدث أن بعض المجرمين بمدينة شيكاغو الأمريكية تصوروا أنهم قادرون علي تغيير بصماتهم فقاموا بنزع جلد أصابعهم واستبداله بقطع

لحميه جديدة من مواضع أخري من أجسامهم، إلا أنهم أصيبوا بخيبة الأمل عندما اكتشفوا أن قطع الجلد المزروعة قد نمت واكتسبت نفس البصمات الخاصة بكل شخص منهم .

كما وجد علماء الترشيح أن إحدى المومياء المصرية المحنطة قد احتفظت ببصماتها جلية ولقد قام الأطباء بدراسات تشريحية عميقة علي أعداد كثيرة من الناس من مختلف الأجناس والأعمار، حتى وقفوا أما الحقيقة العلمية ورؤوسهم منحنية ولسان حالهم يقول : لا أحد قادر على التسوية بين البصمات المنتشرة على كامل الكرة الأرضية ولو بين شخصين فقط وهذا ما حدا بالشرطة البريطانية إلى استعمالها كدليل قاطع للتعرف على الأشخاص، ولا تزال إلى اليوم أمضى سلاح يشهر في وجه المجرمين

فخلال تسعين عاما من تصنيف بصمات الأصابع لم يعثر على مجموعتين متطابقين منها، وحسب نظام "هنري" الذي قام بتطويره مفوض اسكتلندا يارد إدوارد هنري" سنة ١٨٩٣ م، فإن بصمة أي إصبع يمكن تصنيفها إلى واحدة من ثمانية أنواع رئيسية، بحيث تعتبر أصابع اليدين العشرة وحدة كاملة في تصنيف بطاقة الشخص .

وهنا نلاحظ أن الآية في سورة العلق تتحدث أيضا عن إعادة خلق بصمات الأصابع جميعها لا بصمة إصبع واحدة، إذ إن لفظ "البنان" يطلق على الجمع أي مجموع أصابع اليد، وأما مفرده فهو البنانة، ويلاحظ أيضا التوافق والتناغم التام بين القرآن والعلم الحديث في تبيان حقيقة البنان، كما أن لفظة "البنان" تطلق كذلك على أصابع القدم،علما أن بصمات القدم تعد أيضا علامة على هوية الإنسان .

ولهذا فلا غرابة أن يكون البنان إحدى آيات الله تعالى التي وضع فيها أسرار خلقه، والتي تشهد على الشخص بدون التباس فتصبح أصدق دليل

وشاهد في الدنيا والآخرة، كما تبرز معها عظمة الخالق جل ثناؤه في تشكيل هذه الخطوط على مسافة ضيقة لا تتجاوز بضعة سنتيمترات مربعة.

ترى أليس هذا إعجاز علميا رائعا، تتجلي فيه قدرة الخالق سبحانه، القائل في كتابه : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[١] .

بعد أن أنكر كفار قريش البعث يوم القيامة وأنه كيف لله أن يجمع عظام الميت، رد عليهم رب العزة بأنه ليس قادر على جمع عظامه فقط بل حتى على خلق وتسوية بنانه، هذا الجزء الدقيق الذي يعرف عن صاحبه والذي يميز كل إنسان عن الآخر مهما حصل له من الحوادث . وهذا ما دلت عليه الكشوف والتجارب العملية منذ أواخر القرن التاسع عشر .

(١) سورة فصلت آية رقم (٥٣) .

المبحث الرابع

تعريف الرضاعة في اللغة

المبحث الرابع

الرضاعة في اللغة

تعريف الرضاعة في اللغة:

الرضاع فى اللغة امتصاص الثدي . يقال : أرضعته أمة فارتضع فهى مرضع ومرضعة . فإن أريد مجرد الوصف بالإرضاع قيل "مرضع" بغير هاء . أى لها ولد ترضعه، وأن أريد أنها محل إرضاع بالفعل . أى وصفها حال إرضاعها ولدها قيل :"بالهاء . ومنه قوله تعالى : ﴿ يوم يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ ﴾(١)

تعريف الرضاع فى الاصطلاح :

الرضاع فى الاصطلاح : "وصول لبن امرأة للجوف وإن ميته أو صغيرة بوجور أو سعوط أو حقنة تكون غذاء "

حكم الرضاع : ثبوت التحريم :-

نقصد بذلك حكم إرضاع المرأة طفلا أجنبيا عنها، أي لم تلده هى، وقد أتفق فقهاء الصحابة والتابعين، وكذلك فقهاء الأمصار وأئمة المذاهب كلها حتى الشيعة والخوارج على أن المرأة إذا أرضعت ابن غيرها، فقد ثبتت صلة القرابة الرضاعية بينها وبين من أرضعته وثبت تحريم الزواج بينهما، ويمتد التحريم كذلك إلى أصول المرضعة وفروعها، وأصول زوجها وفروعه على خلاف فى ذلك ليس هنا مجال بسطه .

---

(١) من الآية ٢ من سورة الحج .،الاحوال الشخصية للمسلمين د /. فرج زهران الدمرداشى الصديقان للنشر – الإسكندرية صفحة ٣٢،٣٣ ترتيب القاموس المحيط : ٣٤٧/٢، شرح فتح القدير ٣٠٤/٣، الخرشى على مختصر سيدى خليل : ١٧٦/٤، شرح روض الطالب من أسنى المطالب ٤١٥/٣ .

دليل التحريم:

استدل الجميع على ذلك بالكتاب والسنة والإجماع .

أولا : الكتاب :

قولَه تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ ﴾[1]

فقد ذكر الله ﷻ المحرمات بقوله سبحانه : "حرمت عليكم" إلى أن قال جل شأنه : ﴿ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ ﴾ حيث سوى فى التحريم بين الأم من الرضاع والأخت من الرضاع وبين الأم والأخت النسبيتين، كذلك سوى بين الأم والأخت من الرضاع وبين بنات الشخص وعماته وخالاته وبنات أخيه وبنات أخته، حيث ذكر الجميع عاطفا إحداهن على الأخرى بواو العطف على قولَه سبحانه : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾ والمعروف أن العطف يقتضي التشريك فى الحكم .

ثانيا : السنة :

١- قولَه ﷺ : "يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب" .

٢- وما روى عن على رضى الله عنه، قال رسول الله ﷺ : " إن الله حرم من الرضاع ما حرم من النسب"عن الإمام رضى الله عنه .

٣- قولَه ﷺ : "يحرم من الرضاعة ما يحرم من الرحم" .

فقد ثبت التحريم فى هذه الأحاديث كلها بالنص الصريح .

---

(١) من الآية رقم ٢٣ من سورة النساء .

ثالثا : الإجماع :

فقد أجمع علماء الأمة وجمهور الفقهاء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم على ثبوت تحريم الزواج بسبب القرابة الرضاعية .

مقدار الرضاع المحرم:-

أختلف الفقهاء فى مقدار الرضاع الذي يثبت به التحريم .

فمذهب الحنفية والمالكية : أن التحريم بالرضاع يثبت بأي قدر منه، قليلا كان أو كثيرا، حتى لو أخذ الرضيع من الثدي مصه واحدة ثبت التحريم بذلك واستدلوا على ذلك بالكتاب والسنة والمعقول.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ ﴾[1] فقد اثبت سبحانه التحريم بالرضاعة هكذا على الإطلاق من غير تحديد ولا تقييد بعدد معين ولو أراد سبحانه التحديد بعدد معين لبينه . فتحمل الآية على إطلاقها ويثبت التحريم بالمصة الواحدة وأما السنة عليها فحجبته، فأخبرت رسول الله ﷺ فقال لها : لا تحجبى منه، فإنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب"

وعن ابن عباس قال : "قيل للنبي ﷺ ألا تتزوج ابنه حمزة ؟ قال: إنها ابنه أخي من الرضاعة . وزاد مسلم فى صحيحه : ويحرم من الرضاعة ما يحرم من الرحم" . فقد اثبت ﷺ التحريم بالرضاع هكذا على الإطلاق من غير تحديده ولا تقيده .

وأما المعقول : فإن سبب التحريم بالرضاعة هو أن الطفل لما رضع من امرأة أجنبية غير أمه كان للبنها دخل فى إنبات لحمة ونشوز

---

(١) سورة النساء آية رقم :٢٣، الأحوال الشخصية دكتور / فكرى أحمد عكاز – مطبعة الصديق ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ صفحة ٦٥، ٦٦ .

عظمة، مثل ما كان لأمة وهذه هى العلة فى التحريم لأن فى الإرضاع شبهة فى أن يكون الولد بعضا ممن أرضعته، لأنه تغذى بلبنها الذي هو جزء من دمها ولحمها . وهذا يكون على إطلاقه بقليل اللبن وكثيرة .

ومذهب الشافعية والحنابلة والظاهرية :- أن الرضاع المحرم يشترط فيه أن يكون خمس رضعات فأكثر . فلا يثبت التحريم بأقل من ذلك .

واستدلوا على ذلك بالسنة :- فعن أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – قالت : "كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات فتوفى رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن" (١)

الرأي الراجح :-

الذي يترجح من هذه المذاهب كلها هو المذهب الأول للحنيفية والمالكية وهو أن التحريم يثبت بقليل الرضاع وكثيرة لاطلاقات الكتاب والسنة كما علله الحنفية والمالكية.

مدة الطفولة التى يثبت فيها التحريم :-

أختلف جمهور الفقهاء فى المدة الزمنية التى يثبت فيها التحريم بالإرضاع .

فمذهب المالكية والشافعية والحنابلية والشيعة الأمامية والزيدية : أن المدة التى يثبت فيها التحريم بالرضاع هى العامان . فما كان بعد العامين فإنه لا تأثير لَه ويصح الزواج بين الرضيع وبين من أرضعته

---

(١) بغية المشتاق في أحكام الزواج والطلاق : دكتور/عبد العزيز على أحمد جبريل – جامعه الأزهر – الزقازيق ١٩٩٧ م .

وأصولها وفروعها . وهذا هو مذهب الصاحبين أبي يوسف ومحمد الحنفيين .

واستدلوا على ذلك بالكتاب والسنة :-

أولا الكتاب : قوله تعالى : ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾[1] فالآية نص فى أن مدة الرضاع هى العامان. وقوله سبحانه: ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾[2] . فالآية دليل آخر على أن مدة الرضاع هى العامان . حيث الجميع فيبقى للفصال الذى هو الفطام أربعة وعشرون شهرا: فتكون هى مدة الرضاع المحرم .

ثانيا السنة : عن أم سلمة – رضى الله عنها – قالت : قال رسول الله ﷺ لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء فى الثدي وكان قبل الفطام "[3] فقولــه ﷺ "ما فتق الأمعاء فى الثدي" أي فى زمن الثدي أي زمن الرضاع يؤيده قوله ﷺ فى نفس الحديث : "وكان قبل الفطام" ويدل على هذا بصريح لفظه ما يرويه ابن عباس قال: "قال رسول الله ﷺ لا رضاع إلا ما كان فى الحولين" [4] .

ومذهب أبي حنيفة :- أن مدة الرضاع المحرم هى عامان ونصف العام، أي ثلاثون شهرا، واستدل أبو حنيفة على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ .

يقول أو حنيفة : قد ذكر الله ﷻ فى الآية شيئين مختلفين – الحمل

---

(١) من الآية ٢٣٣ من سورة البقرة .

(٢) من الآية ١٥ من سورة الأحقاف .

(٣) رواه الترميذي وصحيحة .

(٤) رواه الدار قطنى وقال : لم يسنده عن أبي عينه غير الهيثم ابن جميل وهو ثقة حافظ .

والفصال – معطوف أحدهما على الآخر بحرف العطف . وضرب لهما أجلا واحد، ومدة محددة – ثلاثون شهرا – فكأن الله ﷻ يقول – والله أعلم – وحمله ثلاثون شهرا، وفصاله ثلاثون شهرا . فتكون مدة الرضاع ثلاثون شهرا .



الرأي الراجح :–

والذي يترجح هو رأى جمهور الفقهاء وهو أن مدة الرضاع التى يثبت فيها التحريم هى العامان فقط . لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ وقولة سبحانه ﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ فكل من هاتين الآيتين نص صريح فى محل النزاع لا يحتمل التأويل .(١)

اختلاط لبن المرضعة بغيره : قد تجلب لبنا من ثديها وتخلطه بشيء آخر مثل الماء أو الدواء أو الطعام أو تخلطه بلبن شاة أو بهيمة وتعطيه لطفل أجنبي . وهذه قد اختلف جمهور الفقهاء فى كل منها . بين ثبوت التحريم بهذا اللبن المخلوط وعدم ثبوته والذى أرجحة هو ثبوت التحريم فى كل منها إذا كان اللبن غالبا على الشيء المخلوط أو مساويا لَه أخذا بالأحوط . لأن به يتحقق إنبات اللحم وانشاز العظم .

أما إذا خلط لبن المرأة امرأة أخرى، ثم أعطى للطفل فإن الأمومة تثبت للمرأتين وتكون كل منهما أما لَه فى الرضاع من باب الأخذ بالأحوط أيضا . من غير نظر إلى أيِ اللبنين أكثر . فلو كان لبن إحداهما كثيرا

---

(١) البدائع ٥/٤، بداية المجتهد ٤٤/٢، نيل الأوطار ١٣٧/٨ .

ولبن الأخرى قليلا ثبتت أمومتهما لَه، حيث إننا قد رجحنا من قبل ثبوت التحريم بقليل الرضاع كما هو مذهب الحنفية والمالكية .

الوجور والسعوط والحقنة :-

الوجوُر : هو إعطاء اللبن للطفل بصبه فى حلقه والسعوط إعطاؤه لَه بصبه فى انفه ويثبت التحريم بهما كما لو رضعه الطفل من الثدي مباشرة . وكذلك يثبت التحريم لو أعطى اللبن للطفل بالحقنة التى تكون للغذاء لأن إنبات اللحم وانشاز العظم يتحقق بهذه الثلاثة . فلذا ثبت التحريم .

لبن الميتة : أتفق الحنفية والمالكية والحنابلة والظاهرية على أن لبن الميتة محرم كلبن الحية سواء بسواء . بمعنى انه إذا ماتت امرأة بها لبن ودب طفل رضيع إليها والتقم ثديها ورضعه فهي أمه وبنتها أخته، وثبت التحريم بينهما .

أنواع المحرمات رضاعا :-



نساء هذا النوع ينقسمن إلى أربع شعب:

الشعبة الأولى : الأصول من الرضاع، وهذا يشمل ويتناول المرأة التى أرضعت الصبي لأنها أمه من الرضاع . ويحرم على الشخص كذلك أم أمه الرضاعية سواء كانت الجدة أما نسبية أو رضاعية لأمة التى أرضعته، وهكذا كل

أصل لأمة الرضاعية . يحرم عليه مهما علا ذلك الأصل . كان الأصل من نسب أم من رضاع . ويشمل كذلك أم أبيه الرضاعى، وأم أمه إلىٓ مالا نهايةِ . سواء كانت أم أبيه الرضاعى أو جدته نسبية أو رضاعية ولا فرق .

الشعبة الثانية : الفروع من الرضاعة فيحرم على الرجل بنته من الرضاع وهى البنت التى رضعت من امرأة كان هو سببا فى إدرار اللبن لها، حتى ولو كانت المرأة وقت الإرضاع مطلقة من الرجل بشرط أن يكون اللبن الذي أرضعت به البنت من حمل حدث من ذلك الرجل . ولا يشترط بعد ذلك فى أبوة الرجل للبنت أن تكون المرضعة وقت الإرضاع فى عصمه الرجل صاحب اللبن . ويحرم على الرجل كذلك بنت بنته رضاعا أي من أرضعتها بنته الصلبية أو بنته الرضاعية . كذلك بنت ابنه الرضاعى .

الشعبة الثالثة : الفرع النسبي أو الرضاعى للأبوين الرضاعيين، وهذا يشمل الأخوات من الرضاع، سواء كن شقيقات أو لم وبنات الأخوات من الرضاع، سواء كن بناتهن من النسب أو الرضاع وكذا بنات الأخوة من الرضاع .

الشعبة الرابعة : البطن الأول فقط من فروع الأجداد والجدات الرضاعيين وهن : العمات والخالات من الرضاع . وتحريم أفراد الشعب الربع السابقة هو قدر متفق علية بين جمهور الفقهاء . وما عدا البطن الأول فهن حلال . وذلك يشمل بنات العمات وبنات الخالات من جهة الرضاع، وبنات الأعمام وبنات الأخوال من جهة الرضاع كذلك . وذلك لأن هؤلاء حلال من جهة النسب، فأولى أن يكن حلالا من جهة الرضاع .

حكمة التحريم بالرضاع :

جعل الإسلام الرضاع فى منزلة النسب من حيث قوة الصلة وتحريم الزواج وهذه لفتة كريمة من شريعتنا الإسلامية الغراء، حيث جعلت الأم من الرضاع فى منزلة الأم من النسب احتراما وتحريما . وامتد هذا إلى أصولها وفروعها . وكذلك زوجها فهو أب للرضيع وذلك للأسباب الآتية:-

١- إن المرأة حينما ترضع الطفل إنما تكون هى العامل الأول فى تكوين جسمه من حيث إنبات لحمه وانشاز عظمة . لأن الطفل فى هذا السن يكون غذاؤه الوحيد هو اللبن واللبن الذي أرضعت به المرأة الطفل، إنما هو جزء من جسمها، لأنه در منها وتكون من دمها . ولا شئ أكثر من أن تدخل المرأة أجزاءها أو جزءا منها فى تكوين الولد . وبهذا تستحق أن تكون أما له فى الرضاع .

٢- بعد أن تثبت الأمومة الرضاعية لمرضع فإنه يمتنع الزواج بينها وبين من أرضعته لأن صلة الأمومة تتعارض مع العلاقة الزوجية . فشتان ما بينهما فى كل شئ وقد تكلمنا عن هذا كله خلال الكلام عن الحكمة من تحريم القريبات من جهة النسب .

الخاتمة

الخاتمـــــة

من خلال رحلة البحث وتقصى مفرداته يمكن استخلاص النتائج الآتية :

١- أن أصول الإسلام، القرآن والسنة،والتراث الناتج عن علومهما تعين على التقدم العلمي من خلال تقديرها للعقل، وتعظيمها للعلم، وإكبارها للعلماء.

٢- أن اهتمام القرآن الكريم بخطاب العقل فى الآيات التشريعية والآيات الكونية إنما يعكس رؤية الإسلام للحقيقة العلمية ومنهج الاستقراء والاستدلال مما يعطى انطباعا لدى الكافة أن الإسلام يحترم العقل ويفتح لَه البـاب للانطلاق فى العلوم الكونية أو الإنسانية لتحقيق مقاصد الشرع فى مصالح الخلق.

٣- كشف البحث أن العلاقة بين الدين والعلم فى الإسلام هي علاقة تعاضد لا تعارض، علاقة توافق لا تصادم فكلاهما يلزم للأخر فالعلم يلزم للدين للتعريف به ولكشف إعجاز الخالق في السماوات والأرض، والنفس البشرية والدين يلزم للعلم لكي يوجهه إلى ما فيه الخير للبشرية ويصححه مساره لخدمة مصالح الإنسان، يكبح جماحه إذا تعدى حدود الله.

٤- أثبت البحث من خلال نصوص الكتاب والسنة أن الإسلام يعانق العلم النافع ويشجعه وبحث تطويره سواء في العلوم الكونية أو التشريح الإنسانية ويبوئ العلماء منزلة رفيعة ويعلى من شانهم بمقدار ما اخلصوا لعلمهم. في نفس الوقت يحارب الإسلام العلم الضار، ويحذر من التطاول على ثوابت الدين، صونا لحدود الله وحفظا لمقاصد الشرع في مصالح الخلق.

٥- أكد البحث أن الإسلام يحتضن في أصوله أسس التقدم العلمي ويفتح

الآفاق للانطلاق إلى الثورة العلمية بكل ما تحمل من تقنيات حديثة.

٦- كشف البحث أن الإسلام ينبه إلى أن التقدم العلمي إنما يعتمد على منهج علمي سديد يقوم على الصدق وتنوع المعارف، وغرس روح التجديد والابتكار.

٧- أثبت البحث أن الولوج فى الآفاق الكونية لكشف الإعجاز الإلهي في خلق السماوات والأرض وتصريف ما بينهما من رياح وسحاب وتدبير أمر الشمس والقمر وتسخيرهما لمنافع الخلق . مما يفتح الباب للعلماء أن ينفذوا بتوفيق الله وسلطان العلم إلى أقطار السماوات والأرض.

٨-القرآن الكريم بنى على الإيجاز الجامع وسننه وتقوم على ذكر المبادئ والأسس دون تفاصل على البحث والنظر فى المخلوقات .

٩- القرآن الكريم تحدث فى أكثر من آية عن مظاهر قشرة الأرض ومعالمهامن جبال مرتفعه وهضاب وأودية وأنهار وأخاديد عميقة .

١٠- المد بمعنى البسط كما قال جمهور المفسرين، والبسط توسيع الشئ ونشره وجعله مستويا.

١١- قال تعالى : ﴿ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا ﴾[(١)] التعبير بحرف أو دليل على تزامن ظاهرتي الليل والنهار على الكرة الأرضية معا فالجزء المواجه للشمس فيه نهار وغير المواجه للشمس فيه الليل فى اللحظة ذاتها.

١٢- استمرار انكماش سطح الأرض حتى الآن امتدادا لأثر التبريد يقدره العلماء إلى ٣٠٠ كم ويمكن الكشف عن هذا بأجهزة الاستشعار عن بعد وبالأقمار التى تستخدم حاليا لقياس الطبقات الحادثة فى قشرة الأرض كمحاولة للتنبؤ بالزلزال.

---

(١) سورة يونس : الآية رقم ٢٤.

١٣- أن الرتق معناه السد والالتحام (والفتق) معناه الشق والفصل – وكما قال الرازى وزاد أن كلا من السماوات والأرض كانتا شيئا واحدا ملتحما ومنفصلا عن الآخر، ثم فتق الله تعالى السماء إلى سبع سماوات والأرض إلى سبع أرضين.

١٤- كما أن الشائع بين الجمهور – أن جرم الأرض خلق أولا ثم خلقت السماء ثم أكمل الله خلق الأرض بالدحو.

١٥- ورد ذكر كلمة (الأرض) مفردة ومجتمعة مع مشتقاتها فى القرآن (٦٦١) مرة إما للدلالة على الأرض جميعها أو على جزء منها أو بالاقتران مع السماء فى الخلق.

١٦- أصول الجبال (وتديتها، أو جذورها الأرضية) مذكورة تصريحا فى الآية السابعة من سورة النبأ " والجبال أوتادا " والدعوة إلى دراسة نشأة الجبال المذكورة تصريحا فى الآية التاسعة عشرة من سورة الغاشية :- " والى الجبال كيف نصبت"

١٧- وظيفة الجبال فى تثبيت الأرض تشبه وظيفة الأوتاد فى تثبيت الخيمة

١٨- تحدث القرآن الكريم عن علم الفلك وقضاياه، وما أكثر الآيات التى هى دليلا كافيا على فساد أي رأي يذهب إلى كتاب الخالد عن الفلك والاشتغال به، فالدعوة صريحة فى القرآن الكريم تتمثل فى أنه قد حث الإنسان المسلم على أن يمعن النظر، والتأمل فى كل شئ من صنع الله.

١٩- ذكرت النجوم تسع مرات فى القرآن الكريم، والكواكب مفردة فى آية واحدة،وجمعت فى أربع آيات، على تعاليم الإسلام، فكان لها بصمات بارزة على العلوم المتبانية بعامة، وعلم الفلك بخاصة .

٢٠- اعتنى المسلمون بعلم الميقات لتمديد أوقات الصلاة نظرا للبعد الكونى

لمعنى العبادة الإسلامية المتميزة، كما عنوا بتحديد القبلة (سمت القبلة) التى كانت جزءا عضويا حيا من اهتمامات علم الفلك كما فهمه المسلمون .

٢١- أن القرآن الكريم قد أستعمل لفظ الضياء أو أحد مشتقاتها للضوء الحسي الذاتي واستعمل دائما لفظ النور للضوء الحسي المكتسب والمنعكس من سطوح الأجسام المظلمة بذاتها .. وجعل تعالى (النور) هو الضد والمقابل للظلمات، لأن الضوء المنعكس من سطوح الأجسام المظلمة هو الذى بيده ظلماتها دون الضوء الذى لا يقع عليها ولا ينعكس عنها ولو كان قريبا منها.

٢٢- ورد ذكر النجوم فى القرآن الكريم فى أربع آيات فى أربع سور – فى سورة النمل الآية (١٦) – فى سورة النجم الآية (١) – وفى سورة الرحمن الآية (٦)- والطارق الآية (٣) .

٢٣- كما وردت بلفظ النجوم فى تسع آيات – فى تسع سور وهى (الأنعام [٩٧] – الأعراف [٥٤] – النمل [١٢] – الحج [١٨] – الصافات [٨٨] – الطور [٤٩] الواقعة [٧٥] – المرسلات [٨] – التكوير [٣])

٢٤- قانون حركة الرياح بين صعود الهواء الساخن وهبوط الهواء البارد المصاحبة بالمطر.

٢٥- أهمية نواتج التذرية من المادة الناعمة الدقيقة وبخار الماء كانوبة تكاثف تعمل على التآلف بين قطرات الماء.

٢٦- القرآن الكريم ليس بكتاب فى الطبيعة والكيمياء أو كتاب فى النبات والحيوان وما أنزل على سيد الخلق سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه ليكون كذلك، ولكنه كتاب من عند الله أتى بأصول وقواعد عامة

تشير إلى سنن طبيعية تدفع الإنسان إلى التأمل والتدبر والتفكر والدراسة العميقة للكون وما عليه كما قال تعالى في سورة فصلت الآية ٥٣ ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ .

٢٧- صرح الحق تبارك وتعالي بوجود ظلمات في أعماق البحار متراكمة فوق بعضها البعض، وجود أمواج داخلية في البحار والمحيطات العميقة والتي غالبا ما تغطى هذه البحار والمحيطات سحب ركامية تحجب قدرا مهما من أشعة الشمس، وهذا ما كشفت عنه دراسات علماء البحار في أواخر القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين .

٢٨- يحوى السائل المنوي ما بين مائتين إلى ثلاثمائة مليون حيوان منوي، واحد منها هو المسؤول عن تلقيح البويضة . والبويضة الملقحة أو النطفة الأمشاج هي نتيجة تلقيح الحيوان المنوي بويضة المرأة .

٢٩- تقرير الآيات والأحاديث بأن النطفة الأمشاج من نتيجة تلقيح الحيوان المنوي لبويضة المرأة، وأن تحسن جنس الجنين يعود إلى نوعية الحيوان المنوي ذكرا أو أنثي، وهذا ما كشف عنه الطب الحديث .

٣٠- تقرير الآيات القرآنية صراحة بأن الإنسان يمر خلال تخلقه بمراحل متتابعة، وأنه لا يخلق دفعة واحدة في صورة قزم، وهذا ما كشف عنه دراسات علم الأجنة الحديث .

٣١- بعد أن أنكر كفار قريش البعث يوم القيامة وانه كيف لله أن يجمع عظام الميت، رد عليهم رب العزة بأنه ليس قادر على جمع عظامه فقط بل حتى على خلق وتسوية بنانه، هذا الجزء الدقيق الذي يعرف عن صاحبة والذي يميز كل إنسان عن الآخر مهما حصل له من الحوادث . وهذا ما دلت عليه الكشوف والتجارب العلمية منذ أواخر القرن التاسع عشر .

٣٢- أجمع علماء الأمة وجمهور الفقهاء من الصحابة و التابعين ومن بعدهم على ثبوت تحريم الزواج بسبب القرابة الرضاعية .

٣٣- اختلف الفقهاء فى المقدار المحرم من الرضاع على رأيين والذي يترجح من هذه المذاهب كلها هو المذهب الأول للحنيفة والمالكية وهو أن التحريم يثبت بقليل الرضاع وكثيرة لاطلاقات الكتاب والسنة كما علله الحنيفة و المالكية .

٣٤- كما اختلف الفقهاء في المدة الزمنية التي يثبت فيها التحريم بالإرضاع والذي يترجح هو رأى جمهور الفقهاء وهو أن مدة الرضاع التي يثبت فيها التحريم هي العامان فقط .

٣٥- جعل الإسلام الرضاع فى منزله النسب من حيث قوة الصلة وتحريم الزواج وهذه لفته كريمة من شريعتنا الإسلامية الغراء، حيث جعلت الأم من الرضاع، في منزلة الأم من النسب احتراما وتحريما، وامتد هذا إلى أصولها وفروعها . وكذلك زوجها فهو أب للرضيع .

٣٦- تتجلى غاية الإعجاز العلمى فى سورة النور الآية رقم (٤٣) وحيث تذكر مراحل السحب الركامية على الترتيب التالي :-

١) إزجاء السحاب " يزجى سحابا "

٢) التأليف بين السحاب " ثم يؤلف بينه "

٣) جعل السحاب ركاما " ثم يجعله ركاما"

٤) خروج قطرات الماء النامى من خلال السحاب " فترى الودق يخرج من خلاله"

٥) تكون الجبال البرد فى السماء ونزول بعضه وينزل من السماء من جبال فيها من برد "

٦) الآثار الخطيرة للإصابة بالبرد على الإنسان والمنشأت والزروعات.

٧) تكون البرق والرعد .

٨) صرح الحق تبارك وتعالى بوجود ظلمات فى أعماق البحار متراكمة فوق بعضها البعض، وجود أمواج داخلية فى البحار والمحيطات العميقة والتى غالباً ما تغطى هذه البحار والمحيطات سحب ركامية تحجب قدرا مهما من أشعة الشمس، وهذا ما اكتشفت عنه دراسات علماء البحار فى أواخر القرن التاسع عشر وفى القرن العشرين.

٩) يحوى السائل المنوى ما بين مائتين إلى ثلاثمائة مليون حيوان منوى واحد منها هو المسئول عن تلقيح البويضة. والبويضة الملقحة أو النطفة الأمشاج هى نتيجة تلقيح الحيوان المنوى البويضة.

١٠) تقرير الآيات والأحاديث بأن النطفة الأمشاج هى نتيجة تلقيح الحيوان المنوى لبويضة المرأة وأن تحديد جنس الجنين يعود إلى نوعية الحيوان المنوى ذكرا أو أنثى، وهذا ما كشف عنه الطب الحديث.

وبعد،،،

فالشكر لله الكبير المتعال إذ يحصيني لطائفة من عباده على القدرة على الاطلاع والبحث فى كنوز الشريعة الإسلامية الغراء، ليستخرج منها ما يهم العباد ويحقق مصالح الأنام، وهم إنما يقومون بذلك بفضل الله وعونه، ومن نعمة الله علي أن يكون لي شرف الانتساب لهذه الطائفة، فلقد

أنعم الله تعالى بفضله وأكرمني بجودة وعطائه فكان البحث، إنما يكن الصواب قد أحاطه فإنما يرجع إلى عون الله وتوفيقه، وكفى بالله وكيل، وان يكن الخطأ قد أصابه فى جزء منه فإنما يرجع إلي، فان الإنسان أصل للتقصير والغفلة، وحسبي أنى أبتغيت به النفع للعباد، فان أحسنت كفاني الطمع فى ثواب الله إن كنت لَه أهل إن رحمة الله قريب من المحسنين .

ولقد جاهدت أن يكون البحث غزيراً بالمعلومات والحقائق العلمية وفيا بالأدلة والتوجيهات ومتضامنا إضافات جديدة واجتهادات تنفع الإسلام والمسلمين ويوافق مصلحة العباد وان الحقائق العلمية المعاصرة فى ضوء القرآن الكريم هى دعوة للتدبير والتأمل والنظر فى خلق الله كما قال تعالى " إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب" وأسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت فيما بحثت وأن يجعله عملا مقبولا انه بعباده خبير بصير.

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة

نموذج رقم ١٧
AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writing & Translation

٧٧١٠

السيد / المستشار منصور محمود الجنزوري

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتابكم: الحقائق العلمية المعاصرة في ضوء القرآن الكريم تأليفكم ٢٠٢٤ صفحة

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية ولا مانع من طبعه على نفقتكم الخاصة .

مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .

والله الموفق ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

مدير عام
إدارة البحوث والتأليف والترجمة

تحريرا في ٢ محرم / ١٤٢٧ هـ
الموافق ٢ / ١ / ٢٠٠٦ م

يعتمد
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية
إبراهيم عطا الفيومي

المراجع والمصادر

المراجع والمصادر

١- القرآن الكريم . "لا ريب فيه من رب العالمين" .

٢- الأحوال الشخصية : دكتور/ فكرى أحمد عكاز، مطبعة الصديق، ١٤١٥هـ -١٩٩٥.

٣- الأحوال الشخصية للمسلمين : د/ فرج زهران الدمرداش، الصديقان للنشر، الإسكندرية.

٤- إحياء علوم الدين . للغزالى، المتوفى سنه ٥٠٥ هـ طبعة دار الغد العربي .

٥- الأدلة المادية على وجود الله . لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .

٦- أسس الجغرافيا الطبيعية . أحمد موسى .

٧- الإسلام يتحدى . وحيد الدين خان .

٨- الإعجاز العلمي . د/ عبد العليم خضر.

٩- الإعجاز العلمي فى الإسلام (القرآن الكريم) . محمد كامل عبد الصمد، الدار المصرية اللبنانية .

١٠- إعجاز القرآن فى علم طبقات الأرض . د/محمد محمود إبراهيم (أستاذ الجيولوجيا بجامعة القاهرة .

١١- الإعجاز الكوني فى القرآن الكريم . للجميلى .

١٢- الإمام على الرضا ورسالته فى الطب النبوي . محمد على البار (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م)، طبعة الدار السعودية .

١٣- بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع : للإمام علاء الدين أبي بكر ابن مسعود الكاسانى الحنفى، توفى سنة ٥١٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية.

١٤- بداية المجتهد ونهاية المقتصد: للإمام القاضى أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسى والشهير بابن رشد الحفيد، المتوفى سنة ٥٩٥هـ، دار الفكر، بيروت.

١٥- بغية المشتاق فى أحكام الزواج والطلاق : دكتور/ عبد العزيز على أحمد جبريل، جامعة الأزهر، الزقازيق، ١٩٩٧.

١٦- التراث والحضارة الإسلامية . د/ ماهر عبد القادر محمد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، وبيروت "بدون تاريخ" .

١٧- ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة للأستاذ الطاهر أحمد الزاوى، طبع ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٨- تصور محمد للتاريخ . عمر لطفي العالم، مجلة الدراسات الشرقية .

١٩- تفسير الألوسي روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى لأبى الفضل الألوسى، دار التراث، القاهرة .

٢٠- تفسير الآيات الكونية . د/ عبد المنعم العشرى .

٢١- تفسير الجلالين . لجلال الدين السيوطى .

٢٢- التفسير العلمي للآيات الكونية . حنفى أحمد .

٢٣- تفسير القرآن العظيم . لأبى الفداء إسماعيل بن كثير، دار المعرفة، بيروت

٢٤- التفسير الواضح . د/حجازي .

٢٥- التفكير فريضة إسلامية . عباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر .

٢٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن . لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م) دار الفكر . بيروت .

٢٧- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي . تحقيق : محمد محمد حسين، دار الكتب المصرية بالقاهرة (١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م) .

٢٨- جريدة الأهرام المصرية . (٢٠٠٠/٨/١٩ م، ٢٠٠٠/٩/١٣ م) .

٢٩- جريدة عكاظ السعودية. العدد (١٠١٩)، الخميس: (١٤٢٥/٢/١١ هـ) .

٣٠- الجغرافيا الطبيعية . د/ صبحي عبد الحكيم وآخرون .

٣١- الجغرافيا العامة . د/ سعاد الطحن.

٣٢- الخرشى على مختصر سيدى خليل، دار صادر، بيروت، بهامشة حاشية الشيخ على العدوى، دار صادر، بيروت.

٣٣ روضة الناظر وجنه المناظر . د/ عبد العزيز السعيد، طبعة جامعة الإمام بن مسعود، السعودية .

٣٤- زاد المسير فى علم التفسير . لأبى الفتح بن على القرشى بن الجوزى، طبعة المكتب الإسلامى بيروت .

٣٥- سلم الوصول شرح منهاج الوصول . الشيخ محمد نجيب، طبعة جامعة الإمام محمد ابن مسعود، السعودية .

٣٦- سنن أبو داود "سليمان بن الأشعش" . / محى الدين عبد الحميد، طبعة السعادة بمصر .

٣٧- سنن ابن ماجة . للحافظ أبى عبد الله محمد بن زيد القزوينى، المكتبة العلمية ببيروت .

٣٨- سنن الترمذى "محمد بن عيسى الترمذى" . ت سنه ٢٧٩ هـ، الطبعة الأولى ١٩٦٦ م، بحمص .

٣٩- شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير فى أصول الحنابلة – الفتوحى تقى الدين بن البقاء شهاب الدين أبن العباس أحمد بن عبد العزيز بن على بن إبراهيم سنة المحمدية أتح / محمد حامد الفقي عام ١٣٧٢ هـ

٤٠- شرح روض الطالب من اسنى المطالب: للإمام أبي يحيى زكريا الأنصارى الشافعى، المكتبة الإسلامية .

٤١- شرح فتح القدير، للشيخ كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسى ثم السكندرى المعروف بابن الهمام الحنفى المتوفى سنة ٦٨١هـ، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان.

٤٢- صحيح البخاري . لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري . دار الريان للتراث بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

٤٣- صحيح مسلم بشرح النووي . لأبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى عام ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

٤٤- الطب النبوي . ابن القيم الجوزية، تح / عبد الغنى عبد الخالق - عادل الزهري - محمود فرج، المكتبة الثقافية ببيروت .

٤٥- طبيعيات الجو وظواهره . د/جمال الدين الغندى .

٤٦- الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن . د/ عبد العظيم عبد الرحمن خضر

٤٧- العلوم فى الإسلام . د/ سيد حسين خضر، ترجمة : مختار الجوهري، دار الجنوب للنشر بتونس ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

٤٨- غاية الوصول إلى دقائق علم الأصول (المبادئ والمقدمات) د/ جلال الدين عبد الرحمن . النسر الذهبى للطباعة "يسرى حسن إسماعيل" الطبعة الرابعة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

٤٩- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للإمام نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين النيسابورى، دار الصفوة سنه ١٩٩٥ م .

٥٠- الغيث الجامع فى شرح جمع الجوامع . لمحمد بن أحمد المحلى المصرى . ت ٨٦٤ هـ .

٥١- فتح البارى فى شرح صحيح البخارى . لأحمد بن على بن حجر العسقلانى، دار المعرفة ببيروت .

٥٢- فتح القدير لشوكاني، دار الفكر ببيروت .

٥٣- فى ظلال القرآن . سيد قطب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الخامسة سنة ١٩٦٧ م .

٥٤- فيض القدير للمناوى مع الجامع الصغير للسيوطى . دار المعرفة بيروت لبنان .

٥٥- القاموس المحيط . الفيروز آباري، ت ٨١٧ هـ، طبعة دار الفكر ببيروت سنة ١٤٠٣ هـ .

٥٦- القرآن الكريم (ترجمة وكشاف) للمستشرق "رودى باريت"

٥٧- كلمة فضيلة المفتى السابق "نصر فريد واصل"أمام الدورة الثامنة للجنة التقويم الهجرى الموحد بجدة، المملكة العربية السعودية من : ٧ : ٩ /١١/ ١٩٩٨ م .

٥٨- الكون والإعجاز العلمي . د/منصور محمد حسين النبي "رئيس قسم الفيزياء بجامعة عين شمس"

٥٩- لسان العرب لابن منظور، طبع دار صادر ببيروت، الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ .

٦٠- الله والعلم الحديث . عبد الرازق نوفل .

٦١- مبادئ علم الفلك . عبد القوى عياد .

٦٢- مجلة العلوم الألمانية : Bilder Wissen Schaft, ١٩٩٤.

٦٣- مجلة العلوم الحديثة . يونيو ١٩٩٨ م .

٦٤- مجلة الهلال . أغسطس ١٩٥٣ م .

٦٥- مجلة الوعى الإسلامى . العدد (٣٥١) . "تقدير عمر الأرض بين الأمس واليوم .د/ماهر خليل العدد ٠٣٤٠) مايو ١٩٩٤م ، والعدد (٣٧٣)، رمضان ١٤١٧ هـ .

٦٦- مجلة منار الإسلام جمادى الآخرة ١٤٢٣ هـ - سبتمبر ٢٠٠٢ م .

٦٧- مجلة منبر الإسلام . العدد (٥) السنة الثانية والستون (٦٢) جمادى الأولى ١٤٢٤ هـ - يوليو ٢٠٠٣ م . والأعداد (٥ لجمادى الأولى ١٤٢٢ هـ - يوليو أغسطس ٢٠٠١ م،س والعدد (٧) السنة (٦٢) رجب ١٤٢٤ هـ - سبتمبر ٢٠٠٣ م .

٦٨- المختار "النسخة الإنجليزية" سبتمبر ١٩٩٢ م .

٦٩- المستصفى من علوم الأصول لأبى حامد بن الغزالى، ت ٥٠٥ هـ و المطبعة الأمرية ببولاق، الطبعة الأولى ١٣٢٢ هـ .

٧٠- مسند أحمد بن حنبل، وبهامشه كنز العمال فى السنن والأقوال والأفعال، المكتب الإسلامى، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٣١٨ هـ - ١٩٧٨ م .

٧١- المصباح المنير فى اللغة . أحمد بن محمد المقدسى الفيومي، ت ٧٧٠ هـ و طبعة المكتبة العلمية بيروت .

٧٢- معالم السنن "شرح سنن أبن داود" لأبى سليمان أحمد بن محمد الخطابي، ت ٣٨٨ هـ طبعة دار الكتب العلمية بيروت، لبنان .

٧٣- معجزة القرآن الكريم لفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي، كتاب اليوم .

٧٤- مفاتيح الغيب (أو التفسير الكبير) لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسين التميمى الرازى طبعة دار الفكر ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٧٥- المفردات فى غريب القرآن . للراغب الأصفهاني . البابى الحلبى بالقاهرة . ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م

٧٦- ملامح من حضارتنا العلمية وأعلامها المسلمين . د/كارم غنيم، الزهراء للإعلام العربى .

٧٧- المنهج الإيمانى . د/خضر .

٧٨- الموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف الكويتية .

٧٩- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار : للإمام المجتهد محمد بن على بن محمد الشوكانى، المكتبة التوفيقية، مصر.

٨٠- هاؤم اقرعوا كتابيه (محاولة لتجديد الفكر الإسلامى، د/ أحمد محمود صبحى دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م)

فهرس الموضوعات

رقم الإيداع بدار الكتب

٢٠٠٨ / ٢٣٩١

الترقيم الدولى I.S.B.N

977-5481-92-9

دار الطباعة المحمدية

٣ زقاق أبى الظاهر بدرب الأتراك بالأزهر